جامعة افريقيا العالمية
مركز البحوث والدراسات الأفريقية

القبيلة وأثرها في السياسة الصومالية 1960 - 1997م



محمود يوسف موسى

٢٤١,١٤١
٦٧٠٢
-٩٠٤٠

القبيلة وأثرها في السياسة الصومالية

في الفترة 1960م - 1997م

محمود يوسف موسي

إهداء

إلي والدي .. ووالدتي اللذين

ربياني وشجعاني علي مواصلة الدراسات العليا وإلي أشقائي

وأصدقائي جميعا .. أهدي هذا البحث

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين ، والشكر كل الشكر لله ولا أحصيه ثناء فأنت كما أثنيت علي نفسك . وبعد .. أتقدم الشكر الجزيل لأستاذي الدكتور / حسن مكي محمد أحمد ، الخبير في شئون القرن الإفريقي ، والذي أفادني بخبرته الواسعة في المنطقة ، فقد تابع هذا البحث حتي انتهي إلي ما أنتهي إليه .

وأخص بالشكر أيضا الأستاذ الجليل / حسن سيدأحمد الناطق ، الذي قام بتصحيح هذا البحث لغويا وتركيبا ، فلا أحد كلمات وجملا أعبر بها عن تقديري له واحترامي ، وقد أخذت الكثير من وسه الغالي .

وكذلك لا أنسي أن أشكر الدكتورة/ محاسن عبدالقادر حاج الصافي لما قدمت لي من ارشادات ونصائح ونبهتني إلي بعض الملاحظات المهمة في هذا البحث .

والشكر أيضا موصول لصديقي الغالي/ عبدالقادر أحمد ورسمه ، الذي أرسل لي كل ماطلبته من الصومال من الأشعار والوثائق ، وكذلك صديقي عمر بدي، وأحمد عبدالرحمن شيخ بشير ، وعبدالقادر عمر دعال ، ومحمد صالح ، وعبدالفتاح إبراهيم حسن ، وعبدالله حسين محمد ، والشكر موصول أيضا لأسرة مركز البحوث والدراسات الإفريقية ومكتبة جامعة إفريقيا العالمية ، ومكتبة معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية ، ومكتبة الدراسات الإستراتيجية، ومكتبة معهد الخرطوم الدولي ، ووكالة السودان للأنباء ، ودار الوثائق السودانية ، والأفراد الذين ساعدوني بمكتباتهم الخاصة ، وخاصة عبدالقادر معلم جيدي ، وعبدالرشيد يوسف ، وعبدالله نور الله نور حسن ، ومحمد عبدي بوس ، وناصر خليفة محمد ، محمد أحمد شيخ علي ، والأستاذ / عبدالقادر حرسي محمد ومصطفي شيخ حسن عبدالله ، والدكتور / عبدالسلام موسي حسن .

محمد يوسف موسي

١٩٩٩م

فاتحـــــة

صلات الصومال بواد النيل قديمة ، ويكفي الإشارة إلي تواصل الفراعنة منذ عهد حتسبشوت مع بلاد بنت وكذلك فإن صلات ساحل إفريقيا الشرقي بالدعوة الإسلامية راسخة ومتجددة ويكفي أن الشعب الصومالي يتميز في إفريقية بصفة لاتماثله فيه إلا ليبيا وهو قبول كل مجموعته بالإسلام عقيدة ودينا ، ومع أنّ الصومال ، أمة واحدة من ناحية الدين واللسان والحضارة والمصالح إلا أنه تعرض لفتنة التجزئة الاستعمارية ثم فتنة الصراعات الداخلية التي انتهت الي حرب أهلية قضت حتي علي موسسة الدولة .

وهذه الدراسة ، بقلم مثقف صومالي شاب ، تكون نسيجه الفكري والروحي والعصبي في إطار هذه الحرب الأهلية وهذه الفتنة القبلية العصبية – وقضي هذا الشاب سنوات عديدة يبني قصته بمداد من أعصابه المشدودة وحيرته الممزوجة بغصته وهو يري وطنـــه يحترق وإخوانه بين محترق وسط الدار ومحترق في أرض الملجأ والملاذ .

وهذه الدراسة مجرد محاولة لدراسة ظاهرة (الانتحار الصومالي) ويأمل الدارس أن تؤدي محاولات تشخيصه للداء في إبراز الرؤي الأخري ، حتي يتم التشخيص الفاعل وحتي تبدأ مسيرة وحدة وبناء وتواصل صومالي مستفيدة من درس الماضي ، وحتي تطل جمهورية الصومال من جديد وتطل معها أحلام بناء صومال الأصالة والتجديد ، صومال الأداء ، والتجويد ، الصومال الذي يضم بين ربوعه أكمل الأمم الإفريقية في التجانس والإنسجام ، الصومال المؤهل ليكون واحة استقرار ونهضة ونموذج للانسجام والتكامل في شرق إفريقيا وبين يدي هذه الأشواق تجيء هذه الدراسة لخدمة هذه الأغراض .

والســـــــــلام .

أ.د حسن مكي محمد أحمد

الخرطوم الأربعاء ٢٠٠٠/٨/١٦

الموافق ١٦ جمادي الأولي ١٤٢١هـ

مقدمـــة

القبيلة هي الجماعة من الناس تنتسب إلي أب أو جد واحد ، والقبلية هي التحيز إلي قبيلة أو التعصب إلي قبيلة .

الصوماليون أمة ثآر وانتقام فيما بينها ، وإن الأطفال الصغار فيها قد تربوا في جو من الحقد والكراهية ، ووجدوا أنفسهم في بيئة مشحونة بالعداوة وروح الثأر ، وإن أمهاتهم يقصصن عليهم الحروب وكيف وقعت ، وجميع الأحداث والقبيلة التي قتلت أباه أو عمه أو أحدا من أقربائه .

تلقن الأمهات كذلك الطفل الصغير قبل أن يتعلم الحروف الهجائية نسبة ويحفظه عن ظهر قلب ، ولذلك تري كل شخص صومالي يجيد التسلسل النسبي القبلي .

اولنسب جزء لاينقصم عن انتماء الفرد إلي قبيلته التي تمثل كل قيمة ووجوده في حياته ، فكان الفرد الصومالي العادي يحرص تماما علي حفظ نسبه ، ولذا أصبح لكل منهم نسبه الذي يرجعه إلي أصوله المتسلسلة والعرقية والتي تمثل تاريخ قبيلة لها أمجادها المتمثلة في قوتها الحربية وكثرة رجالها الأقوياء (٢) وأينما عاش الصوماليون حملوا معهم تقاليدهم الشفهية من الأساطير والأغاني والأشعار التي تحي مآثر الأبطال الشعبيين وتسجل تاريخ الشعب (٣) .

فالمشكلة الصومالية مشكلة قبليّة تدور حول تقسيم السلطة علي أساس قبلي ، فهي قبلية ممزوجة بالسياسة من ناحية وقبلية بحتة من ناحية أخري ، مما أوجد وضعا معقدا للفصل بين النظام العشائري القبلي التقليدي وبين النظام السياسي الحديث ، وإن أوضاع الصوماليين تجعل من ترتيب البيت الصومالي الذي يتحدث عنه السياسيون الصوماليون أمرا بالغ الصعوبة ، فهذا البيت تقطنه عائلة يختلف أفرادها فيما بينهم في المزاج والشعور .

وإن بيت الصوماليين الذي أقيم في مقديشو كان في بدايته يتسع للشماليين والجنوبيين علي السواء دون تفرقة ، إلا أن التطبيقات والروح القبليةالتي سادت فيما بعد هي التي أدت إلي التعقيدات وحالت دون الوصول إلي المأمول من إقامة دولة متكاملة ومجتمع مبرأ من أمراض العصبية والقبلية ، وبقي أفراد العائلة الصومالية يعيشون وسط كثير من التناقضات (٤) وأصبح الولاء القبلي مقدماً علي ولاء العقيدة ومثل هذا أصبح دافعا للباحث لدراسة الوضع القبلي الصومالي ، ومدي تأثيره في

السياسة الصومالية ، ويعرض الباحث في البحث أثر القبلية في السياسة الصومالية ومجالات الحياة اليومية . ومن ثم يتطرق للعادات والتقاليد الصومالية القديمة والتزاوج والشعر ، ومكانة الرجل والمرأة في المجتمع الصومالي ، والشعر الصومالي بوحداته المختلفة والأغاني الصومالية والأمثال والشعراء أنفسهم وأشعارهم والقانون الصومالي(الحير) وكذلك الأحزاب السياسية بعد الاستقلال المبنية علي القبلية والطائفية ، وكيفية تناولهم للسلطة وأنساب القبائل الصومالية ، وإدارات الحكومات المدنية والعسكرية المتعاقبة والتفكير الصومالي والحكم العسكري وأطروحاته وسياسته تجاه القبيلة ، وأسباب الحرب بين إثيوبيا والصومال ومدي انعكاسها علي الحياة في الصومال .. وإحياء سياد بري النظام القبلي بعد فشله في إحراز أي تقدم نحو الأهداف التي أعلنها في بداية ثورته العسكرية .

ويتطرق الباحث أيضا للمعارضة الصومالية وصراعها مع الحكم العسكري القبلي ودور الأمم المتحدة في انهيار الصومال واختلاط القبلية بالسياسة ، وكيف يحكم الصومال ؟ بالقوة أم بالوصاية؟ أم بحكم عسكري عادي ؟ والمصالحات الوطنية وفشلها. وحاول الباحث عرض جميع الأشياء المذكورة بصورة بعيدة عن العاطفة والخيال وبصورة دقيقة ويذكر الأشياء بكل صراحة وعدم تحفظ ولو أن الصوماليين لايرحبون بمثل هذا الأسلوب إلا أن الباحث حاول تخطي ذلك .

وبما أن الباحث ملم بالأدب الصومالي بأشعاره وأغانيه والأدب النثري الصومالي والأمثال الصومالية ، فهو يركز علي الشعر الصومالي .

والأغاني الصومالية والأدب الصومالي عموما ، والأدب الصومالي من أخطر وسائل الدعاية بين القبائل الصومالية ، ورغم وجود الإذاعة الحديثة والتلفزيون في العالم إلا أن الصومال مازالت تتمسك بعاداتها الشعرية وتفتخر بشعرائها ، ومازال الشعر والشعراء الصوماليون محترمين لدي أوساط القبائل الصومالية لكونهم مدافعين عن شرفها ، ويكرر الباحث داخل البحث أشعارا كثيرة وأمثالا وأغاني لضرورتها في هذا المجال ، فمثلا سلسلة (قبه) GUBA باللغة الصومالية أي المحرقة ، ويعرض الباحث في بعض المرات القصص الصومالية التي توحي بمدي إيمان الصوماليين بالحرب والصراع القبلي ، والثقافة الحربية النابعة من هذه الأمثال والقصص .

والدوافع التي كلفت الباحث اختيار هذا الموضوع هي :

١- المشكلة الصومالية القبلية والتي أدت إلي انهيار النظام الحكومي في الصومال ،

والتي لم يدرك العالم كنهها ويستوي في ذلك العالم الغربي والعالم العربي الإسلامي ، لكون الباحث شخصية صومالية ولديه دراية باللغة والأدب والعادات الصومالية ، فهو يقوم بتوضيح المشكلة الصوماليةالمعقدة القبلية .

٢- قلة المعلومات التي كتبت عن هذا الموضوع والتي معظمها ينحصر في الأحداث الأخيرة في الصومال .

٣- السياسة الصومالية العقدة المختلطة بالقبلية ، حيث يوضح الباحث بعضاً من ملابساتها .

٤-،الصراع الحقيقي بين الفصائل والقبائل الصومالية .

٥- إيمان أهل الصومال بالحرب والثأر والانتقام .

والمدة الزمنية لهذا البحث تبدأ من عام ١٩٦٠م إلي عام ١٩٩٧م ومابعد ذلك من تفكك الحكومة الصومالية والحروب الأهلية ، ولايكون الباحث مختصرا على هذا فقط ، بل يتطرق إلي ماقبل الاستعمار والصراعات القبلية الصومالية القديمة ، ويزي لهذا البحث أهمية كبيرة للمهتمين بالأوضاع السياسية الصومالية إذ يوضح التقاليد الصومالية والأعراف السائدة في الصومال ، ويركز علي المشكلة البحثية القائمة علي العقدة القبلية الصومالية ، أهي مشكلة داخلية توارثها المجتمع الصومالي عبر الأجيال أم هي مشكلة خارجية زرعها وخلفها الإستعمار؟ أم تفاعل بين المشكلتين معا ؟

أسئلة البحث :

- ما الذي سبب عدم استقرار السياسة الصومالية؟
- ماهي المشكلة الصومالية؟
- هل هي مشكلة سياسية ؟
- أم هي مشكلة قبلية؟
- هل هي نابعة عن عدم فهم معني الدولة الحديثة ؟
- هل هي خلافات سياسية بين قادة الفصائل المتناحرة ؟
- هل المجتمع الصومالي مجتمع قبلي عشائري بحت لايقبل الأفكار والأيديولوجيات السياسية .- هل هي نابعة من التنوع الثقافي الموروث من الاستعمار البريطاني والإيطالي؟
- هل يوجد في الصومال أفكار وأحزاب وتكتلات سياسية مثلما يوجد في العالم المتقدم والنامي ؟

تكون الرقعة الجغرافية لهذا البحث منطقة جمهورية الصومال أو بعبارة أضح الإقليمان الشمالي والجنوب اللذان استقلا عام ١٩٦٠م من الاستعمار البريطاني والايطالي .

والمنهج الذي تبعه الباحث مكون من ثلاثة مناهج متداخلة ، المنهج التاريخي إذ يعرض الباحث الأحداث التاريخية ، ثم يصف الأحداث متبعا المنهج الوصفي ، ثم يحلل الأحداث متبعا المنهج التحليلي ، فيكون إذن متبعا لثلاثة مناهج هي المنهج التاريخي والمنهج الوصفي والمنهج التحليلي .

ويعتبر البحث مكتبيا إذ يستخدم الباحث المصادر والمراجع العربية والإنجليزية والصومالية والدوريات والصحف والمجلات والمقابلات مع الطلبة الصوماليين وبعض رجال الأعمال بالسودان .

مصطلحات البحث :

قبة : Guba باللغة الصومالية تعني بالعربية المحرقة سلسلة شعرية صومالية بدأت عام ١٩١١م تقريبا ١٩٤٦م ولايوجد لها تاريخ محدد .

قورتي :Quurti باللغة الصومالية تعني بالعربية مجلس الشيوخ

الدالية : Deelay سلسلة شعرية صومالية تبدأ بحرف الدال وهي باللغة الصومالي

(ديلي) : Deelay بدأت عام ١٩٧٩م - ١٩٨٠م

العاقل : Caaqil شخ القبيلة أدني من السلطان درجة

الحير : Xeer القانون

الحركة الوطنية الصومالية SNM تمثل قبائل إسحاق

حركة الخلاص الصومالي الديمقراطي (SSDF) تمثل قبيلة مجرتين

المؤتمر الصومالي الموحد (USC) يمثل القبائل الهاوية

الحركة القومية الصومالية (SPM) تمثل قبيلة أوجادين

الأصول الصومالية :

الروايات الشفاهية حول أصول الصوماليين توضح أنهم ينقسمون إلي ثلاثة أقسام أولا : الأشا : ويرجعهم علماء السلالات إلي أصول سامية ، ذلك لأنهم ينحدون من شيخ إسحاق بن أحمد وشيخ إسماعيل الجبرتي (دارود) اللذين تزوجا من نساء

حاميات علي حد الروايات الصومالية .

ثانيا : الهاوية : وصفوا بأنهم من أصول حامية بحتة وينحدرون من مجموعات حامية تسكن بالقرب من شواطيء البحر الأحمر وخليج عدن اختلطت وتزاوجت مع ا لعرب النازحين من الجزيرة العربية ، ولو أنهم أي الهاوية يزعمون أن نسبهم ينحدر من عقيل بن أبي طالب .

ثالثا : المجموعة التي عرفت بالسبالوه يتكونون من المجموعات ذات الوضع الاجتماعي المتدني وينقسمون إلي أربعة : مدقان - موسي طويو - بيرو - تمال ، ويقومون بالأعمال التي تأنف منها القبائل الصومالية الأخري ، مثل الحدادة ، وصناعة الأحذية والحلاقة وكنس الأرض ، وهم يمثلون في الصومال مثل (الحلب) في السودان .

ولايتم تزواج بينهم وبين القبائل الصومالية الأخري لأن الصومال تؤمن بحماية النسب وشرف القبيلة من ناحية الزواج (٥) أما انتساب كل قبيلة إلي النبي أو آل بيته فما هي في حقيقتها إلا المحبة والمودة التي سادت بين الشعب الصومالي وبين العرب بحكم الجوار والدين ، كما أنها من ناحية أخري دليل قاطع علي الصلات التي قامت بين هذين الشعبين ، والتي أدت في بعض الأحيان إلي انتماء بعض القبائل الصومالية إلي أشراف قريش ، فضلا عن ذلك نتج عن الروح القتالية الصومالية التي كانت بين القبائل في العصور الوسطي ، وجدت بعض القبائل التي لاحول لها ولا قوة تجعلها أمام الغزوات والحروب القبلية لقلة عددها فإذا ادعت مثل هذه القبائل من الأشراف وأبناء بنت رسول الله فاطمة فستجد الاحترام لأن من عقيدة الصوماليين الاحترام التام لكل من ينتسب إلي النبي صلي الله عليه وسلم وآل بيته (٦) وتفتخر بعض القبائل الصومالية بأنها أعلي شأنها من القبائل الأخري بسبب عروبتها .

تقع هذه الدراسة في أربعة فصول وخاتمة بالإضافة إلي الملاحق والخرائط والأشكال وقائمة المصادر والمراجع .

الفصل الأول : يتناول الباحث فيه جغرافية الصومال ونبذة تاريخية عن دخول الإسلام فيه ، ثم يتطرق إلي التركيب القبلي الصومالي متناولا النظام القبلي الإفريقي بصورة عامة والنظام القبلي العربي في العصر الاهلي ، ثم العادات والتقاليد الصومالية والزواج وطرق تقسيم عملهم والنظام (الحير) أي القانون الصومالي والشعر وأقسامه ودوره في إثارة الحروب وإخمادها .

الفصل الثاني : يتناول الباحث فيه التطور السياسي في الصومال أثناء الأستعمار

ونشأة الأحزاب السياسية وعددها ، ومنطلقات أفكارها ، والقبائل الصومالية وتنداول السلطة فيما بينها .

الفصل الثالث : يتحدث فيه عن الانقلاب العسكري عام ١٩٦٩م ، وأطروحاته السياسية وسياسته تجاه القبلية والأسباب التي إدت إلي الحرب الأثيوبية الصومالية ، وإحياء سياد بري النظام القبلي الصومالي القديم بعد فشله في الحرب والأنعكاسات الحربية علي استقرار السياسة الصومالية.

الفصل الرابع : يتحدث فيه عن تفكك الجبهة الداخلية وانطلاق الجبهات المعارضة علي أسس إقليمية وقبلية ، والصومال والدولة الحديثة واختلاط السياسة بالقبلية والحروب الأهلية ، ومدي تأثيرها علي وحدة الصومال ، والمصالحات الوطنية وفشلها ، ثم يتطرق الباحث إلي الكيفية التي يحكم بها الصومال علي أسس قبلية؟ أم حكم عسكري عادل ؟ أم فيدرالية ؟ أم بالقوة ؟

يقول علماء الاجتماع إن اللغة وعاء لوحدة الفكرة والهدف ولغياب هذا العنصر حل التمزق والتفكك (٧) ورغم أن الصوماليين يتمتعون بوحدة اللغة في إفريقيا أي إفريقيا جنوب الصحراء إلا أن هذا لم يوحدهم بسبب التنافس القبلي المرير .

إن في اللغة الصومالية أدبا عظيما قيما يتناقله الناس من فم إلي فم ، ويمكننا بسهولة تامة أن نقارن هذه الآداب بآداب الأمم الأخري ولو أن بعض كتاب العرب يقولون لايمتلك الأفارقة أدبا وإن أدبهم إن وجد يختلط بالأدب الإنجليزي الموروث من الإنجليز أو الأدب الفرنسي الموروث أيضا من فرنسا ، إلا أن الصومال تتمتع بآدب قوي ذي أثر علي الصوماليين ، والمشكلة أنه مكتوب باللغة الصومالية ولايفهمه إلا الصوماليون وأن أي إنسان له اتصال وثيق بعادات الصوماليين فإنه سيجد حتما أن أغلب العادات الأدبية لها مغزي اجتماعي عميق (٨) واللغة الصومالية لغة معقدة لايتعلمها أي شخص حتي يمكث طويلا في الصومال مثل المستشرق البريطاني بروفيسور أندروكس الذي تخصص في الادب والعادات الصومالية وأجاد اللغة الصومالية ، ففي اللغة الصومالي طبقتان واضحتان من المفردات اللغوية تستعمل أحداهما في الحديث العادي ، بينما تقتصر الأخري علي الأشعار والأمثال ، وهذه المجموعة الأخيرة من المفردات اللغوية هي التي يمكن أن يطلق عليها الأدب الصومالي ، وتستخدم كلمات كثيرة مهجورة ، كما أن القصائد الشعرية صيغت من كلمات من أصل صومالي ، وبعضها استعيرت من اللغة العربية لقرب الثقافتين من عقل

الشاعر ، وتوجد أشعار باللغة العربية نظمها الصوماليون مثل شعر التصوف ، وأشعار أخري قديمة مثل أشعار السيد محمد عبدالله حسن ، وأشعار لايخلو بيت واحد منها من الكلمات العربية مثل شعر حاج آدم افقلوع ، وتستخدم إذاعة BBC القسم الصومالي اللغة الصومالية البحتة من المفردات الأدبية القديمة . وترجمت كل العلوم السياسية والقانون إلي مفردات صومالية وحتي الرياضيات قد أخذت نصيبها من الترجمة في عهد سياد بري ، مما أدي إلي أن تتقوي اللغة الصومالية بحسبانها لغة وطنية .

واللغة الصومالية لها كيان مبني علي قواعد نحوية راقية ، وتتحدث الصومال كلها باللغة الصومالية ، وهذا لايمنع من وجود لهجتين ، هي اللغة الصومالية العادية العامة ، ولهجة الراحنوين ، واللغة العامة هي لغة أكثرية الشعب ، وتستعمل في الإذاعة وكل الكتابات الرسمية من الأفراد ومكاتب الحكومة وكافة الأقاليم الصومالية غير أنه يوجد اختلاف في النطق في الكلمات بين الصوماليين واستخدام المفردات بين كل منطقة وأخري بصورة معينة، إلا أن المجتمع الصومالي كله يتفاهم باللغة الصومالية العامة بسهولة .

أما لهجة الراحنوين فلا يمكن فهمها بسرعة لمن يتكلم باللغة الصومالية العامة(٩) ولذا تقول إن اللغة الصومالية المؤسسة علي الأدب هي التي أدت إلي عدم فهم لكنة الصوماليين بالنسبة للأجانب ووصول الحقيقة ومايدور في دواخل أهل الصومال والتي تودي أولا إلي فهم مقاصد الصوماليين ولغتهم وعاداتهم وطريقة تفكيرهم ونفسياتهم ، وأي شخص أجنبي يمكث في الصومال فترة من الزمن يستطيع أن يلاحظ ملامح الصوماليين ، ومن المؤكد أنه سيجد لكل قبيلة ملامحها الخاصة وطريقة كلامها وحديثها ، وحتي ملامح الوجه والجسم واللون والقامة ، وكان الصوماليون القدماء يعرفون حتي العظام عن طريق لمس يد الرجل ويعرف قبيلة الشخص دون أن يسأل عنها بالتجربة والممارسة الطويلة .

الدراسات السابقة :

ارتكز الباحث علي عدد من المصادر الأصلية والمراجع سواء العربية منها أو الإنجليزية أو الصومالية ، وكذلك الأشعار المسجلة علي الأشرطة ، والقصص التي تروي شفاهة ، وقد تم إيرادها كاملا في نهاية البحث .

ومن المراجع العربية مايلي :

١- عبدالعزيز المهنا ١٩٩١م الصومال بين حياتين الحياة القبلية وبناء الدولة يتحدث فيه المؤلف عن الحياة القبلية الصومالية والتركيب القبلي الصومالي والتنافس القبلي بين القبائل الصومالية الكبري ، ولكون المؤلف غير صومالي فإنه قد وقع في أخطاء فى نسبة التركيب القبلي والأنساب ، ويركّز المؤلف علي الأوضاع الأخيرة في الصومال .

٢- د. حسن مكي محمد أحمد ١٩٩٠م: السياسات الثقافية للصومال الكبير ١٨٨٧-١٩٨٦م ، ولو أن المؤلف يركز علي السياسة الثقافية للصومال الكبير كلها إلا أنه أيضا يتطرق للعادات والتقاليد الصومالية ، والشعر الصومالي ، وسياسة الصومال القبلية وكل مجالات الحياة الصومالية ، وهو كتاب فريد في نوعه ويعتبر مرجعا أساسيا لكل من يهتم بالأمور الصومالية .

٣-حمدي السيد السالم ١٩٦٥م الصومال قديما وحديثا ، ويتكون من جزئين وراجع الباحث الجزء الثاني ، ويتناول فيه المؤلف جوانب متعددة مثل السياسة الصومالية والأحزاب السياسية الصومالية ، والحياة الاجتماعية الصومالية والأعياد القومية وخصائص المجتمع الصومالي .

٤- د. جلال يحيي ١٩٦١م : مشكلة القرن الإفريقي وقضية شعب الصومالي ، يتناول فيه المؤلف الصراع بين إثيوبيا والصومال حول الحدود والأحزاب السياسية الصومالية والصراع الدولي في المنطقة .

٥- د. علي الشيخ أحمد ١٩٩٢م : الصومال وجذور المأساة ويركز المؤلف فيه علي النظام العسكري ومدي مسئوليته في تدمير الصومال والحرب بين إثيوبيا والصومال وتدمير القوي العسكرية الصومالية .

٦- محمد محمود محمدين ١٩٧٣م: دراسات في الأدب الصومالي يتناول فيه المؤلف الأدب الصومالي بصورة عامة والشعر وأعاني العمل ، والقصص والعادات والتقاليد الصومالية وهي دراسة ميدانية قام بها المؤلف في السبعينات .

٧- الشيخ موجي سمتر ١٩٩٥م ، التقليد المتوارث في توليه الأجناس عند العيس : ويتحدث فيه المؤلف عن تولية الأجناس عند العيس ونسب قبيلة العيس ومجالسهم التقليدية والعادات والتقاليد عندهم .

٨- خالد رياض: الصومال الوعي الغائب١٩٩٤م: يتحدث فيه المؤلف عن الأسباب الحقيقية التي يري المؤلف أنها أدت إلي انهيار الصومال مركزا علي الأسباب الداخلية والخارجية والمشاكل القبلية الصومالية والمصالحات الوطنية .

٩- د. محاسن عبدالقادر حاج الصافي : ١٩٩٨م : المسألة الصومالية في كينيا ، تتحدث فيه المؤلفة عن الأنساب والأصول الصومالية وتركز علي منطقة انغدي الصومالية الواقعة تحت سيطرة الحكومة الكينية .

المراجع الإنجليزية :

١٠- Hussei Ali Duiale : from barre to aidid , 1994

يتحدث المؤلف ، وهو دبلوماسي سابق عن القبائل الصومالية ومعاركها المختلفة عبر الزمن بين القبائل الثلاثة الكبري ، ويلقي باللائمة علي سياد بري ويتحدث مركزا وشارحا شخصية سياد بري ومدي مسئوليته في تدمير الصومال والنسب القبلي والتنافس الحقيقي بين القبائل الصومالية ، ويتعرض لدراسة بعض قادة الفصائل الصومالية .

١١- An Arican watch Report : a Government At war with itsown peoole 1990

يتناول الكتاب وهو علي شكل تقرير أعدته (أفريكان ووتش-) الأحداث الأخيرة في الصومال والحرب الأهلية والتطهير العرقي لقبائل الإسحاقية ويورد حقائق كثيرة ، ويقوم باستفتاء الأشخاص الناجين من القتل.

١٢- David Laitn and SaidS. Samalar : Somalia Nation in search of state 1987

يتناول فيه المؤلفان السياسة والأدب الصومالي وسياسة الحكومة العسكرية والمعارضة الصومالية لحكم سياد بري والقبائل الصومالية وصراعها علي السلطة والاقتصاد الصومالي.

المراجع الصومالية :

١٣- Axmed sh- cali: xeerkii sommaqlidii hore 1977

وهو باللغة الصومالية: ويتناول فيه المؤلف الحير Xeer القانون الصومالى القديم ويتعرض للقوانين الصومالية المختلفة ، قانون أهل الإبل والرعاة بصفة عامة ، وقانون أهل الزراعة وجميع القوانين الصومالية القديمة .

١٤- Gudiga caalamiga AH EE Laanqayrta Cas biri-ma- geydo Lama dilaan) Hab dhqqnkii hore EE colaada 1997

هذا الكتاب مكتوب باللغة الصومالية وأعدته لجنة من الصوماليين المتخصصين بالشئون الصومالية وخاصة تاريخ الصومال والعادات والتقاليد الصومالية ، وهو بحث يشمل الأقاليم

الصومالية ، ويتناول كيفية المصالحات الوطنية بين القبائل الصومالية القديمة والأشياء المحرمة بينهم أثناء الحرب وطبعت هذا الكتاب هيئة الصليب الأحمر الدولي والهلال الأحمر .

الوثـائق :

١٥- اتفاقية بورما ١٩٩٣م - وضعته اللجان المنبثقة عن المؤتمر ، في الأقاليم الشمالية وتوضح اختصاصات الرئيس والبرلمان ومجلس الشيوخ وهي باللغة الصومالية .

١٦- اتفاقية سودي ١٩٩٧م وتوضح كيفية توزيع السلطة .بين القبائل الصومالية واختصاصات كل قبيلة ، ثم توضح أيضا اختصاصات مجلس الإنقاذ الذي وقع الاتفاقية ، وهي باللغة الصومالية.

١٧- اتفاقية القاهرة ١٩٩٧م تتناول كيفية توزيع السلطة والمجلس الرئاسي المكون من ثلاثة عشر عضوا ورئيس الوزراء وأسماء الموقعين وهي باللغة الإنجليزية ، وهذه بعض النماذج من الدراسات السابقة ، أما البقية فهي تقع في نهاية البحث.

هوامش المقدمة :

١- د. علي الشيخ أحمد أبوبكر ١٩٨٥م : الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الإفريقي أطروحة دكتوراه منشورة : المدينة المنورة الجامعة الإسلامية ص : ٥١

٢- د. زين العابدين عبدالحميد السراج ١٩٨٦م : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدن الساحل الصومالي ، رسالة دكتوراة غير منشورة ص : ١٦٣ جامعة القاهرة كلية الآداب قسم التاريخ .

٣- بيركيب هايتي سيلاسي : الصراع في القرن الإفريقي، ترجمة عفيف الرزاز ص : ١١٠ الأولي العربية ١٩٨٠م بيروت

٤- عبدالعزيز المهنا : الصومال بين حياتين الحياة القبلية وبناء الدولة ص : ١٩٧م ط/ الأولي ١٩٩١م الرياض المملكة العربية السعودية

٥- د. محاسن عبدالقادر حاج الصافي: المسألة الصومالية في كينيا . ٣ط/الأولي ١٩٩٨م الخرطوم دار هايل للطباعة

٦- عبدالرزاق حسين حسن : المسح اللغوي في الصومال وتأثير اللغة العربية في اللغة الصومالية ص: ١٢ جامعة قطر الدوحة ١٩٩١م

٧- إبراهيم عبدالله محمد: الهزيمة الثالثة : الكفاح التاريخي للصومال الغربي ص : ٢٤ط/ الأولي ١٩٨٢م: مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

٨- حمدي السيد السالم : الصومال قديما وحديثا ج/ ٢ ص : ٥٠٥ ط/ ١٩٦٥م ، القاهرة .

الفصل الأول : جغرافية وتاريخ الصومال

المبحث الأول : جغرافية الصومال

يقع الصومال بين دائرتي عرض ١٢ شمالا و٢ جنوبا ، وتمتد سواحله من جنوب باب المندب حتي رأس جاددافوي ثم علي طول المحيط الهندي ، وتبلغ هذه المساحة (٦٣٧٦٥٧) كم٢ وسكانها نحو ستة ملايين نسمة (١) .

وتقع الصومال داخل النطاق المداري الحار ، لذلك يتميز مناخه بارتفاع درجة الحرارة فيما عدا المناطق المرتفعة السطح والقريبة من المسطحات المائية- المحيط الهندي ، خليج عدن والتي تتميز باعتدال حرارتها .

.كما يتسم مناخ الصومال بقلة الأمطار التي لاتزيد عن بوصة واحدة ، ويساعد علي قلة الأمطار هنا أن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية صيفا والشمالية الشرقية شتاء ، تهب موازية للساحل مما لايساعد علي سقوط الأمطار (٢) وتجاور الصومال إثيوبيا من ناحية الغرب والجنوب الغربي وكينيا من ناحية الجنوب ، وجيبوتي من ناحية الشمال ، وكذلك قد كانت وماتزال حلقة اتصال بين الأقطار المطلة علي البحر الأحمر والمحيط الهندي ، وموقعها الجغرافي له أهمية استراتيجية بالغة لهذا سعت كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا للسيطرة علي بعض الجزر من أرض الصومال .

والواقع أن موقع الصومال حاليا له أهميته الخاصة بالنسبة للوطن العربي والعالم الإسلامي ، فهي تشرف علي المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وهذا مهم في زمن السلم والحرب ، وهي بذلك تمثل مدخلا للإسلام في قلب إفريقيا المدارية والاستوائية (٣) .

المبحث الثاني : دخول الإسلام في الصومال وتأسيس الإمارات الزيلعية

كان للصومال علاقات مع قدماء المصريين (الفراعنة) وكانت علاقاتها بهم علاقات تجارية ، وساعد علي ذلك أن المصريين في ذلك الوقت وفي ظل حضارتهم المتقدمة كانوا يستوردون منها الأخشاب والبخور ، وكانت سهولة الوصول إلي ساحل الصومال عن طريق البحر خير مشجع علي قيام هذا النوع من التجارة ، وقد عرف الفراعنة تلك البلاد باسم بلاد (بونت) وحفظ التاريخ المصري القديم سيرة أصلها ومنتجاتها (٤) .

دخل الإسلام الصومال منذ أيامه الأولي ، وبدخوله انتهت تقريبا فترة الهدوء والاستقرار التي خيمت علي الصومال ردحا من الزمان . حيث بدأ الصراع الإسلامي المسيحي في المنطقة – وتحديد تاريخ دخول الإسلام في الصومال من النقط الهامة لأن له علاقة قوية ووثيقة بنضال شعب الصومال .

وفي الواقع أن تاريخ دخول الإسلام في الصومال هو موضع اختلاف بين كثير من الكتاب والمؤرخين المعاصرين ، فاختلفت آراؤهم ، وتباينت وجهات نظرهم بعدم توافر المعلومات الكافية التي تحدد ذلك التاريخ ، والمعتقد أن أرجح الأدلة وأقربها إلي الحقيقة ماذهب إليه بعض المؤرخين من أن الإسلام ظهر في الصومال قبل هجرة الرسول إلي المدينة المنورة عن طريق الصحابة المهاجرين إلي الحبشة (٥) وكانت الهجرات العربية إلي الساحل الصومالي في العصور الوسطي نتيجة لعوامل متعددة أبرزها المنازعات الدينية والسياسية التي ثارت بين المسلمين وبخاصة في عهد الدولتين الأموية والعباسية ، ومن الطبيعي أن تنتقل هذه الجماعات المهاجرة من سواحل شبه الجزيرة العربية وأن تنقل معها صوراً من الحضارة العربية الإسلامية إلي الصومال ، وكان أبرزها إنشاء المنازل العربية والمراكز التجارية وإنتشار الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية وبخاصة في ارتريا والصومال وزنجبار(٦) .

دول الطراز الإسلامي :

تأسست دول الطرار الإسلامي في القرن الثالث عشر الميلادي ، يقول المقريزي (كان أول قيام هذه الدول أن قوما من قريش قدموا من الحجاز ونزلوا أرض جبرت ، وهي أراضي الزيلع واستوطنوها وأقاموا بمدينة أوفات) .(٧)

يقول القلقشندي في صبح الأعشي إن دول الطراز الإسلامي تقع علي أعالي بحر القلزم ، ومايتصل به من بحر الهند ويعبر عنها بالطراز الإسلامي لأنها علي جانب البحر كالطراز له وهي البلاد التي يقال لها بمصر والشام بلاد الزيلغ ، والزيلع هي قرية من قراها غلب عليها اسمها ، وتشتمل هذه البلاد علي سبع قواعد كل قاعدة منها مملكة مستقلة يقوم عليها ملك مستقل.

أما ممالكها السبع فهي أوفات أو إيفات ٢ – داوارو ٣– أرابيني ٤– هدية ٥– شرفا ٦– بالي ٧ – دارة ، ويتسلط الحطي ملك أمهرة علي هذه الممالك ويأخذ من أهلها القطعية من المال في كل سنة ، وهي قماش وغيره ، وهذه الممالك السبع ضعيفة البناء قليلة الغناء لضعف تركيبة أهلها وقلة محصول بلادهم وتسلط النجاشي سلطان

أمهرا عليهم مع مابينهم من عداوة في الدين ومباينة مابين النصاري والمسلمين ، وهم مع ذلك كلمتهم متفرقة وذات بينهم فاسدة .

وأعتقد أنه لو اتفق هؤلاء الملوك السبعة وأصلحوا ذات بينهم لاستطاعوا مدافعة الخطي ، ولكنهم مع ماهم عليه من الضعف وافتراق الكلمة متنافسون فيما بينهم ويورد صاحب فتوح الحبشة الحرب بين الإمام أحمد بن إبراهيم جرين وبين السلطان أبي بكر (٩) والثابت أن الإمام أحمد وحد كلمة الصومال في العصور الوسطي لأول مرة في تاريخه وكون لها إدارة موحدة .

المفهوم القبلي عند علماء الأجناس المعاصرين :

الأستاذ ويفرز (Rivers) كتب مقالاً عن القبيلة Tribe في الموسوعة البريطانية طبعة ١٩٧١م علي النحو التالي :.

(القبيلة هي مجموعة اجتماعية من نوع بسي تتكلم لهجة واحدة ولها حكومة واحدة تتحد في رد الفعل السلوكي في المواقف المتعلقة بالحرب مثلا) والغريب في هذا التعريف أنه يتجاهل تماما البعد السلالي للقبيلة وهو عامل مهم في تكوينها بالرغم من أهمية عامل التآلف والمعاشرة ، ولايمكن لأحد أن ينكر أهمية العامل السلالي فإن الالتحام والتماسك والتناصر بين أبناء القبيلة إنما ينبعث اساسا من الإحساس السلالي العرقي ، وأن الجميع ينحدرون من سلف واحد وتربط بينهم أواصر الدم والقربي الرحمية ، ولكن علي الرغم من ذلك فإن عوامل الانتماء لوطن واحد والتفاعل الاجتماعي والاشتراك في اسم واحد (بنو فلان) هذا الي جانب خصائص عرقية مشتركة تشكل أساسا سلبا للشعور بالعصبية العرقية السلالية (١٠) .

وعلماء السلالات الطبيعية يركزون علي مفهوم العرق ، فهم يركزون علي الصفات الجسمانية وفق معايير وصفية قياسية معينة ، أما علماء السلالات الاجتماعية فإنهم يؤكدون علي الجانب الاجتماعي وجانب التفاعل الثقافي والاجتماعي في مفهوم العرق ، فالاشتباك في اللغة والانتماء والآمال والمصالح والوجدان هي اساس الانتماء العرقي عندهم .

والواقع أن البعدين السلالي والاجتماعي يتحدان لتكوين مفهوم القبيلة والانتماء القبلي ، ولعله من المثير أن الكلمات العربية التي تشير إلي القبيلة تحمل معني الوجود في حيز مكاني مشترك ، فالقبيلة تشتق من التقابل والإنتماء والتجاوز في رقعة أرضية مشتركة متقاربة ، وأما لفظ العشيرة فإنه مشتق من المعاشرة أي الاختلاط الحميم

والإلتصاق والتماسك ، فعشيرة المرء هم أولئك الناس الذين يعيش وسطهم ومعهم ويشاركهم في السراء والضراء وفي الآمال والمصالح والأحزان والوجدان وهي النوع الذي ينتمي إليه والفصيلة التي يأوي إليها للحماية والأنس ويحيا معها حياتها الاجتماعية ولقد اعترف الإسلام بالأساس السلالي للقرابة ولصلة الدم والقربي الرحمية وجعل آصرة الرحم والدم أساسا للتراحم والتلاحم والود والبر والإحسان فأرسل الأنبياء والمرسلين إلي أقوامهم وكان خطاب هؤلاء الأنبياء والرسل كلهم ومنهم محمد صلي الله عليه وسلم خطابا قوميا (ياقوم ، ياقوم) وجعل الآصرة الرحمية أصلا للتراحم والتكافل بين المسلمين قال تعالي (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامي والمساكين وابن السبيل) (البقرة آية ٢١٥) .

إذن فالإسلام يعترف بالجانب السلالي ويوجهه إلي عمل الخير ويتخذ منه وسيلة لتشجيع التكافل والتراحم بين الناس لما يوجد فيه من دافع طبيعي إلى التوادد والتراحم وفي نفس الوقت ينهي عن التطرف في تاكيد آصرة القربي والدم وجعلها فوق آصرة العقيدة والدين ، كما نهي أن تنحط آصرة القربي إلي عنصرية بغيضة (١١) إن التكوين الأسري وتطوره إلي التنظيم الاجتماعي المتمثل في العشائر والقبائل لهو أقدم هذه التكوينات والتنظيمات البشرية التي شهدها التاريخ ، ولقد عرفت هذه التكوينات والتنظيمات مفهوم السلطة منذ القدم ، فلم تشهد البشرية عهدا كانت الحياة فيه همجا بلا وازع ، بل كان هناك دائما شيخ القبيلة أو كبير السن أو الحكيم ، مما يدل علي أن هذه التنظيمات تنظيمات فطرية طبيعية ، فقد كانت السلطة في البداية في يد حكيم القبيلة أو أكبرها سنا وبالتالي أكثرها خبرة وتجربة ومعرفة بأسرار الحياة ، وفي البداية وخاصة عند العرب والجنس السامي عموما كانت السيادة تتجسد في شيوخ القبيلة أو كبراء النسب فيها وكان الشيخ أو كبير السن يكتسب المجد لا بالقهر أو الاستيلاء والبطش ولكنه يكتسب المجد مما يبذله له أفراد القبيلة من الحب والولاء والإكرام ولصفاته الذاتية التي تؤهله لذلك كالكرم والشجاعة فكان العرب يقولون (فلان بن فلان ساد قومه لكرمه وشجاعته ورجاحة عقله) (١٢) ومهما يكن من شيء فإن التنظيم الاجتماعي الذي يقوم علي العصبية والولاء القبلي السلالي كان أقدم أنواع العمران البشري ، وكان رؤساء القبيلة وشيوخها هم السلطة التي تبسط الأمن وتحكم بين الناس ، وهذا الحكم القبلي والعشائري هو أقدم أنواع الحكم ، وكان سابقا علي الحكومة المدنية عند الإغريق حيث كانت تقوم علي الولاء للقوم أي الإغريق الخلصاء من

غير المهجنين ، علي أن يكونوا ذكورا وإحرارا من سلالة إغريقية خالصة ، ولقد شهدت اليونان القديمة أول شكل للحكومة القديمة التي تعتمد علي الولاء القومي ، ومن هنا ندرك أن القومية لم تكن سوي وتعبير متطور لمفهوم الولاء العشائري القبلي .

الإسلام يقر الولاء القبلي :

إن القرآن الكريم يقر الولاء القبلي وآيات الكتاب العزيز تدل علي أن التنظيم الذي يقوم علي آصرة الرحم والقرابة والقبيلة إنما هو تنظيم إلهي ، قال تعالي : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات ٣٩ - ١٣ إن هذه الآية الكريمة توضح صراحة إن الله جعلنا شعوبا وقبائل ، وإن هذه الإشارة تدل علي أن هذا التنظيم سنة من سنن الله في الخلق وأنه لذلك أمر باق مستقر إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فليست المشكلة هي وجود القبيلة أو العشائرية ، ولكن المشكلة هي أن ينقلب الولاء العشائري القبلي إلي تعصب ممقوت للقبيلة وإلي نصرة عنصرية بغيضة تكون مدخلا للنزعة الاستكبارية التي طرد بسببها إبليس من الجنة (١٣) .

الولاء القبلي وميثاق الالتزام الأخلاقي :

إن من أعظم ثمرات الولاء القبلي هو مراعاة مكارم الآخلاق وحسن السلوك الذي يمثل الإرث الروحي للقبيلة ، ولقد كانت قبائل العرب مثلا تتفاخر بمدي التزامها بمكارم الأخلاق خاصة صفات الكرم وحب المجد وحماية الصغير وإغاثة الملهوف وإطعام الجائع وتأديب العصاة ورد كيد المعتدين الظالمين ، ويؤكد هذا المعني عمر ابن كلثوم في معلقته حيث يفخر بشجاعة قومه وشدة بأسهم .

ملأنا البر حتي ضاق عنا وماء البحر نملؤه سفينا
ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا
إذ بلغ الفطام لنا صبي تخر له الجبابر ساجدينا
إلا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

إن الانتماء القبلي كان بمثابة ميثاق يلتزم به أفراد القبيلة ، وكانت القبائل العربية تخلع من لايلتزم بالسلوك القبلي السليم ، وكانت عادة الخلع هذه بمثابة عقوبة قاسية لأولئك الأفراد المتمردين علي ميثاق الالتزام بمكارم الأخلاق ، وكان الخلعاء تهدر دماؤهم في بعض الأحيان ، وتعلن القبيلة وعلي رأسها ذوو قرابة الرجل الخليع أنهم لن يطالبوا بدم الخليع إذ ما قتل ولايطلبون ثأره (١٤) .

النظم السياسية التقليدية في إفريقيا :

في دراستنا للنظم السياسية التقليدية في إفريقيا لأتستطيع التسليم بتطابق هذه النظم التقليدية وتواكبها تطورا ونصحا ، حيث إن الخبرات التاريخية التي تؤثر فيها علاقات الجوار والموقع الجغرافي والمعتقد السائد تختلف من منطقة لأخري ومن عشيرة لأخري ، ولكن يمكننا الحديث عموما عن نمطين أساسيين للتنظيم السياسي التقليدي في إفريقيا .

النمط الأول : قبائل ذات كيانات متعددة بنظم سياسية مختلفة تحكم نفسها بنفسها .

النمط الثاني :" قبائل تخضع لحكم أو حماية قبائل أخري سواء كان ذلك طوعا أو كرها .

ويتميز كل نمط عن الآخر حسب التنظيم السياسي السائد فيه ، ففي النمط الأول تتمتع هذه المجتمعات بالسلطة المركزية بفروعها القضائية والإدارية ويكون علي رأسها رئيس أو شيخ القبيلة مما جعل علماء السلالات يسمونها مجتمعات الدولة أو مجتمعات السلة المركزية ، وينطوي هذا النمط علي المجتمعات فانتي في غانا ، واليروبا في نيجيريا ، والموس Mossi في بوركينا فاسو والسوزاي والزولو في جنوب إفريقيا ، وقد دأب علماء السلالات علي تسمية المجتمعات التي تستغني عن الحكم المركزي أو الرئيسي بمجتمعات بلا دولة State less Siociety وينطوي في هذا النمط مجتمعات إيبو Iybo في نيجيريا والكرو Kro في ليبيريا والتلنس Tlensi في غانا والكون كومياكون kon kombakon في توغوا والفولاني في نيجيريا ، والصوماليون ، وكذا الجي Jie في اوغندا والأمبري Mbere في كينيا (١٥) ويرجع تكوين هذا النمط في المجتمع القبلي إلي شيخ القبيلة أو إلي أسلافه كما يحدث في أحيان كثيرة أن تلجأ إلي هذا المجتمع عنارص أخري من خارجه ، وقد يصغر حجم هذا المجتمع القبلي مثل الأميري في كينيا أو يكبر مثل الأيبو في نيجيريا ، وكثيرا ماتنشق أحد بطون القبيلة برئاسة شيخ العشيرة لأسباب سياسية مثل الاختلاف مع رئيس القبيلة أو اقتصادية مثل ضيق الرقعة الزراعية ، أو اجتماعية بكثرة الأبناء والأتباع ، وتؤسس هذه العشيرة المنشقة مجتمعها المستقل ، وهذا ماجعل هذا النمط أكثر شيوعا في إفريقيا (١٦) .

ولعدم وجود السلطة المركزية في هذه المجتمعات تعتمد الجماعة إلي نظام التمثيل من كل عشيرة بقدر العشائر التي يتكون منها المجتمع ، ودور هذه المجموعة المتمثلة هو الوصول إلي حلول للمنازعات وليس من حقها سن أحكام أو وضع عقوبات كما هو عند

النوير في جنوب السودان والتيف Tif والأيبو في نيجيريا والعرب البدو في شمال إفريقيا . وأما المجتمعات المركزية التي عرفت السلطة السياسية المركزية واستحكمت بهيئات ومناصب قيادية تتمتع بحق اتخاذ القرار والتنفيذ ؛ فقد استقرأ علماء السلالات أربع هيئات أساسية لحكومتها وهي :

الهيئة الأولي : القائد رئيسا كان أو ملكا

الهيئة الثانية : المجلس الخاص أو المستشارون.

الهيئة الثالثة : مجلس الشيوخ (الكبار) ويتكون من رؤساء العشائر التي يتكون منها المجتمع ، فإن كان مجتمع الولف في السنغال يتكون من عشر عشائر فمجلس شيوخ المملكة يتكون من عشرة شيوخ.

الهيئة الرابعة : جمعية سكان القرية الذين يجتمعون في المناسبات وفي الحالات الطارئة لاتخاذ القرارات (١٧) .

فمجلس الشيوخ سلطته تحديد شخص القائد ضمن من رشحوا له ، وله أيضا حق تعيينه دون الرجوع إلي الانتخابات بين المرشحين ، ثم يتولي الملك بعد ذلك تعيين مجلس المستشارين وهو المجلس الخاص ممن يثق فيهم من شخصيات القرية وحكمائها ، ومن هنا تكون سلطة الملك قائمة علي سلطة مجلس الشيوخ والمستشارين اللذين يخضعان كلاهما لجمعية سكان القرية ، التي تربطها الحكمة القائلة (السلطة تبقي حيث الجماعة) وكثيرا ماتحدد جمعية سكان القرية ناطقها الرسمي (١٨) .

رسم بياني لتوضيح الهيئات الأساسية والحكومة
الإفريقية التقليدية حسب الممارسة العملية

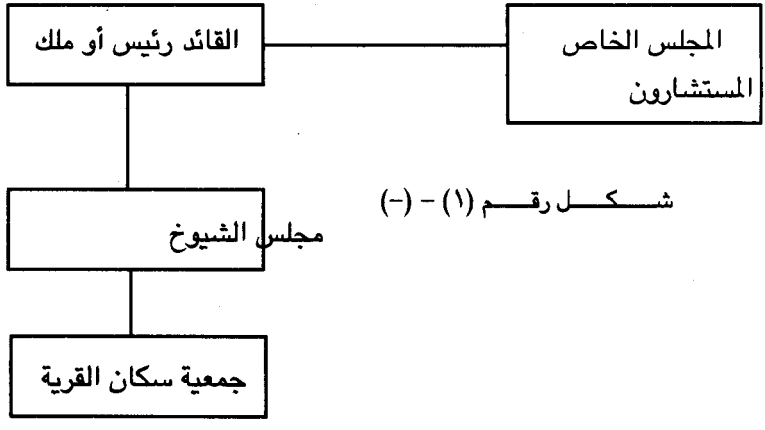

شـــكـــل رقـــم (١) - (-)

أصول الصوماليين :

علي الرغم من ندرة المعلومات عن أصل الصوماليين القديم ، فإن الشواهد تدل علي أن أهل الصومال ينتمون إلي المجموعة القوقازية ذات الثقافة الحامية الشرقية Eastern Hamites فقد نزحت الجماعات الحامية إلي أرض الصومال في موجات متعاقبة ، من آسيا ومن الجائر أن تكون من جنوب الجزيرة العربية ، ومن أهمها جماعات الجالا والصوماليون الأوائل وامتزجت هذه الجماعات بعد استقرارها بالعناصر الزنجية القديمة التي سبقتها إلي البقعة ، ونشأ عنهم ذلك العنصر السائد في المنطقة والذي يطلق عليه علماء السلالات البانتو إلا أن هذا الإختلاط لم يكن بدرجة واحدة في كافة المناطق أو بين مختلف القبائل التي تسكنها ، إذ ترتفع نسبة الحاميين الأكثر صفاء أو نقاء وأشد وضوحا إلي حد مابين الجهات الشمالية ، إذا ماقورنوا بسكان الجهات الجنوبية (١٩) .

أصل كلمة الصومال :

أما كلمة الصومال فأول ذكر لها في أنشودة حبشية تخلد انتصارات النجاشي اسحق(١٤١٤-١٤٩٩م) علي أوفاق إحدي الإمارات الصومالية الإسلامية التي سقطت عام ١٤١٥م ، ثم ترددت كلمة(صومال) بعد ذلك كثيرا في كتابات المؤرخين الذين جاءوا بعد تلك الفترة ، والحقيقة أن الكلمة مركبة من كلمتين هما (سو) بالسين بمعني (إذهب) (ومال) أي أجلب باللغة الصومالية ، فيكون معناها (إذهب وأجلب) ، ورغم إننا لم نعرف متي أطلقت هذه الكلمة علي شعب هذه المنطقة ومن الذي أطلقها إلا أنه نظرا لأن الشعب الصومالي شعب رعوي يعتمد في حياته علي هذه الحرفة ، وأن الحليب هو الغذاء الرئيسي للصوماليين وأفضل مايقدم للضيوف ، فإن الأجانب والمهاجرين الذين يرتادون هذه المنطقة أطلقوا عليها هذا الاسم لأنهم كانوا يسمعون عنها كثيرا من الرعاة (٢٠) ، وهناك تفاسير كثيرة لأصل كلمة(صوما ل) يوردها المؤرخون في المصادر والمراجع ولكن ليست كلمة الصومال مجال بحثنا هذا لأن أصول الكلمات تختلف فيها الآراء ووجهات النظر ولذا نكتفي بهذا القدر.

المبحث الثالث

التركيب القبلي في الصومال

المجتمع الصومالي من المجتمعات الإفريقية التي يطلق عليها علماء السلالات مجتمعات بلا دولة Stateless Society كما تحدثنا سابقا ويختلف المجتمع الصومالي عن بقية الدول الإفريقية في أنه مجتمع واحد ، أصوله واحدة وثقافته واحدة يدين جميعه بالإسلام وأرضه متصلة ببعضها رغم تقطيع أوصالها بين أربع دول مستعمرة هي فرنسا وانجلترا وايطاليا والحبشة (٢١) والقبيلة هي وحدة المجتمع الصومالي وقد نشأ هذا النظام لأن حرفة الرعي هي الحرفة الرئيسية التي يعمل بها ثلاثة أرباع الصوماليين ويرتبط الصوماليون بقبائل كالنظام القبلي العربي وتسمي القبيلة (تل) باللغة الصومالية أو قبيلوا وتليها في الأهمية(جلب) ثم (رير) ثم (حاس) وهي الأسرة المكونة من الزوج والزوجة والأطفال ويميل الصوماليون إلي تعدد الزوجات – في بعض المناطق– بسبب الرغبة في كثرة الأولاد للقيام بمهام الرعي المختلفة كرعي الأغنام والإبل وكذلك بسبب المفاخرة بكثرة الأولاد ويوزع الصومالي ثروته الحيوانية بين زوجاته وكل ما أضاف زوجة جديدة ، أعاد التقسيم مرة أخري وتقوم الزوجات بالرعي ويساعدهن في ذلك الأولاد ويطلق كلمة (به) أو (هبر) علي كل زوجة من الزوجات .

ومن أهم قبائل الشمال الإسحاقيون ، والإسحاقيون نسبة إلي الشيخ إسحاق الذي تزوج زوجتين إحداهما حبشية وتسمي (هبر هبوشوا) وأنجب منها موسي وإبراهيم وأحمد وعمران والثانية تسمي (هبرمغادو) وأنجب منها إسماعيل(جرججس) الذي تفرع عنه (هبر يونس) و(عيداغلي) ثم هبر أول ثم أرب ثم أيوب .

ويوجد في الشمال كذلك قبائل (طلبهنتي) وهي إحدي فروع (الدارود) وإلي جانب الدارود يوجد في الجنوب قبائل الهاوية وهي تنتسب إلي شيخ يسمي (هاوية) ، أما في أقصي الجنوب فتوجد قبائل (الراحنوين) أي الراحة الكبيرة بسبب كثرة الخيرات الزراعية ، كذلك قبائل دغل ومرفل .

ويحفظ الصوماليون أنسابهم عن ظهر قلب ويتناقلونها جيلا بعد جيل ولكل قبيلة مجلس يضم كبار السن في القبيلة ، كما أن لكل قبيلة رئيساً يسمي (مدح) باللغة الصومالية بمعني رأس ويمارس سلطته طبقا للشريعة الإسلامية والعرف القبلي ، كما يسمي رئيس القبيلة ((بوقر) باللغة الصومالية أي ملك في قبيلة مجرتين (٢٢)

و (أسلان) في مدق و (سلطان) في الشمال إسحاق و (غراد) في الشمال (طلبهنتي) و) (أغاس) في غرب الصومال ويتولي زعماء القبائل تسوية المنازعات والإختلافات القبلية وإجراء التسوية (سمان) باللغة الصومالية أو صلح (هشيس) باللغة الصومالية ولكل قبيلة مساحة كبيرة من الأرض تحدد معالمها الجبال أو الأحجار أو بعلامات خاصة علي الأشجار .

ويشترك كل أفراد القبيلة في ملكية الأرض واستغلال موارد المياه وصيد الحيوانات فيها ، والحدود بين القبائل مرنة وتنظم كل قبيلة طرق استغلال آبار الماء والأحواض ويحكم العلاقات بين القبائل الصومالية نظام العرف القبلي (حير) أي القانون وهي التقاليد التي تلتزم القبائل بتنفيذها ويختلف ال(جير) من قبيلة إلي أخري ، وتعتبر قوانينه صارمة بالنسبة للقبائل الشمالية الرعوية التي لاتحيد عن نصوصه ، ويظهر أثر ال(جير) واضحا في الحروب القبلية ودفع الديةالتي يشترك جميع أفراد القبيلة في دفعها وتسمي(مغ) باللغة الصومالية ، ومن أهم أسباب النزاع بين القبائل الاختلاف علي المراعي أو مصادر المياه أو اختطاق النساء أو الأخذ بالثار وتقول الحكمة الصومالية (عل ناغ ككعي ايوعل نزغ ككعي مدنا مغبوبوا) أي إذا قامت الحرب من أجل النساء أو من أجل الإبل فلايمكن إيقافها (٢٣) .

القبائل الرئيسية الصومالية :

١- قبيلة هاوة : يتركز أفراد قبيلة هاوية في الأجزاء التي تمتد من نهر شبيلي ومدينة هوبيا علي ساحل المحيط الهندي ، أما عن امتدادها فهو عرضي الانتشار والتحرك ، ويمكن تحديده إداريا ليشمل معظم الجزء الأوسط والغربي والشمالي من مديرية (مدق) Mudug وكل مديرية (جالجادود) Galagudud .

وأيضا شبيلي الوسطي Middle Sheble وجل مديرية (هبران) Hiran وجزء كبير من مديرية البنادر (٢٤) .

٢- قبيلة داورد : يتركز أفراد قبيلة دارود في مديريات (باري) Bari و (نوجال) Nu-gall وكذلك أجزاء من مديرية سناج Sanaag وولاية (جيدو) Gedo وجوبا الوسطي Middle Juba وهذا في داخل جمهورية الصومال .

أما خارج حدودها السياسية الذي لم يقف عائقا أمام الأنساب وأبناء العمومة ، فقد انتشرت فروع للقبيلة وبطونها في أجادين بإثيوبيا (٢٥) .

٣- قبيلة إسحاق : تعيش قبائل إسحاق في وسط الصومال الشمالي وتمتد جماعتهم في شرق مديرية جبيلي الغربية ومديرية (هرجسا) ومديرية (توجد طير) والجزء الغربي من(سناج) Sannag ، وتمتد تحركاتهم إلي أطراف مديرية نوجال Nugaal الغربية ، وكذلك تتعدي رحلاتهم الفصلية الحدود الدولية إلي أبناء عمومتهم وأقربائهم ، وباقي عشائر إسحاق في إقليم (هود) أحد مقاطعات إثيوبيا ، ولايتوقف انتشارهم بين الأقاليم الإدارية السابقة ، وكذلك عبر الحدود السياسية للصومال ، بل ويتداخلون في الشرق مع عشائر (دولبهانت) الدارودية (وورسنجلي) (٢٦) .

٤- قبيلة الراحنوين ودغل مرفل : يكاد يقتصر توزيعهم علي الإقليم الخصيب الواقع بين النهرين (شبيلي وجوبا) ويتركزون حاليا إداريا في مديريات شبيلي السفلي Lower Shebell باي Bay وكذلك باكول Bakol جزء من جوبا الوسطي Middle Juba ومساحة من شرق جيدو Gedo (٢٧) .

٥- قبيلة دير أي العيس والجدبيرس وبيمال : يتركز عشائر الدير في القسم الغربي من الصومال الشمالي وتتعداه إلي داخل جمهورية جيبوتي وغربي مقاطعة هرر في إثيوبيا ، كما يوجد فرع صغير لها في الجنوب ويسمي بيمال في مركا وبين نهر جوبا وبراوة (٢٨) .

٦- قبيلة السب : تعتبر طبقة السب التي تتكون من أربع عناصر هي اليبيرو ، المدجان والتمال ، وموسي دريو طبقة ذات مكانة اجتماعية بسيطة وتختص بالقيام بأعمال يأنف الصوماليون من الاشتغال بها ، وفي بلد كالصومال يتمسك فيها كل شخص بنسبه ويحفظه ، نجد أن طبقة السب تحاول أن تجد لها أصلا مشتركا مع انساب الصوماليين عن طريق القصص ، فمثلا تروي إحدى القصص أن أحد أجداد السب فقد في الغابة حين كان طفلا صغيراً ، وقامت بتربيته (ضبعة) إلي أن عثر عليه أحد الصوماليين في جحر الضبعة ، ويقول هؤلاء السب إن هذا الطفل كان من إحدي القبائل الصومالية وهناك قصة أخري تقول : إن جد (البيرو) وكان اسمه محمد حنيف عاش في بلدة(إيك) وعمل كاهنا للسلطان (صومال) ، وعندما وصل الشيخ إسحاق إلى الساحل الصومالى قادما من جنوب الجزيرة العربية ، علم بشهرة محمد حنيف في السحر وقدرته الخارقة ومهارته الفائقة فطلب منه أن يعرض عليه بعض مهاراته ، فتقدم محمد حنيف نحو الجبل ودخله من ناحية ، وخرج من الناحية الأخري ، فخشي الشيخ إسحاق علي الناس من سحره وطلب منه أن يدخله مرة

اخري ففعل محمد حنيف ، وعندئذ أسرع الشيخ إسحاق بالدعاء لربه أن يخلص الناس من شر هذا الساحر ، فأطبق الجبل عليه ولم يخرج ، وعندما علمت قبيلة محمد حنيف بخبر موته طالبت الشيخ إسحاق بدفع الدية فأمر الشيخ إسحاق جميع الصوماليين بالاشتراك في دفع الدية لأن وفاة هذا الساحر تعتبر مصلحة عامة لهم جميعا ، ولهذا السبب نجد أن كل الصوماليين يقدم هدية لأحد أفراد (اليبيرو) عند ولادة طفل له وخاصة الذكر .

ونلاحظ أن هناك روايات أخري لهذه الأسطورة تقول بأن الشيخ (يوسف الكونين) وهو من مشايخ الطريقة القادرية هو الذي سجن محمد حنيف في الجبل (٢٩) وهذه الفئات أو السب المذكورة تشتغل في الحدادة وصناعة الجلود والأحذية وكنس الأرض وكل الأعمال الدنيا ، وليس لهم كيان واحد أو سلطان متبع يجمعهم مثل القبائل الصومالية الأخري ، ونجدهم مبعثرين في داخل القبائل المختلفة ولايشاركون في المؤتمرات القبلية ولايتزوج منهم الصوماليون ولايزوجونهم .

صفة الرجل الصومالي :

الصومالي بصفة عامة فارع الطول (طول القامة بالبوصة نحو ٦٨) حسن القوام كامل النمو ، ذو جبهة معتدلة مستديرة كالعناصر الحامية تماما ذو عينين نجلاوين غائرتين وأنف قوقازي مستقيم ، وفم منتظم رقيق ، وشفاه غير غليظة وشعره مجعد قليلا ويتدرج لون البشرة من السمرة الفاتحة إلي البني الداكن نوعا ، وهو سريع الحركة ، شديد البأس ، قوي الشكيمة ، يكبر الشجاعة والكرم والإقدام والجود ، وهو رقيق الشعور شديد الحس يتأثر مما يراه أو يسمعه تأثرا عميقا ويحافظ علي ماورثه من أبائه وأجداده من عادات وتقاليد ويعني بحفظ نسبه ويلقنه أبناءه ليباهوا به (٣٠) .

أثر البيئة في المجتمع الصومالي :

للظروف الطبيعة السائدة في شبه جزيرة الصومال تأثير كبير في حياة المجتمع وتشكيل ألوانه (٣١) .

وفي أرض الصحراء ومشكلاتها الاقتصادية نجد أن السمة الاجتماعية هي من مظاهر التكامل مع الطبيعة ، والسمة الأخلاقية تتكون من عناصر هي الحرية والشجاعة والكرامة والأمانة وشدة التدين ، فحياة الترحال تقوي من روح الاستقلال

(شكل رقم (٣) (—)

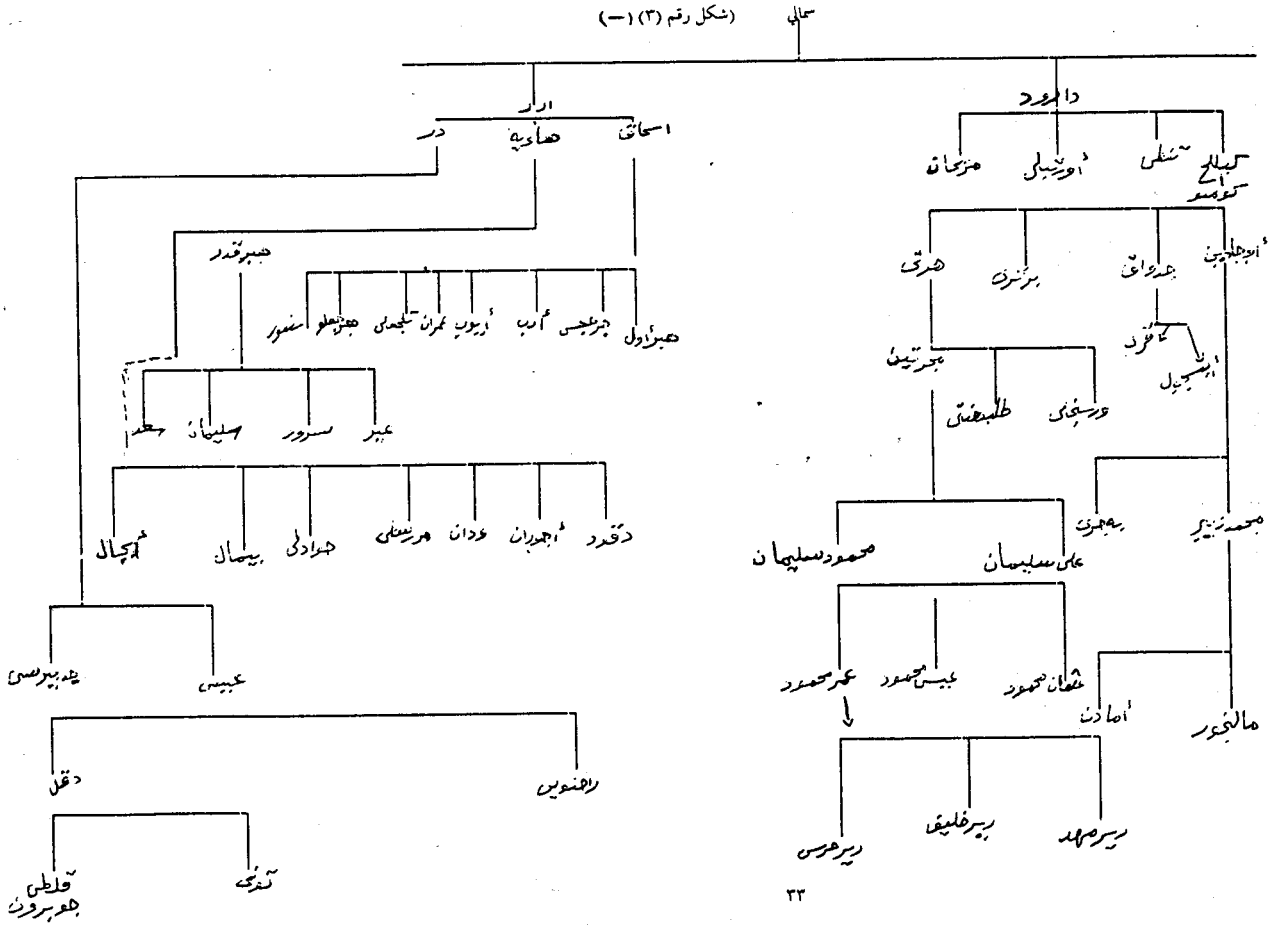

سمالي
دارود
كيلج
كومو
تنطي
أورتيلي
مزكان
أوجلاجين
جدواق
برنري
هرتي
كافري
أبشجيل
مجرتين
ورسنجي
طلبعنتي
محمد زبير
بهجري
علي سليمان
محمود سليمان
عثمان محمود
عيسى محمود
عمر محمود
أمادن
مالنجور
زير مهد
زير خليف
زير حرس
ارار
اسحاق
هاوية
در
هبر قدر
هبر أول
جرجيس
أدب
أيوب
عمران
تلجعلي
هبر جعلو
منصور
عير
سرور
سليمان
سعد
دقدد
أجوران
ودان
مرسلي
حوادلي
بيمال
أكجال
عبيس
يد بيرسي
راحنوين
دقل
تونى
قلطي
جوبرون

والحركة وحياة ساكن الأرض الجافة الصحراوية تمتاز بعنف المقاومة والنضال ضد الغزو الأجنبي ، فالشجاعة من خصائص سكان الصحراء ، فهي جزء من العمل اليومي ويغذيها الصبر علي المكاره وقوة الإحتمال .

والحرية مع الشجاعة والعزلة تظهرفي صفة الأنفة ونوع من النعرة والغرور ومن العزة نوع من الكبرياء والاستعلاء ومن الشجاعة نوع من الثأر والانتقام .

والتعاون الجماعي أمر لابد منه بسبب نزول الأمطار بين مكان وآخر وبين فصل وآخر وظهور نتائجها علي حياة النبات والحيوان فأصبح العمل الجماعي وسيلة لتنظيم الاستغلال للمرعي والموارد المائية (٣٢) .

الضمان الاجتماعي عند الصوماليين :

ليس من السهل علي الإنسان أن يفهم نظام الأسرة الصومالية في العهد القديم للنهضة الحديثة التي تحارب النظام القبلي لأن الأسرة الرئيسية مقسمة إلى أسر فرعية كثيرة ، وعلي آية حال كان التنظيم الأسري دائما في الماضي يحفظ الأمن الصومالي ، فإن سلامة ماشيته وحياته وأسرته تتوقف في معظم الأحيان علي المساعدة التي يستطيع أن يحصل عليها بغير عناء ودون أن يخيب له رجاء من بني جلدته في وقت الشدة والضيق ، ويقول الشاعر الصومالي سلان عربي في قصيدة له :

ينبغي أن يحمي ذوو القرابة كل منهم الأخ

مثلما يحمي السور الشائك الأغصان ويكفل سلامتها

فالعائلة كانت عند الصومالي حماية في وقت الحاجة وعند الخطر وهي الضمان له حتي لايجد نفسه يواجه تقلبات الحياة وحيدا منفردا ، ولذلك ففي ظل شروط الدفاع والمعونة المتبادلة لعب النظام الأسري دورا هاما للغاية في الحياة الصومالية ، ومن السمات الرئيسية لمجتمع البدو الدية التي يدفعها أقرباء الشخص الجاني متضامنين تعويضا عن الدم ، ففي أى نزاع يحدث بشأن الماء أو المراعي تتحد كل مجموعة متضامنة في دفع الدية متحملين مسئولية مشتركة تجاه الجماعات الأخري ، وفي معظم المناطق يكون التعويض علي حياة الرجل مائة جمل ، وبعد ذلك تتم الترضية ويقسم الدين بين الأعضاء الذكور في الجماعة ، ولذلك فإن مايقوم به الفرد يصبح مسئولية الجماعة كلها وحينما يعزم الفرد علي القيام لعمل ما فإنه يعلم أنه لن يورط نفسه فقط في ذلك العمل وإنما يورط أقاربه كلهم معه (٣٣) وإن الإنسان يحتاج دائما

إلي تأمين نفسه من الأخطار بإنضمامه إلي مجموعة يرتبط مصيره بمصيرها في حالة المرض والبطالة والعجز والوفاة فيركن إلي القبيلة كضمان اجتماعي حتي الخريجون عندما يرجعون من الخارج يستقبلهم أهل القبيلة فيرتبط مصيرهم بمصيرهم (٣٤) .

خريطة توضح الحدود بين القبائل الصومالية

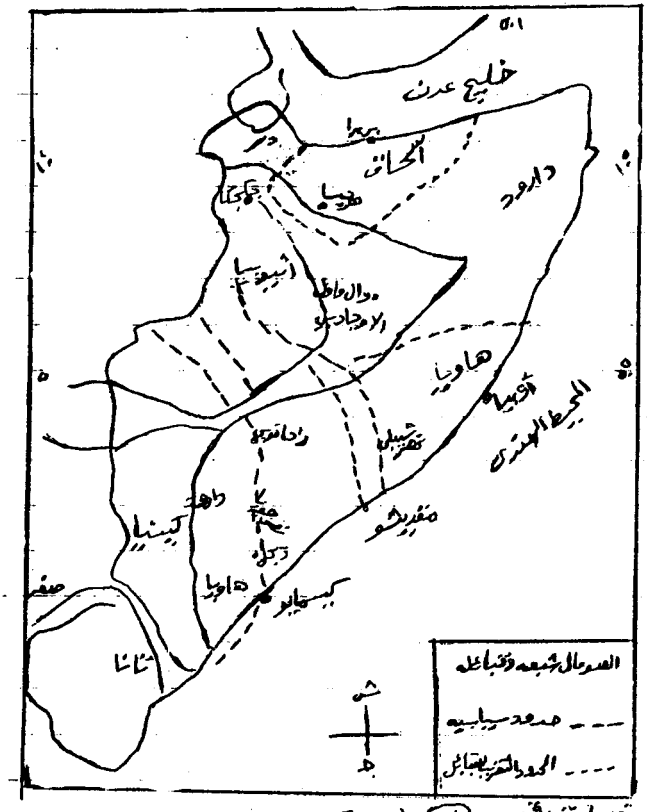

خريطة رقم (٣) (ـ)

العادات والتقاليد الصومالية :

الزواج :

يسود المجتمع الصومالي علي عكس كثير من المجتمعات الشرقية نظام الزواج الإغترابي ، وهو يقضي بأن يتزوج الفرد من خارج قبيلته حيث لايفضل أفراد المجتمع الزواج من أبناء أو بنات العمومة ، كما لايفضل الزواج من داخل القبيلة أو العشيرة وهو مايعرف بالزواج الداخلي ويري الناس أن هذا الزواج يحقق عدة وظائف سياسية واقتصادية واجتماعية ، وعلي المستوي السياسي يودي التصاهر بين قبيلتين إلي تحالفهما ، وهذا في حذا ذاته يوفر الحماية والأمن لأفراد العائلات من الأعداء الخارجين كما يقلل من احتمالات الصراع والتنازع بينهما علي أراضي المراعي .

أما علي المستوي الاقتصادي فإن التصاهر بين قبيلتين يعدّ امتدادا للأراضي والمراعي التي يملكها كل منهما وتبدو أهمية هذه الوظيفة الاجتماعية في البيئات الرعوية أكثر منها في أي بيئة أخري ، ذلك أنه إذا حدث جذب أو قحط في منطقة معينة فلابد أن يرحل سكانها خارج هذه المنطقة إلي منطقة أخري ، فإذا كان الفرد متزوجا من قبيلة أخري فإنه يجد أمامه فرصا أفضل للنجاة بقطيع ربله ومواشيه خارج أرض قبيلته التي أصابها الجفاف أو قلت بها الأمطار ، وأول الأماكن التي يفكر في الرحيل إليها هي أرض أصهاره ، وعلي هؤلاء الأصهار أن يستقبلوه وأفراد عائلته وعندما يصيب القحط أو يقل الطعام أو ينفذ المحصول عند أحد الرعاة فكثيرا مايرسل زوجته إلي أهلها لكي يمدوه بالمساعدة والطعام اللازم، وهذه عادة متبعة بين أفراد القبائل المتصاهرة (٣٥) .

وعلي المستوي الاجتماعي فإن أفراد المجتمع الرعوي قد أدركوا أن الزواج من نفس القبيلة يؤدي إلي إضعاف النسل واصابته بكثير من الأمراض وقد لاحظ الرعوي ذلك بمتابعته المستمرة للقطيع ، ولذلك يختار لناقته عند تلقيحها جملا من قطيع آخر ومن قبيلة أخري حتي يضمن نسلا قويا صحيحا خاليا من الأمراض وكأنه يطبق مبدأ التزاوج الاغترابي حتي علي الحيوان .

وينظر أفراد المجتمع إلي أبناء وبنات العم علي أنهن إخوة وأخوات ويعتقدون أن الزواج من بنات العم لايضيف شيئا جديدا أو دما جديدا إلي العائلة كما أن الزواج من داخل القبيلة له مخاطر علي علاقات القربة القائمة بين أعضائها ، فلو حدث خلاف بين الزوجين وأدي ذلك إلي وقوع الطلاق فقد يحدث تفكك في محيط القبيلة يؤدي بدوره

إلي شقاق وخصام بين أعضائها ويضعف من تماسكها ووحدتها في مواجهة الجماعات الأخري المواجهة لها ، وهذا ملايرضاه أفراد العائلة (٣٦) .

فإن علاقة المصاهرة هذه تستمر طوال حياة الزوج وحتي وفاته وذلك لأن الأرملة في المجتمع الصومالي إذا توفي زوجها فعلي أهل المتوفي أن يبحثوا عن شخص قريب للزوج لكي يتزوج هذه الأرملة ويتكفل بها وبأولادها من زوجها الأول ، وهناك قاعدة لزواج الأرملة حيث يفضل إخوة الزوج غير المتزوجين أولا فإذا لم يوجد أخوة غير متزوجين فيختارون أي أخ متزوج بواحدة فإذا لم يتوافر فأحد أبناء الأعمام .. وهكذا والفكرة الرئيسية في إبقاء الأرملة في كنف ورعاية الزوج هي أنها لو تزوجت من خارج القبيلة فقد يتربي أولادها في كنف قبيلة معادية وعندما يكبرون قد يشتركون في حرب أو نزاع ضد قبيلتهم دون أن يدروا لذلك يري المجتمع أن إخوة الزوج المتوفي أحق من غيرهم (٣٧) .

العادات المتعلقة بالولادة :

عندما تشعر المرأة الصومالية بأعراض الحمل يطلق عليها (ولع) باللغة الصومالية وتحس آنذاك بالضعف وعدم القدرة علي الحركة والعمل وتفقد شهيتها إلي غير ذلك من أعراض الحمل المعروفة وقد تشعر إلي بميل إلي أكل نوع معين من الطعام أو أشياء غريبة (وحم) ويطلق عليها باللغة الصومالية (وي جمتي) وبعد ستة أشهر أو سبعة أشهر من الحمل ، تقيم المرأة الصومالية حفلا تدعو إليه عددا من النساء كبار السن ليدعون لها بالسلامة وتخفيف عملية الوضع ونجاتها من الأضرار والأخطار ولاسيما تلك التي تتعلق بالمخاض (فول) باللغة الصومالية ، ويطلق علي هذا الحفل أو الوليمة (تراره) باللغة الصومالية وغالبا ماتقوم القابلة (أملسو) باللغة الصومالية بالإشراف علي عملية الوضع ، أما في المدن فيقوم بذلك الأطباء وتجتمع النساء ويدعون (ياحواء يافاطمة) اعتقادا منهن أن حواء أم البشرية وفاطمة بنت النبي صلي الله عليه وسلم يسهلن المخاض ويخففن آلام الوضع وغالبا مايقابل المولود الذكر بالابتهاج والسرور ، أما الأنثي فاستقبالها أقل حماسا ، وأول مايعطي المولود في بعض جهات الصومال شيئا مرا اعتقادا منهم أن الشيء المر ينبيء الطفل بمرارة الحياة ، وأن الدنيا ليست سهلة بل تحتاج إلي عمل وكد متواصلين حتي يستطيع أن يواجه الحياة بصبر لأنه تعود علي مرارة العيش ، وفي بعض المناطق يعطي الطفل

شيئا حلو المذاق كالعسل مثلا ويطلق علي أول شيء يصل إلي فم الطفل (عنقرس) باللغة الصومالية ، وفي بعض جهات الأقليم الشمالي يقوم أحد رجال القبيلة الشجعان بوضع كمية من اللبن في فمه ، ثم يعطيها بعد ذلك للطفل الوليد اعتقادا منهم بأن الطفل سوف يمتص من كمية اللبن هذه صفات هذا الشجاع ، وكذلك تحرص بعض القبائل علي ألا يشاهد الطفل لأول مر إلا أشجع وأحسن أفرادها حتي تنطبع صفات هذا الشجاع وصورته في ذهن المولود (٣٨) . وللمولود الذكر حظ عظيم إذا ماقورن بحظ الأنثي ولايقتصر ذلك علي استقباله فقط ، بل يمتد إلي أمه التي تلقي عناية كبيرة وغالبا ماتقرأ الأدعية عن رأس المولود بأن يحفظه الله من عيون الناس ويتفاءل الصوماليون بالتوائم (متان) باللغة الصومالية وهي محرفة عن مثني ، ويربط حبل الطفل السري غالبا بشعر ذيل ناقة أو بقرة حلوب (حدن حط) باللغة الصومالية ويخصص له لبنها وتقوم أسرة المولود بتوزيع هدايا علي الفقراء كالصدقة ، كما يعطي (يبري) وهم أحد عناصر أربع من سكان الصومال تسمي (السب) وتشمل المدغان وال(التمال) و(بيروا) مبلغا من المال (سمايو) باللغة الصومالية .

وتعتبر طبقة السب بعناصرها الأربعة ذات مركز اجتماعي بسيط وتقوم بصناعة الاحدية . وحفر الآبار ، ونقل الماء وأعمال الحدادة ، ويعتقد الصوماليون أن (اللبيري) له قوة سحرية ومقدرة غريبة ، لذلك فهو يقوم بعمل تميمة للمولود تعلق حول رقبته ، ويذبح لأم الوليد الذكر شاتان تذبح إحداهما بعيدة عن القرية وتسلخ ليأكلها الرجال ، أما الشاة الأخري فتأكلها النساء دون الرجال ويطلق عليها (وانقل) باللغة الصومالية أي العقيقة ، وفي كلتا الحالتين لاتكسر عظام الشاة ، بل تجمع بعد ذلك وتوضع في مكان مرتفع حتي يرتفع شأن المولود ولايغلب ولاتنكسر عظامه ، ويقوم بتسمية المولود الذكر والده بعد أسبوع أو ثلاثة أيام ، وبعد ذلك يقيم وليمة يدعو إليها أحد الشيوخ وإذا كانت المولودة أنثي تقوم أمها بتسميتها . وتستمر الأم في أرضاع وليدها وتحمله بطريقة معينة بحيث يكون رجلاه متلاصقتين حتي إذا مرت أربعون يوما يأتي شاب قوي سريع الجري فيحمل الطفل الذكر علي كتفيه بحيث تتدلي قدماه حول رقبة الشاب ، ثم يجري بسرعة حتي يري الطفل كما يعتقدون كيف يكون الجري ويتعلمه بسهولة فيخرج شابا قويا يجيد الكر والفر وتستمر هذه العملية (غردادس) باللغة الصومالية أي الاقتداء (٣٩) . حيث يتكسب جميع صفات الشاب الذي حمله حسب الاعتقاد السائد وسط العامة من الصوماليين .

العادات المتعلقة بتربية الأطفال والزواج :

عندما يبلغ الطفل الخامسة أو السادسة يلحق بالدكس باللغة الصومالية أو المعلمة بالأقليم الشمالي ، وهي تشابه الخلاوي السودانية والكتاتيب المصرية ، فيتعلم الكتابة بالحروف العربية ويتعلم القرآن ، وقد يقوم الطفل برعي الغنم حتي سن الخامسة عشرة ، ثم يقوم برعي الإبل والبقر ، أما البنات فبعضهن يذهبن إلي الدكس أيضا لتعلم القرآن وبعضهن يرعين الغنم . وتتم عملية الختان بالنسبة للذكور في سن السابعة حتي العاشرة غالبا ويقوم بها أحد رجال طائفة (المدغان) وهي إحدي طوائف طبقة السب المزدراة اجتماعيا ، وتقوم بعملية الختان بالنسبة للبنات إمرأة من طائفة المدغان كذلك ، وتقوم بعد الختان بعملية تسمي (قطب) باللغة الصومالية أي الختان الفرعوني وهي عملية شاقة للغاية تستخدم فيها الأشواك والخيوط في لصق (فرج البنت) ثم يربط فخذا الفتاة بحبل متين حتي تتم عملية الالتحام حتي يكون ذلك ضمانا لمحافظة البنت علي شرفها وعفافها ، ويحلق شعر الفتاة حتي إذا أصبحت صالحة للزواج ترك شعرها وضفر ، وتتعلم الفتاة بعض الصناعات اليدوية مثل الغزل ثم تهيىء لنفسها كوخا (أقل) أو (بول عوس) باللغة الصومالية ثم تبدأ اتصالها ببعض الشباب تجالسهم وتحادثهم فيتعرف الشبان علي صفاتها عن قرب كما يتعرفون علي طبيعتها وأخلاقها ، وتسمي هذه المحادثة التي تجري بين الشبان والفتاة (هاساوي) باللغة الصومالية ، وإذا تم الوفاق بين الشاب والفتاة يطلب الشاب ووالداه يد الفتاة من والدها ويقدمون غباتي ويعتبر ذلك وسيلة لحجز الفتاة ثم يأتي أو يدفع بعد ذلك (اليرد) والذي يكون غالبا عددا من الإبل أو البقر يتناسب مع مقدرة الشاب وقبيلته ويتراوح بين عشرة إلي خمسة عشر وقد يصل إلي ثلاثين أو المائة ، وبعض الأحيان تقدم بندقية مع اليرد ، وبعد ذلك يتم عقد النكاح (عقد القران) في حضرة عدد كبير من الناس يدعون بالخير والبركة ويقوم (الوداد) باللغة الصومالية أي الشيخ بعقد القران في البادية ، أما في المدن فيقوم القاضي بذلك ، وتستمر احتفالات الزواج والزفاف سبعة أيام ويقوم الشبان بالهياج والصياح (غلبس) باللغة الصومالية وبالرقص (عيار) باللغة الصومالية ويشترك الشبان مع الفتيات في الرقص والغناء طول الليل أمام بيت العروس ، وتقوم النساء بإلقاء(برانبر) وهو نوع من الشعر الخاص بالنساء تعدد فيه محاسن العروسين ويقرأ القرآن والمولد سير النبي صلي الله عليه وسلم في بداية الاحتفالات بالزواج في بعض المناطق ويقوم الزواج بإعداد وليمة

العرس التي تسمي (صدقو) فتذبح الجمال أو الأغنام وفي ختام الإحتفالات بالزواج التي تستمر سبعة أيام تقام حفلة أخري تسمي (تودوباح) باللغة الصومالية ، أي انتهاء سبعة أيام ويأتي الشيوخ مرة أخري ويقال لهم (ودادو) باللغة الصومالية ويختمون الحفلة بتلاوة المواليد .

ومن العقبات التي تقف في وجه الشبان (يرد) وهو المهر ، فقد يقف عقبة في سبيل زواج شاب وفتاة متحابين وعندئذ يفكر الشاب في اختطاف الفتاة خارج البلد وعند مكان الولي إلي مسافة القصر التي تبلغ عند الشافعية ثمانية وأربعين هاشميا حتي يستطيع أن يعقد عقد النكاح في غياب الولي ، وهي عادة منتشرة في أنحاء الصومالي وتسمي (لتغ) باللغة الصومالية .

وينتشر تعدد الزوجات في الصومال بشكل خطر ولاسيما في الجنوب ونادرا ماتجد من يقتصر علي زوجة واحدة والسبب في ذلك هو الرغبة في كثرة الأولاد الذين يقومون بالرعي ، كما أن كل قبيلة تحاول أن تزيد من عدد أفرادها (٤٠) .

تقسيم العمل بين الجنسين :

يقوم الرجال بالرحلات الاستطلاعية قبل أن تنتقل الأسرة من مقرها القديم إلي مقرها الجديد لطلب الكلأ وعلي الرجال قيادة موكب الأسرة عند الترحال وتحسين المساكن بالأشجار الشوكية وإجراء التعديلات والترميمات المناسبة في حظائر الحيوانات والمساكن بصفة دورية ووظيفة الرجال الأساسية هي رعي الإبل والسير بها إلي مسافات بعيدة بحثا عن الماء والكلأ ، أما النساء فيقمن بحلب الماشية مرة في الصباح ومرة في المساء وإعداد طعام الإفطار والعشاء ، وفي بعض الحالات رعي الضأن والماعز والاهتمام بشئون المساكن ، وتقوم البنات والأولاد برعي الغنم وصغار الماشية ، والتجول بها في أماكن تتوافر فيها نباتات وأعشاب خضراء بشرط ألا يبتعدن كثيرا عن المساكن وعليهن عند العودة في المساء التأكد من اعداد الدواب كاملة (٤١)

آداب الطعام :

وحيث إن المجتمع الصومالي مجتمع أبوي فلنا أن نتوقع أن تكون السيادة فيه للذكور دون الإناث ، ورغم أن النساء يقمن بإعداد الطعام وطهوه فيجب عليهن تقديمه للرجال أولا ويأكل معهم الأبناء حتي إذا فرغ الرجال من الأكل تأكل النساء ومعهن

البنات بعد ذلك ، وهذه قاعدة متبعة في البيت الصومالي بصفة عامة وبخاصة في القري والبوادي (٤٢) . ومن الآداب ترك بعض الطعام للنساء أي لاتعود الأواني إليهن وهي فارغة تماما، بل لابد أن يبقي الرجال بعضا من الطعام للنساء والبنات إذ تقتضي العادة ألا يأتي الرجال علي كل الطعام المقدم لهم ، بل يأخذون في الحسبان باقي أفراد الأسرة ، وعندما تقوم النساء بطهو الطعام في الخلاء والمدن فلا يستحب للرجل أن يعاونهن أو يساعدهن في أي أمر يتعلق بالطهو ولا أن يقترب من مكانه كلية لأنّ ذلك في الواقع يقلل من مكانته وهيبته ، كما يوزع العمل بين الجنسين تبعا في المناشط الاقتصادية فإن الطعام أيضا يوزع بين الجنسين تبعا لهذه القاعدة ، وهناك يرتبط الطعام بالمكانة الاجتماعية للرجل والمرأة في المجتمع الصومالي إذ يأكل الرجل أجزاء معينة من لحم الحيوان المقدم له وهي الأنواع الممتازة الجيدة بينما تترك الأجزاء الأخري لتأكلها النساء وهي أجزاء أقل نوعية وجودة مثل الرأس والرقبة والكلاوي والأرجل ، فهذه الأجزاء تعد كلها من نصيب الإناث بالإضافة إلي ما ترك الرجال في الأواني بعد تناوله للوجبة (٤٣) .

مكانة المرأة الصومالية في مجتمعها :

ترتفع عند البدو الصوماليين مكانة الرجل علي النساء اللائي يلتزمن بالعلاقات والتقاليد الإسلامية ، ولما كان المجتمع الصومالي مجتمع رجال فإن الإطار العام للحياة الرعوية يتكيف فيه بما يلائم مجتمع الرجال ، بينما تعتمد النساء علي أطر العمل التقليدي حيث يتحملن من الأعباء مما لا طاقة لهن به . ومع ذلك فلايمكن تعميم هذه الحالة التي عليها النساء من ناحية عملية لأن الفئات المتحملة والمميزة في المناطق الحضرية تختلف عن حالة المرأة في المجتمعات البدائية والزراعية البسيطة ، ولكن المرأة هي العمود الفقري للأسرة في طبقات المجتمع ، ولهذا فإنها تلعب دورا مزدوجا في الأسرة ، فالدور الأول عندما تكون تحت رعاية والدها ، والثاني في كنف زوجها وبما أن وضع البنت لايتكافأ مع وضع الابن فإن ميلاد الابن لايزال يعتبر فألا حسنا بينما تختلف نظرة المجتمع إلي البنت بقدر غير متساو ، ولعل السبب في ذلك إنما يرجع إلي رسوخ الاعتقاد بأن سلوك البنت ربما يلطخ شرف الأسرة في أية لحظة ، كما أن البنات لايرفعن من شأن الأسرة أو علي الأقل لا يزدن من عدد أفراد العشيرة ، وهن فوق ذلك لايخلدن اسم العائلة مهما بلغت ثروتهن (٤٤) .

قدسية القبيلة عند الصوماليين :

يقول ابن خلدون في مقدمته (وماجعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة علي ذوي أرحامهم وقرباهم موجودة في طبائع البشر وبها يكون التعاضد والتناصح وتعظم رهبة العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن إخوة يوسف عليه السلام حين قالوا لأبيهم (لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون) والمعني أنه لايتوهم العدوان علي أحد مع وجود العصبة له (٤٥) والواقع أن التنظيم الإداري المنصوص عليه قانونيا في الوقت الحاضر يحاول القضاء علي القبيلة والألقاب ، ولكن هذا الأسلوب لايتناسب مع مثل هذه الجماعات الصومالية الشديدة التعصب لقبيلتها ولعاداتها وتقاليدها التي توارثتها منذ آلاف السنين ، ولايمكن لأي قانون أن يمحوها لأنها ترتبط بأسماء أسلافهم وربما كان هذا إجراء أساسيا . بمس الألقاب والقبائل كتنسيق سياسي ، ولكن العشيرة بوصفها نظام قرابة وعائلة لايمكن أن تمحي خاصة وأنها ترتبط بعقائد الأفراد . إن القوانين يمكن أن تتبدل بين يوم وليلة ، وكذلك الأشياء المادية ولكن طبائع الناس وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم وأساليبهم في الحياة يحتاج لطرق وأساليب غير القوانين وهذه تتطلب دراسات كافية للوصول إلي أعمال ومفاهيم الشعب الصومالي (٤٦) .

انتخاب السلطان أو الأجاس عن القبائل الصومالية :

يأتي السلطان أو الأجاس للسلطة بالوراثة عند جميع القبائل الصومالية الإسحاقية والدارودية والهاوية والقبائل الصغيرة الأخري ماعدا قبيلة العيس التي تنتشر فروعها في الصومال وجيبوتي وإثيوبيا وقد جرت العادة العيسية أن ينتخب الأجاس من نسل (جنتي ويني) أو (عبدالله) وتعين اللجنة أي لجنة الانتخابات بعد ذلك اثني عشر من أعضائها للعمل علي تجميع أسماء سبعة شخصيات سيكون من بينها فيما بعد اسم الأجاس الجديد المختار ، وتعتمد مجموعة الأثني عشر علي ترشيح سبعة أفراد وفق مواصفات شخصية معروفة ومن هذه الصفات التي تزكي هؤلاء ليكونوا مرشيحن أن يكونوا من ذوي الصلاح والسمعة الطيبة ومن أسرة محترمة لم يعرف عنها أنها أدينت بالإحرام ، بجانب ذلك فلابد للمرشح أن يكون سليم الحواس والبدن موفور العقل يوحي مظهره بالوقار والسكينة ، وبعد ذلك تحاول اللجنة بالتحاور فيما بين أعضائها أن يجمعوا علي من يرونه مناسباً لمنصب الأجاس الجديد ، ومع تعيين الشخص الذي فاز بالإجماع يهرع الأعضاء إليه لزف البشري ثم تبدأ عملية المبايعة (٤٧) .

عزل السلطان أو الأجاس عند القبائل الصومالية :

لايمكن عزل السلطان عند القبائل الصومالية المختلفة ، حيث يتولي هذا المنصب مدي الحياة ، ثم يأتي ابنه أو قريبه بعد وفاته ولايحق لشخص أو جماعة أن يتجرأ علي عزل أو تجميد نشاطه ، وقد جرت هذه العادة في (الحير) أي القانون الصومالي التقليدي ، هكذا ماعدا قبيلة العيس فإن هناك بنودا دستورية في (حيرهم) تتكلم عن إمكانية عزله وانتخاب آخر مكانه ، ويكون ذلك طبعا في ظروف نادرة عندما لايستطيع الأجاس لم شمل الجماعاة وعندما تفلت الأمور من بين يديه ولاسيما في الفترات الحرجة التي تمر بها الجماعة كتحديات خارجية مثل الغزو الخارجي أو كتحديات طبيعية عندما تشح الأرض ويشيع الجدب ، وتضطرب حياة الجماعة ، بفعل هذه العوامل ومايرافق ذلك من انعكاس نفسي علي مناشط الأمة ، فإن العمل يبدو ضروريا علي تغيير جذري يبدأ بتغيير الأجاس واستبداله بآخر ، وطبعا فإن هذا الإجراء يكون نادرا (٤٨) . وتولي حكم العيس منذ ظهور الأجاس الأول (جوليد) ثمانية عشر أجاسا آخرهم الأجاس حسن حرس الذي انتقل إلي جوار ربه عام ١٩٩٤م، وقد انتخب في سنة ١٩٣٠م ، وكان عمره آنذاك ١٤ سنة وكانت مراسيم تتويجه في مدينة (زيلع) ٤٩ ، هذا ولكل قبيلة مجلس استشاري للسلطة ويتكون هذا المجلس من جميع الفروع المختلفة أو العشائر والبطون المختلفة للقبيلة الواحدة ، ولكل فرع أو عشيرة مسئولها الخاص ويسمي (عاقل) ويتصل مباشرة بالسلطان ويقدم احتياجات وشكاوي عشيرته له ، والمجلس الإستشاري يشتغل بقضايا الحرب والسلم والأمور العامة للقبيلة .

رسم بياني يوضح النظام الإداري القبلي الصومالي

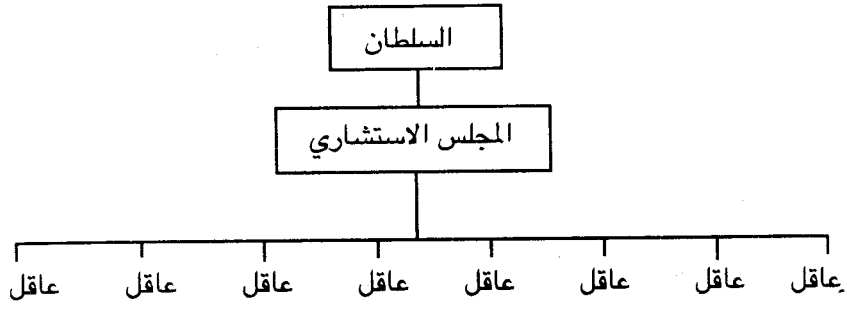

شكل رقم (٤)

الشعر الصومالي ودوره في إشعال الحروب وإيقافها :

إن أهم مايتميز به الشعر الصومالي هو أن قافيته تتمثل في انتهاء بعض الكلمات بحرف واحد وأن يكون في كل شطر من شطري البيت الواحد كلمة واحدة علي الأقل تنتهي بنفس الحرف ، وتسمي في اللغة الصومالية (هقاد) ، والشعر الصومالي عبارة عن سطور متوازنة علي نسق قابل للترنم والإنشاد.

ويلعب الشعر الصومالي دورا هاما في تعميم ونشر الحوادث ، بل يعتبر من أهم وسائل الإعلام في البادية ، والقصيدة مرآة عاكسة لمعتقدات الشاعر ومواقفه وقد تكون القصيدة فى تأييد أحد الأفراد تأييدا معنويا ، كما قد تكون سلاحا وأداة حرب أو أداة سلام وصلح ، والشاعر الصومالي يحترم الطبيعة ويقدرها تقديرا عظيما كما يقدر العواطف الإنسانية ، ويبدأ الشاعر الصومالي قصيدته بوصف الطبيعة ووصف نفسه بالرعد أو البرق أو المطر أو يصف نفسه بالأسد القوي ويبدأ الشعر الصومالي غالبا ببعض عبارات التنبيه متمثلة في كلمة (هيلابي هيلابي) التي يكررها الشاعر عدة مرات إيذانا ببداية إلقائه الشعر .

ويتميز بعض الصوماليين بذاكرة قوية تمكنه من مواصلة إلقاء الشعر مشافهة عدة ساعات دون الاستعانة بالتدوين الخطي ، ومع ذلك لايخطيء ولاينسى بيتا واحدا من القصيدة ، ويتمتع سكان البادية بهذه المهارة الفائقة ويعشقون الشعر لدرجة أن القصيدة تنتشر بينهم بسرعة لاتخطر علي البال (٥٠) .

تصنيف الشعر الصومالي :

يقسم الصوماليون قصائدهم إلي عدة أنواع متميزة لكل منها أسمه الخاص وخصائصه المعنية التي تتمثل في النغمة والطريقة التي يقال بها والموضوع الذي يتناوله ويحاول الشاعر الصومالي أن يساوي بين شطري البيت بإطالة الحركات ، ويصاحب إلقاء الشعر في بعض الأحيان التصفيق أو دق الطبول ، وأهم أنواع الشعر الصومالي(غبي) Gabay (غيرار) Geeraar و (جيفتو) Jiiftoo و (برامير) Buraambur ويطلق علي قائل الشعر عموما (غبايا) Gabayaa

١-غبي : Gabay وهو من أهم أنواع الشعر الصومالي الذي يعالج الأمور الخطيرة ويلقي في الإجتماعات والجلسات ويستخدم في هذه الأيام سلاحا فعالا في الدعاية السياسية مما دفع الأحزاب والفصائل إلي استمالة الشعراء وناظمي (غبي) ليكون

عونا ولسانا تلتقط الآذان مايقولون فتجد متعة كبيرة في ذلك والغبي من أحب أنواع الشعر إلي سكان البادية وكبار السن ، ويتراوح طول قصيدة (الغبي) مابين الثلاثين إلي مائة وخمسين بيتا (٥١) .

٢- جيفتو: Jiiftoo : فقد شعبيته في هذه الأيام وفي طريقة إلي زوايا الإهمال ويشابه (الغبي) في طول قصيدته وطريقة القائه وفي أنه غير مصحوب بالموسيقا ، ولكن إلقاءه أسرع من الغبي ويتناول الجيفتو موضوعات اللوم والإنذار والحزن والحسرة ويتراوح عدد مقاطع البيت الواحد فيه مابين أحد عشر وستة مقطعا وهو أقل شعبية من (الغبي) والغيرار بوجه عام

٣- غيرار Geeraar : وهو سلاح التحقير بين القبائل ووقت الحرب ، بل هو الحرب الباردة التي تنذر بالصراع الذي أصبح وشيك الوقوع ، فالحرب موضوعه والصراع والتحقير محوره وروحه ، وكان الغيرار لايلقي إلا علي ظهور الخيل ، أما الآن فقد هجرت هذه الطريقة نهائيا ويلقي الغيرار بطريقة حماسية سريعة ويتراوح عدد مقاطع البيت من ستة مقاطع إلي ثمانية ويقصر طول القصيدة عن سابقيه (الغبي) والـ (جيفتو) ويطلق علي قائل (الغيرار) (غيراري)

٤- برامير : Buraarbur : هو شعر النساء للنساء وقت العرس حيث تتباري النساء في إبراز محاسن العروس والعروسة وحظها الطيب ويلقي مصاحبا بالتصفيق والدق بالقدم والطبل وتردد البطانة ماتقوله (تبي برامبرتا) أي المنشدة ، ومن خصائصه أن النساء هن اللائي يقمن بإعداده وإلقائه ، وأن قصيدته أكثر بكثير من الغبي ويتراوح عدد مقاطع البيت الواحد مابين أربعة عشر إلي ستة عشر مقطعا منقسمة إلي شطرين متساويين (٥٢) .

٥- الرقص وأغاني العمل : أغاني العمل من أقدم الأغاني الصومالية ولايعرف مؤلفها وتؤدي في معظم الأحيان مصحوبة بالتصفيق والطبل والدق بالقدم كما يصاحبها الرقص في بعض المناطق ، وأغاني العمل تغني في كل مناسبة ولاسيما عند الري ويغنيها الرجال والنساء عند نسج الحصير ، وعند بداية الغناء تقال بعض الكلمات حتي يجتمع الناس وهي كلمات لامعني لها سوي التنبيه مثل (هوبي ، هوباليو) Hoobay Hovbay hobayaalaw وتستخدم الحناجر (توري) Tooray والسيا (شابك) Shaabuug في هذه الرقصات ولاسيما في الاحتفالات القومية ومعظم أغاني العمل جماعية .

٦- هيس : Hees : تطلق كلمة هيس علي الأغنية الحديثة التي تتناول الأغراض السياسية وموضوعات الحب ، وأصبحت كلمة هيس تعني أي نوع من الأغاني وتذاع يوميا عدة أغاني من إذاعتي مقديشيو وهرجيسيا وجيبوتي وأثيوبيا في القسم الصومالي وكينيا قسم الإذاعة الصومالية وتستخدم الاستعارات والتشبيهات في الهيس ، وتستخدم الموسيقا التي يظهر فيها تأثير الشعر الغربي والأوربي ، وتشابه الموسيقا الصومالية الموسيقا السودانية ويرتاح الصوماليون كثيرا عند سماع الموسيقا السودانية (٥٣) .

نماذج من الشعراء وشعرهم :

١- الشاعر سلات عربي : من شعراء الصومال ، ولد في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، وتوفي سنة ١٩٤٩م ، ويعتبر من المبتكرين في الشعر الصومالي وكان يستخدم في أشعاره كلمات سواحيلية وانجليزية وهندية ، وقد سافر إلي بلاد كثيرة ، منها عدن وشرق إفريقيا وعمل بالتجارة وهو من قبيلة الإسحاقية (هبر جعلوا) وكان عاطفيا كريما سخيا يحب الفكاهة ، وظلت معظم أقواله أمثلة يتداولها الناس ، ويتناقلونها كثيرا ، وكان يستطيع أن يوقف القتال بأشعاره أو يشعل نيرانه بين القبائل - يارجال القبيلة أوقفوا الحرب : في هذه القصيدة تتضح مهارة سلان عربي في إخماد نيران الحرب بين فرعين من قبيلة (هبر جعلوا) وهما أحمد فارح ، وطاهر فارح ، وكانت هاتان القبلتان علي وشك القتال بسبب ثأر قديم بينهما فوقف سلان عربي في وادٍ بين هاتين القبلتين في ليلة استعدادهما وخاطبهم بهذه القصيدة ، وقد استمع كبار القبلتين فكانت هذه القصيدة بردا وسلاما أطفأت نار الحرب ومنعت وقوعها ، وقد بين سلان عربي الذي ينتسب إلي قبيلة (هبر جعلوا) آثار الحرب والقتال التي حدثت من قبل بين فروع القبيلة نفسها ، وذكرهم بالمآسي التي حدثت ، حيث ذكر لهم موقعة (علولاعد) وموقعة (عنلا) كما ذكر موقعة (منفاع عيدان) التي حدث فيها القتال بين فروع قبيلة (طلبهنتي) وبين لهم كيف أن السلام يؤدي إلي الرخاء ، وأن الفقر نتيجة حتمية للانشقاق الداخلي ، كما حدث في قبيلة (المجرتين) ومن أبيات القصيدة :

مالنتي عمر داهر - اس كفوي

الشرح : هذا يوم عمر طاهر قطعوا أنفسهم بالمعركة (٥٤)

٢- إسماعيل مري : وهو من الدراوس المقربين إلي السيد محمد عبدالله حسن ، ولد في عام ١٨٨٤م وكان من قواده ، وهو الذي حقق النصر للدراويش في موقعة (طل مدوبي) وينتسب إسماعيل مري إلي قبيلة دارود فرع (طلبهنتي) وعلي هذا فهو من أقارب السيد محمد عبدالله حسن ، وكان يمتاز بالشجاعة والإخلاص ، ولقد عاصر إسماعيل هزيمة الدراويش ، وظل مخلصا لمحمد عبدالله حسن حتي النهاية ، ويعتبر إسماعيل مري حجة في تاريخ وعادات الصومال ، وتعتبر قصائده مصدرا من مصادر تاريخ الإقليم الشمالي من الصومال

من قصائده الكبرياء تؤدي الي المصائب وتهزم الرجال :

قيلت هذه القصيدة عقب هزيمة الدراويش بقليل سنة ١٩٢١م وهذه القصيدة موجهة إلي قائد الفرقة الصومالية للشرطة الإنجليزية التي اشتركت في إعادة الأمن إلي منطقة (طلهنتي) وكما يقول الشاعر في هذه القصيدة إن رجل الشرطة الصومالي قد إستغل مركزه لجمع الثروة وإن إساءة استخدام القوة تؤدي إلي المصيبة وإلى كارثة ، وفي هذه القصيدة يستخدم الشاعر الأمثلة لتوضيح ذلك وهي من نوع (الغبي) :

Ragwo kibirka waa lagu kugaa taa hala ogaado

يارجال الكبرياء تؤدي عثرة ومصائب وهزيمة أخيرا (٥٥) .

٣- فارح نور : ينتسب إلي قبيلة (أرب) أحد فروع الإسحاقيين ، وكان من دعاة القومية الصومالية نادي بالترابط بين القبائل وبين لهم أن الاستعمار قسم الصومال وندد بذلك وكان علي علم بالأساليب التي يتبعها الاستعمار لتفتيت وحدة الشعب ، وتوفي فارح نور في الثلاثينيات من القرن الحالي ، وقد جاهد بحق في سبيل تحرير قبيلته من تبعيّة القبائل الأخري .

من قصائده : نهاية الاسترضاء

هذه القصيدة من نوع (غيرار) وفيها يصف الشاعر كيف قضت قبيلته فترة طويلة من الزمن خاضعة لمجموعة من قبيلة أخري ، ولكنهافي النهاية ثارت عليها لتأكيد استقلالها

معني ومضمون القصيدة :

١- للرجال من زمان إلي زمان

٢- أظهر لهم العطف والحسنات

٣- إذا لم يقنعوا

٤- أضع لهم سريراً

٥- إذا لم يقنعوا
٦- في وقت صلاة الفجر أعد
٧- الحصان البني ذا العضلات القوية السوداء
٨- أركبه واعتمد علي الله
٩- والرمح ذو السن الصلب
١٠- أضرب به في الوسط
١١- فينفذ من الرئة
١٢- وفي ذلك الوقت يكون قانعا (٥٦)

٤- عبدالله موسي : ولدا عبدالله موسي في نهاية القرن الماضي وينتسب إلي قبيلة (هبر يونس) إحدي فروع الإسحاقيين ويعتبر من الشعراء الذين يستخدمون الشعر سبيلا إلي السلام ولقد كان حفظه للقرآن عاملا قويا في نبوغه في الشعر وإلقاء الحكمة وسمي نتيجة لذلك بحافظ القرآن ، وفي شعره ينادي بالتعاون وأهمية النوايا الطيبة (٥٧) .

٥- راغي أغاس : امتاز بخبه للسلام وكثيرا ما كان يقوم بفض النزاعات في قبيلته وكان يحتكم إليه كثيرا وعرف كذلك بالصبر والتحمل وينتمي راغي أغاس إلي قبيلة (الأوغادين) إحدي فروع (دارود) وهو ابن السلطان وتمتاز لغته الصوماليه بالنقاء من الالفاظ الأجنبية ولعل أهم مايميز راغي آغاس تمكنه من اللغة الصومالية .

ومن قصائده احترام القوة معناها ومضمونها كالآتي :

١- في الغابة التي بها أسد ووحوش ويري الخطر
٢- يمكن أن تعبر بدون صوت حتي لاتخرج الوحوش
٣- إذا دخل إبهامك في فتحة مليئة بأشواك
٤- أن تسحب يدك بعناية حتي لاتخرج الوحوش
٥- هذا الشخص الذي هو أعلي منك مكانة ولايدفع جزية
٦- يجب أن يجاب بصوت هادىء ولاتحدث الضوضاء (٥٨)

نماذج من أشهر السلسلات الشعرية في أوائل هذا القرن

سلسلة (قبي) أي المحرقة : Guba : المحفوظات الشعرية الصومالية المسلجة والمكتوبة في هذا الوقت تبدأ مع بداية هذا القرن ونهاية القرن التاسع عشر وماقبلها لايعرف

منها إلا نذر يسير ، وذلك لأن اللغة الصومالية ماكانت مكتوبة وغالبية المجتمع الصومالي مجتمع أمي وأهله رحل ، أما الشعر الذي يبدأ في بداية هذا القرن فجميع الشيوخ الكبار الصوماليون يحفظونه ، وذلك بكونه مرتبطا بأحداث هذا القرن والصراع القبلي بين القبائل الصومالية أثناء الإستعمار الأوربي وقد كان الاستعمار يؤجج نار التنافس القبلي مستفيدا من الوضع القبلي الصومالي ، ولهذا كان يسلح القبائل ضد بعضها ويتدخل من حين لآخر مدعيا أنه ضد الصراع القبلي بينما كان هو المصدر الأساسي للتحريض علي هذا الشقاق والاصطدام القبلي ، وفي مطلع هذا القرن اندلعت حروب قبلية وعرقية بين قبائل (الإسحاقية) و (الدارودية) حول أراضي العشب والكلأ أوالآبار ، حيث استولت بعض عشائر الإسحاقية علي معظم الأراضي التي تقطنها قبيلة (الأودغاين) وإبلهم وهي فرع من فروع العشائر (الدارودية) كما شنت بعض العشائر الإسحاقية هجوما علي أراضي قبيلة (طلبهنتي) وهي أيضا فرع من فروع العشائر الدارودية ، والثابت ان عادة الصوماليين عندما تحدث حروب أهلية تأتي الدعايات الإعلامية والتفاخر القبلي في المرتبة الثانية حيث إن السلاح الوحيد المستخدم في هذا الشأن هو الشعر الصومالي الذي يتناقل بصورة رهيبة وسريعة في أطراف الأقاليم الصومالية ، حيث يتبادل الشعراء الهجاء والفخر يدافعون عن قبائلهم ، لذا عندما اندلعت الحرب الأهلية التي تطرقنا للحديث عنها في بداية هذه السطور ، بدأت دعايات إعلامية ومفاخرات وتحريض بين الشعراء الممثلين لكلا القبلتين الدارودية والإسحاقية وهي عبارة عن سلسلة شعرية وهي كالآتي :

سلسلة قبي باللغة الصومالية : يعني المحرقة :

لايغرف بالتحديد بداية هذه السلسلة الشعرية إلا أنها وعلي القول الراجح بدأت عام ١٩١١- ١٩٤٦م وماقبلها بقليل وسارت هذه السلسلة متواصلة لمدي بضعة وثلاثين عاما حيث اشترك في نهايتها الابن الصغير الذي ولد في بدايتها ، وتعتبر هذه السلسلة من أحسن سلسلات الشعر الجاهلي الصومالي ، حيث تصف هذه السلسلة عمق التنافس والتناحر القبلي وتمتاز أيضا بركاكة الألفاظ والمعاني واللغة المستخدمة وتحتاج إلي تفسيرات كثيرة لتوضيح المعاني والمقاصد الواردة فيها .

١- علي طوح : أول من بدأ هذه السلسلة هو علي طوح وهو أحد أفراد قبيلة (طلبهنتي) إحدي فروع قبال الدارودية حيث سافر لسقي إبله من إحدي الآبار التي استولت عليها بعض القبائل الإسحاقية من قبيلة (الأوغادين) أبناء عمومته وطلب من

ساقي البئر أن يسقي إبله ولكن هذا لم يستجب لطلبه ، وبعد مداولات كثيرة أخيرا اقنع الساقي يسقي إبله وإلا سينظم شعرا فقال الساقي وماذا تقول فقال علي طوح الأبيات التالية :

Doqonkii ogaadeen ahaa doolo lagaquaady

Nimanbaa dalkodiyo xukuma labadaaroode

Loo diid danood iyo haduu dagilahaa ciide

وهذه الأبيات يرثي بيها أبناء عمومته من الأوغادين ويذكر مالحق بهم من مأساة الحرب والطرد والتشريد من أراضيهم وخيراتهم ويحرضهم علي القتال والانتقام واسترداد أراضيهم ، ويذكرهم أيضا بتمتع قبائل الإسحاقية بأراضيهم وأنهم ليسوا أقل عددا من الإسحاقيين ، بل المشكلة هي عدم مقدرتهم علي الحرب والدفاع عن أنفسهم وممتلكاتهم .

٢- قمان بلحن : وهو أحد أفراد قبيلة أوغادين إحدي فروع القبائل الدارودية ، فعندما جاءه شعر علي طوح قام يرد عليه بشعر مماثل وقوي ، وهذه بعض أبياته :

Dooyada fardaha maalintaad dabi ku qaadaysay

Sidii duul axmaaro ah maalin taad nagu dabraynaysay

Intadd haatan ii laba dublyan muu damquadh jiidhkin

ويعدد في هذه الأبيات وفي باقي القصيدة المأساة والمعاناة التي أصابت قبيلته ويذكر علي طوح أنه هو الذي خذله ، وإلا لما استطاعت القبائل الإسحاقية الإستيلاء علي ممتلكاته وأراضيه ويذكر في شعره المأساة والعار الذي لحق بقبيلته وهي ليست مختصرة علي قبيلته وحدها ، بل هي شاملة لقبيلة علي طوح نفسها لقرابتها ولكونهما أبناء عمومة .

٣- محمد فين : وهو أحد أفراد قبيلة (هبريونس) أحد أفرع القبيلة الإسحاقية وهو الشاعر الثالث الذي يدخل في هذه السلسلة ، ومن أبياته مايلي :-

Glaw gugankan gabaygaad tidhi gocodho wayn reebye

Wixii gocal ahaa uuniyaha waa mid kale gayne

Gabadh iyu walaalkeed hadaykala gadoomeene

Nin garaad leh bann kugu ogaa gaban ahaantiiye ،

Maantood guyaal badan jirtoo guudku ku caddaday

bal garwaayso waran kaad gantiyo gadaha addjoogto

ويقوم بالرد علي شعر علي طوح المحرض لأبناء عمومته ويتهمه بأنه يؤجج الفتنة القبلية في وقت اشتعل رأسه شيبا ومكث ردحا من الزمن وينظر محمد فين للقضية من جانب السلم حيث كانت قبيلته منتصرة آنذاك ويسعي لإخماد نار الفتنة القبلية .

٤- سلان عربي : وهو أحد أفراد قبيلة(هبر جعلوا) إحدي فروع القبائل الإسحاقية وهو الشاعر الرابع الذي دخل هذه السلسلة الشعرية ، ومن أبياته مايلي :

Heegaae Kama qayliseen hlaca jiilaale

Goortaan hodhkaba kaa eryaad hawad -u- cararteene

Waakaa hiyingii gaabsady ragii wada hagoognaaye

وهو يهاجم علي طوح ودوره التحريضي لأبناء عمومته المهنزمين مذكرا إياهم أن قبيلته مهزومة ومطرودة من أراضيها وفاقدة لسيادتها وليس له مقدرة علي نصرة أبناء عمومته

٥- محمد عمر دقي : وهو أحد أفراد قبيلة الأوغادين إحدي فروع القبائل الدارودية ، وهذا الشاعر ولد في بداية هذه السلسلة الشعرية ودخل السلسلة وهي مازالت سارية ومن أبياته مايلي :

Issaq waxaan Iadaba hoobinaa hiija godobeeda

Anigoo hamuun gqba waxaan halawda dharwrtaada

La hubsaday hogaankii Nabsiga heer uu soo wadaydhe

Ogaadeen xaqii laga hayio sammibuu helaydheh

وفي هذا الوقت استردت قبيلة أوغادين أراضيها المسلوبة من قبائل الإسحاقية وشعر محمد عمر موجه إلي علي طوح يذكره فيه أن الحرب سجال بين قبيلته وبين قبيلة الإسحاقية وأن قبيلته استردت أراضيها وزيادة إلي أن قبيلة طلهنتي أي قبيلة علي طوح مخذولة ومذلولة من قبل القبائل الإسحاقية وأنه وقبيلته لايستطيعون المدافعة عن أراضيهم ضد التيار الإسحاقي .

هذا وتتواصل هذه السلسلة الشعرية حيث يبلغ عدد المشاركين فيها من شعراء كلتا القبيلتين إثنا عشر شاعرا ، ونلاحظ في هذه السلسلةعمق المنازعات والحروب القبلية الصومالية حيث تشير وتصف دور الحياة القبلية في المجتمع الصومالي، وفيها هجاء ورثاء وتحريض وغيرها ، هذه السلسلة الشعرية كانت كامنة في صدور شيوخ القبائل المسنين ، إلا أنه عندما أندلعت الحروب الأهلية الصومالية في أواخر السبعينات وبداية الثمانينيات نشبت مرة أخري ، وهي مسجلة في أشرطة كاسيت ، وهي متداولة

في المجالس القبلية والشريط الذي راجعه الباحث هو الشريط الذي سجله جامع عمر عيسي والذي التقي بعلي طوح وأخذ منه مشافهة هذه الأشعار كما يذكر ذلك في داخل الشريط ، وقد سجل في شريطه قصائد لخمسة من الشعراء ، وجامع عمر عيسي هو صاحب كتاب ديوان السيد محمد عبدالله حسن (٥٩) ومع مثابرة الصوماليين علي أداء الصلوات الخمسة إلا أن عوام الصوماليين يتميزون بعدم معرفتهم للدين واشتهر بعضهم أو كلهم بسفك الدماء وأصبحت عندهم شيئا عاديا في الآونة الأخيرة ويجوز العرف الصومالي مشروعية نهب الجمال لأن الجمال تخص القوي ، لذلك فسياسة حق القوة مشروعة في أمر الاستحواذ علي الجمال وفي ذلك يتباهي الشعراء بأبطالهم الذين استحوذوا علي إبل الغير مثل عادة العرب القديمة التي جبها الإسلام (٦٠) .

خريطة توضح تحركات الرعاة في الصومال أي القبائل الصومالية

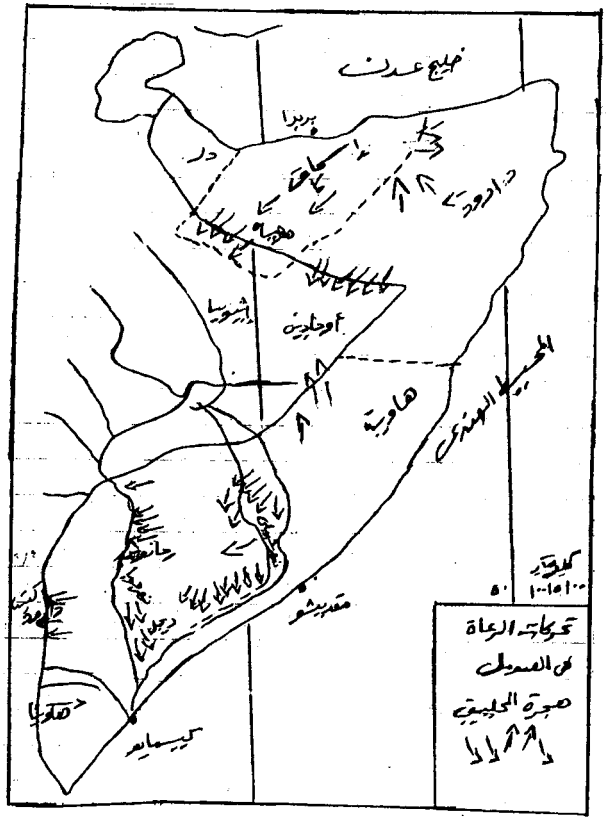

نظام الحكم في الصومال قبل الاستعمار

إن تحديد نظام الحكم في الصومال باسلوب علمي محفوف بصعوبات يتعذر علي المرء تحديدها بعد انحدار دولة الزيلع المركزية بالهزيمة التي لحقت قوات أحمد جري علي أيدي الصليبيين في هذا التاريخ ١٥٤٣/٢/٨م ، حيث فقدت الصومال بالتدريج الحكم المركزي القوي ، منذ ذلك التاريخ فحلت محلها الدويلات أو إمارات أو مشيخات في السواحل وفي الداخل مثل هرر وزيلع ومقديشو ، ولكن ظاهرة تعدد الإمارات لم تكن قاصرة علي الصومال وحدها وقتئذ ، بل كانت ظاهرة عامة في العالم كله تقريبا ، حيث لم يعرف بعد نظام الحكم المركزي القوي بمعناه الحالي إلا في أواخر القرن الماضي نتيجة لصعوبة المواصلات والمصالح الاقتصادية والسياسية والثقافية (٦١) .

١- الحير أي القانون الصومالي القديم :

لم يكن الحير أي القانون الصومالي القديم مكتوبا ولكنه كان كأنه مكتوب لأن كل حالة كانت لها ا قواعدها الخاصة بها التى تعرف بها وتحفظ فإذا جاءت هذه الحالة وضع شيوخ القبائل والعارفون القوانين ، وكان يعلن القرار في حشود من الناس وتعقد مؤتمرات وضع القوانين من أماكن الآبار التي يجتمع فيها الناس للسقي ويأخذ اسم القانون في المكان الذي عقد فيه المؤتمر وكان الصوماليون القدماء يجعلون لكل شيء قانونا وكان يراعي في ذلك اختلاف العادات والتقاليد ، وفي داخل القانون الصومالي العام مجموعة من القوانين المختلفة وهي مايلي :

وجميع هذه القوانين تنقسم إلي (حير عقاب) و (حير مدني)

أ/ يعرف الحير العقاب بالقانون الذي يحكم علي الشخص عندما يرتكب ذنبا مثل السرقة والنهب المسلح والاختطاف واغتصاب النساء وغيرها .

ب/ يعرف الحير المدني بأنه الذي يحكم أو يفصل إذا تنازع الشخصان علي شيء أو كان أحدهما مدينا للآخر (٦٢) .

٢- مصادر الحير الصومالي القديم :

من مصادر الحير الصومالي العادات والتقاليد والموروثات الثقافية ، وعندما يضعون الحير كانوا يراعون جميع الأشياء المذكورة وللحير الصومالي القديم علاقة وثقة مع تعاليم الشريعة الإسلامية ، وفي أماكن كثيرة كانوا يرجعون قضاياهم للشريعة الإسلامية مثل الدية والمواريث والنكاح والطلاق وغيرها من الأحوال الشخصية (٦٣) .

١- حير الرحل : وحير الصومالي أصلا منشؤه من أهل البادية والرعاة ويقسم القضايا الي قضية لها سابقة أولي ويعرف حلّها أو حكمها ، وقضية جديدة لم يسبق لها حدث سابق في الحير الصومالي ، فلذلك فإن أي حاجة مستحدثة علي الساحة كان شيوخ القبائل يفكرون كثيرا لايجاد الحل المناسب لها (٦٤) .

٢- حير أهل الرعاة : ونعني بهم أهل الإبل والبقر والشاة وكانت عندهم قوانين خاصة ، ومن هذه القوانين حير الضالة وحير منح الحلوب لمن ليس له مواشٍ كثيرة للحلب لعام ما بسبب بعض الظروف وحير فضل الظهر لمن ليس لهم ظهر يرتحل به ، وحير للفحل أو طراقة الجمل للإبل لمن ليس له فحل ويحتاج لإخصاب إبله أو غنمه ، والحير المتبع أن يعطي الشخص المالك لمن ليس عنده الأشياء المذكورة ، وبعد أداء المهمة يرد لصاحبه بدون تعويض (٦٥) .

٣- حير الحرب : القواعد والقوانين المتبعة في حالة الحرب كثيرة وتنقسم إلي قسمين حير خاص في داخل الجيش الواحد وحير متبع بين طرفي القتال ويقسم أيضا حير عام وحير دائم وحير خاص :

الأول : وهو العام ألا يقتل النساء والأطفال والشيوخ .

والثاني : يضعه كل جيش في داخله ويحدّدون ماذا يفعلون إذا ظفروا بأسير (٦٦) .

٤- التحكيم والحكام : كان يتولي التحكيم أصحاب المعرفة إذا كانت القضية ذات سوابق ، إما إذا لم تحدث من قبل فيتولي التحكيم فيها الشيوخ وذوو التجارب وكيفية مداولة القضايا المتنازع عليها والتحكيم فيها كانت بنفس الأسلوب الموجود حاليا في المحاكم المعاصرة ، إلا أنه لم يكن هناك مكاتب وقاعات ، بل كان يفرش علي الأرض بساط أو حصير لجلوس القضاة ومكان الحكم كان مفتوحا للجميع ، أما في مرحلة إتخاذ القرار والحكم فتعين لجنة للتحيم وكانت مناقشاتها سرية وتخرج وتجتمع خارج الجلسة العامة وبعد فترة يرجعون ويعلنون الحكم علي الملأ (٦٧) .

٣- كيفية التحكيم (المرافعات) :

كانت لدي الصوماليين كيفية معينة للفصل بين المتنازعين ولم يكن هذا الأسلوب مكتوبا وإنما كان محفوظا عن ظهر قلب ولم تكن هناك عريضة مكتوبة يقدمها المدعي ، بل كان يقدم دعوته شفاهة بعد أن تاكد أن المدعي عليه حاضر في جلسة التحكيم ، ويورد أدلته وشهوده إذا كان لديه شاهد وفي أثناء حديثه كان هناك شخص من الجالسين يخصص لمتابعة كلام المدعي ويسمي هذا الرجل باللغة الصومالية (هلهي)

Halhye بعد ذلك تحول الفرصة للمدعي عليه للدفاع عن نفسه أو الإقرار ، وبعد الانتهاء من الاستماع لكلا الشخصين يقرأ (هلهي) مرة ثانية جميع الأحاديث التي قيلت من كلا الطرفين ويذكر حديثه بصورة واضحة ومختصرة ، بعد ذلك تعين لجنة التحكيم لحسم الأمر ، ولايتجاوز عدد هذه اللجنة تسعة أشخاص ويراعي في إختيارهم جانب المعرفة للحير ورجاحة العقل والحيدة وغيرها من الصفات الحميدة (٦٨) .

٤- الشريعة الإسلامية والصوماليين القدماء :

كان الصوماليون القدماء يطبقون الشريعة الإسلاية في أمور كثيرة من قضاياهم ، وكانت لجنة التحكيم بالحير الصومالي لاتباشر القضية إذا رأوا أن الأمر يحتاج لإرجاع القضية إلي الشريعة الإسلامية وخاصة فقهاء المذهب الشافعي ، مثلا إذا كان الأمر متعلقا بالنكاح والطلاق الميراث وجميع الأحوال الشخصية (٦٩) .

٥- الحير الصومالي واغتصاب النساء :

والاغتصاب هو مواقعة إمرأة أجنبية جنسيا بدون رضاها ويطلق عيها باللغة الصومالية (كفسط) ويكون القانون الصومالي المسمي حير المتبع شديدا وقاسيا وجزاء من يرتكب هذه الأفعال حسب القانون الحكم عليه بعشرة من الإبل إذا كانت الفتاة شابة لم يسبق لها زواج ، أما إذا كانت متزوجة أو أرملة فيدفع الفاعل خمسة من الإبل ولايشترك معه أحد من أفراد قبيلته بسدادها ويصبح مفضوحا وسط المنقطة التي فعل فيها هذا الفعل وغالبا ما يهاجر إلي الأقاليم الأخري (٧٠) .

٦- حق القلم :

كان الصوماليون يسمون حق القلم أموال تدفع في مقابل نظر القضية وهي عبارة عن رسوم لفتح الدعاوي ، وهي دائما مواشٍ أو نقود أو ملابس غير محددة ، ويشترك في دفعها طرفا النزاع وكان يسمي بأسماء متعددة باللغة الصومالية ومن أشهرها (أقبري) Agabare (٧١) .

٧- دخول الاستعمار للصومال وتقسيم الصومال :

قبل وصول الغزو الاستعماري كانت الحياة الصومالية بالصورة التي ذكرناها سابقا وقبل الغزو الاستعماري كانت السواحل الصومالية تحت الإدارة العثمانية والمصرية عام ١٨٦٨م ويورد صاحب كتاب العلاقات المصرية الصومالية د . جلال يحيي (أن العصبيات القبلية كانت علي أشدها فرحبت قبيلة بعيلة برفع العلم العثماني بينما عارضت قبيلة بهوة في رفع أي علم ، ثم أخذت كل من هاتين القبيلتين

تتحرش بالأخري وتقتل أفرادها (٧٢) وهي القبائل القاطنة في بربرا ونواحيها وبقدوم المستعمر قام الاستعمار الانجليزي والايطالي بالسياسة المعروفة (فرق تسد) وطبقوا أيضا نظام الحكم غير المباشر الذي يكرس سلطة السلاطين ومشايخ القبائل علي الحكم ويزيد متانة القبيلة ودورها في حياة المجتمع ، وتم التقسيم الصومالي علي الصورة التالية :

أ/ الاحتلال البريطاني لمحمية الصومال : يقترن اسم ديجور (هنتر) باحتلال محمية الصومال وانسحاب الإدارة المصرية من بلاد الصومال فقد اسندت بريطانيا لهذا الضابط مهمة تسهيل عمليات الترتيبات الخاصة بانسحاب المصريين من الصومال وتمهيد الطريق أمام الاحتلال البريطاني ، وبعد انتهاء عملية الجلاء للحاميات المصرية عن الصومال استدعي (هنتر) في اليوم السادس عشر من عام ١٨٨٤م خمسة من رؤساء القبائل المحيطة بربرا ولمرافقته إلي عدن للتفاهم معهم بشأن الاحتلال النهائي للمنطقة ، وبعد أن وزع بعض النقود من الجنيهات الإسترلينية توصل معهم إلي توقيع الاتفاقيات التالية :

١- المحافظة علي استقلالهم والمحافظة علي الأمن والنظام العام

٢- الا يبيعوا أو يتنازلوا أو يتركوا أي جزء من أراضيهم لاحتلال دولة أخري

٣- ضمان حرية التجارة لكل السفن التي تحمل العلم البريطاني وكذلك سلامة رعايا حكومة جلالة المملكة .

٤- إلغاء تجارة الرقيق وإعطاء السفن البريطانية الحق في مصادرة الرقيق

٥- أن يعاملوا الممثلين والمندوبين الذين تعينهم الحكومةالبريطانية للعمل في الصومال بكل اعتبار وأن يسمح لهم بالاحتفاظ بحرس شخصي وعارض الاتفاقية ثلاثة من الزعماء الخمسة بعد عودتهم إلي بربرا وأنزلوا العلم البريطاني من السارية وأحرقوه ، وكان من نتيجة ذلك نشوب قتال مرير بين عشيرتين تسكنان حول بربرا ذهب ضحيته عشرات من المواطنين الأبرياء وهو ماجعل الباب مفتوحا أمام القوات البريطانية لتحتل المنطقة دون مقاومة (٧٣) .

ب/ الاحتلال الإيطالي علي الجزء الجنوبي من الصومال : ربما كان دخول إيطاليا في ميدان المنافسة الدولية بتقسيم الصومال كان جزء مؤخرا ، ولكنه كان لها نصيب الأسد إذا استولت في سنة ١٨٨٩م علي الجزء الجنوبي من الوطن الصومالي عن طريق الشراء لميناء مقديشو من سلطان زنجبار سعيد برقش الذي كان له علي الساحل

الصومالي مجرد نفوذ أدبي ، وباسم شركة تجارية استأجرت من سلطان زنجبار منطقة مساحتها ٥٠ ميلا مربعا تضم ميناء مقديشو وبأجرة سنوية (٧٤) ومن بعدها توسعت حتي عم الإحتلال جميع الأقاليم الصومالية الجنوبية .

ج/ الاحتلال الفرنسي لساحل الصومال الفرنسي : كانت فرنسا من الدول الاستعمارية المشتركة في تقسيم الوطن الصومالي باتباع طريقة القرصنة الدولية التي سادت السواحل الصومالية الشمالية وغيرها من الأقطار الإفريقية في النصف الأخير من القرن الماضي بشراء الأراضي والدخول في المعاهدات مع رؤساء القبائل ، وعلي هذا الأساس اشترت فرنسا ميناء أوبخ في سنة ١٨٦٢م من أحد رؤساء القبائل ، غير أن فرنسا لم تقم بأي عمل لتأكيد سيادتها علي الإقليم ولم تحتله إحتلالا فعليا إلا في عام ١٨٨٤م (٧٥) .

د/ احتلال بريطانيا لانفدي (NFD) : في سنة ١٨٩١م عقدت بريطانيا مع عدد كبير من رؤساء القبائل في انفدي معاهدة وأسلمت شئون المنطقة إلي الشركة البريطانية للتجارة في شرق إفريقيا وفي عام ١٩٠٤م قررت الحكومة البريطانية شراء حقوق الشركة ووضعت البلاد تحت إدارتها المباشرة بناء علي المعاهدات المذكورة التي وقعتها مع رؤساء القبائل (٧٦) .

هـ/ احتلال هرر وضمها للإمبراطورية الإثيوبية : أجبرت الحاميات المصرية علي الانسحاب من هرر تحت إدارة القيادة الإنجليزية في عام ١٨٥٥م وتم تسليم هرر إلي الأمير عبدالله علي محمد عبدالشكور بين احتجاج الأهالي والتجار وإشفاقهم علي مصيرهم في تلك الظروف الحبلي بالخطر ، وقد صدق حدسهم إذ أنه ما إن تم إخلاء هرر حتي تدافعت عليها طلائع البعثات الاستخبارية والتنصيرية ممثلة في إيطاليا ثم الإنجليز حيث ضاق بهم صدر أمير هرر عبدالشكور الذي كان ذا غيرة دينية مما دفعه للقضاء عليهم باعتبارهم نذر شر ، وهنا انتهز الأمير الإمبراطور منليك السانحة وسابق الأوربيين بجيوشه إلي هرر مدعيا الثأر لمقتل المسيحيين الأوربيين ووقعت المعركة الفاصلة في ٧ يناير ١٨٨٧م حيث انتصر الجيش الاثيوبي بقيادة الرس ماكونين والد هيلاسيلاسي ، وهرب الأمير عبدالشكور ورجاله إلي أوغادين (٧٧) .

١- إن الإستعمار مزق الوطن الصومالي إلي خمسة أقسام بين أربع دول أجنبية علي الرغم من قلة سكانه.

٢- الصومال هو البلد الوحيد الذي اشتركت في تقسيمه دولة إفريقية هي الحبشة (٧٨) .

٨- جهاد السيد محمد عبدالله حسن :

ولد محمد عبدالله حسن في بلاد الصومال وفي وسط يميل إلي الدين ، ويعشق الحق والحرية ، وكان منذ صباه يرتاد مجالس العلماء والقضاء والشيوخ زيادة في العلم ، وكان دراسته علي أيدي هؤلاء الشيوخ ، وأكمل تربيته في بداية شبابه بالمران علي الفروسية والرياضة حتي اكتمل بدنه في نفس الوقت الذي زادت فيه معارفه ، ولقد سنحت له الفرصة لزيارة بلاد الصومال ثم سنحت له فرصة أخري في سن الخامسة والعشرين للسفر إلي مكة ، الأمر الذي وسع من آفاقه وساعده علي الاحتكاك بعدد من العلماء المسلمين من أكثر من بلد واحد ، ولقد تأثر وهو في مكة بالشيخ صالح السوداني ، الذي كان يبث فيه روح الإمام محمد أحمد المهدي في السودان ، ويبين له معنى حركة عرابي وكيف أن هاتين الحركتين كانتا تهدفان إلي تخليص وادي النيل من النفوذ الأجنبي .

وبعد أن عاد إلي بلاد الصومال عام ١٨٩٥م استقر به المقام في ميناء بربرا بصفة خليفة للشيخ محمد صالح ، صاحب الطريقة الصالحية ، وأخذ في نشر هذه الطريقة ، وفي تعليم الأهالي أصول العبادة والتقرب إلي الله وعلي نشر التعليم حتي سمي (الوداد) وهو لفظ يجمع في معناه بين القاضي وبين المعلم (٧٩) .

بدأ السيد محمد جهاده في القسم الإسلامي من إثيوبيا الحالية حيث كان المسلمون يعيشون في حالة كرب وضيق من جراء النهب المسلح ، وانتهاك الأعراض الذي كانت تقوم بـــه العصابات المسلحة الأثيوبية ضد السكان المسلمين في مناطق هرر وماجاورها ، وهناك أعلن في استعراض مسلح لأتباعه في مارس ١٩٠٠م الجهاد ضد الكفار الإثيوبيين ومن ورائهم من الإنجليز ، حيث بدأ بمهاجمة جكجكا أكبر مراكز الإثيوبيين في الأوغادين ، كما دخل في سلسلة من المعارك مع الإثيوبيين في مناطق الوال وال وغيرها ، حيث فقدت إثيوبيا ألفا وماتي مقاتل ، وفي يناير ١٩٠١م أعدت إثيوبيا جيشا من عشرة الآف مقاتل لملاحقته دون جدوي ، مما اضطرها إلي الاستعانة بايطاليا وبريطانيا لإعداد حملة مشتركة ولم يك نصيب الحملة المشتركة من النجاح أكثر من سابقتها وبلغت ميزانية وزارة الحربية في بريطانيا عام ١٨٩٩م ٢٣ مليون جنيه استرليني وقفزت إلي ٧٣ مليون استرليني عام ١٩٠٤م ، مما اضطر الإنجليز والإيطاليين لمصالحة السيد محمد عبدالله في مارس ١٩٠٥م ، ثم تجددت الحرب مرة أخري في عام ١٩٠٩م ولجأ الإنجليز لممارسة الحرب النفسية والمعنوية ، حيث ضغطوا

علي أمير مكة فأرسل سبعة دعاة ضد السيد في مساجد مقديشو وكذلك قام الإنجليز بنشر رسالة من الشيخ محمد صالح يتبرأ فيها من حركة السيد محمد عبدالله ودعوته قائلا من هذا الوقت لا أريد أن يكون لي صلة بك وبمن معك . وإنك تلقب نفسك بالسيد ولا أعلم من أين جئت بهذا اللقب ، وكذلك من أين لك المهدية ، علما بأن السيد محمد عبدالله لم يدع المهدية قط (٨٠) .

ولقد حـــاول السيد محمد عبدلله أن يتخطي الفواصل التقليدية بين القبائل الصومالية ، فنادي بنذ الانقسامات القبلية واتخذ لاتباعه اسما موحدا هو الدراويش ، وبني تنظيمه السياسي علي أساس غير قبلي (٨١) .

وتورد بعض المصادر انشقاق عدد من المقربين الي السيد محمد وتحولهم إلي صفوف الأعداء أو اعتزالهم ، ومن أهم الشخصيات التي تذكر في هذا الصدد الحاج عبدالله شحري الذي كان يعمل وكيلا للسيد في عدن ، والذي قام بدور هام في محادثات السيد مع القنصل الإيطالي ، ولايسمح المجال هنا بمناقشة الظروف التي أدت إلي الخلاف الذي وقع بين الصديقين ، إلا أنه بعد هذا الشقاق توجه الحاج شحري في بعثة إلي السيد محمد صالح مؤسس الطريقة الصالحية المقيم بمكة ، وكانت هذه البعثة بتنسيق مع الحكومة الإيطالية واستصدرت البعثة من السيد محمد صالح رسالة تشير إلي ما أشيع من أن السيد مجمد عبدالله حسن قد خرج علي الشريعة الإسلامية ، كما تضمنت الرسالة وعيداً بقذفه والتشهير به إذا لم يمتنع عن هفواته ويصلح من شأنه ، وأذاع الإنجليز والإيطاليون نفس الرسالة علي نطاق واسع بينما تم تسليم ذات الرسالة إلـــــي السيد محمد عبدالله في مقر إقامته في شهر مارس عام ١٩٠٩م (٨٢) وتقول بعض الروايات الصومالية الشفهية إن هذه الرسالة المذكورة آنفا كانت رسالة مزورة من قبل الإنجليز أرادت تفكيك جيش ومؤيدي السيد محمد عبدالله حسن وسلمها أحد مروجي الدعاية الانجليزية فقرأها في فلقة السيد وتم ذلك فعلا وبعد قراءة الرسالة علي رؤوس الحضور من مؤيدي السيد في القلعة انقسم الجيش ومؤيدو السيد واندلعت حروب أهلية بين مؤيدي السيد أنفسهم ، وكانت هذه من السياسات الحكيمة التي كان يستخدمها الاستعمار الأوربي والتي تفوقت علي سياسة السيد ، ولكن الجهاد لم يتوقف بهذه العملية. ومع أن السيد محمد عبدالله كان معجبا بثورة الإمام محمد أحمد المهدي في السودان ، وكان يتلقي أخبارها عن طريق شيخه محمد صالح إلا أنه تميز عن المهدي بأنه :

١- لم يدع المهدية ، ولم يدع بأنه يتلقي هواتف باطنية ولا أنه مكلف من الحضرة النبوية ، كما أنه لم يحاول إلقاء المصادر للشريعة والفقه الإسلامي ،

٢- تميز بالمرونة السياسية ، حيث قام بإجراء صلح مع الإيطاليين والإنجليز استمر عدة سنوات كما دخل في تحالف مع الخلافة العثمانية باعتبارها منافحا عن الخلافة وسلطانها محمد رشاد الخامس ، وكذلك تحالف مع الإمبراطور الحبشي المسلم (ليج أياسو) وكل ذلك يدل علي فهم للسياسة الدولية ومرونة في التعامل مما ينفي عنه تماما التعصب والجنون .

٣- كان يوطد مركزه بالدخول في مصاهرات مع القبائل وبإعطاء الهدايا والإبل للشيوخ والزعماء لتأليف القلوب .

٤- كان ملما بأحوال العالم من حوله إذ جاب كثيرا من البلدان فعلم سيرة الإنجليز من خلال وجوده (بعدن) وفهم قضايا ومطالب الحركة التوحيدية الوهابية من خلال وجوده بالحجاز وعرف أحوال حركات الإصلاح الديني من شيخه محمد صالح.

٥- كان يستخدم سلاح المنشورات والأشعار بينما اكتفي الإمام المهدي بسلاح المنشور .كان السيد محمد عبدالله علي درجة طيبة من العلم بمقاصد الشريعة والفقه الإسلامي مما مكنه من إفحام خصومه (٨٣) .

وكانت عنده مقدرة كبيرة علي الحديث باللغة العربية والإلمام بفنونها حيث كان ينظم بعض أشعاره باللغة العربية وخاض السيد محمد حروبا كثيرة قدم فيها الكثير وحقق انتصارات كثيرة علي الأعداء وليس هذا مجال بحثنا ، ولكن نصل إلي لب الموضوع الذي أدي إلي هزيمته وفشل حركته الإصلاحية .

أسباب فشل حركة السيد محمد عبدالله حسن :

تختلف آراء الصوماليين حول حركة السيد محمد عبدالله حسن لأن الصوماليين يقيسون كل القضايا التي تموج بها الساحة الصومالية بمعيار قبلي ، حيث إن السيد محمد حارب عددا كبيرا من القبائل الصومالية التي لم تلب توجهاته الجهادية والفكرية وقام بطرد عدد من القبائل من خريطة الأراضي الصومالية ، إلي عمان وكينيا بما في ذلك حزء من قبيلة المجرتين وطلبهنتي وغيرهما والتجأ بعضهم إلي راية الإستعمار مثل الإسحاقية وغيرها ، إضافة إلي ذلك فإنه كان يتمتع بقمدرة شعرية وهي السلاح الوحيد في الصومال للدعاية ، حيث سب وهتك أعراض القبائل الصومالية قبيلة قبيلة وعدد لكل قبيلة مساوئها ، مما دفع شعراء القبائل الأخري للدفاع عن شرف قبائلهم ،

واستفاد الإستعمار البريطاني والإيطالي ، من هذه الفرصة وحرض القبائل ضد السيد الذي لم يستطع أن يتخطي هذه النقطة ، ولكنه واصل تنديده بها ، ومن الأسباب الجوهرية التي أدت إلي فشله وانهزامه في الساحة السياسية مايلي :

١- دخل في صراع ثلاث قوى استعمارية كبيرة إلا وهي بريطانيا الأمبراطورية التي لاتغيب عنها الشمس والإيطالية الفاشية والإمبراطورية الحبشية ولم يحصل علي مساعدة من العالم الإسلامي عدا الخلافة العثمانية التي كانت تمر آنذاك بمرحلة الانحطاط وأن القوة الاستعارية المتماسكة آنذاك لم تزل شوكتها قوية (٨٤) .

٢- الطريقة : حيث كان السيد يتمسك بالطريقة الصالحية وغالبية المجتمع الصومالي يتبع الطريقة القادرية لذا نشب صراع حاد بينه وبين الطريقة القادرية .

٣- تأليب الاستعمار علماء الصومال التقليديين ضد السيد محمد وعدم مقدرة السيد علي إيجاد تفاهم بينهم وبين العلماء ، بل إنه قام بقتل بعضهم .

٤- استطاع المستعمرون الإنجليز والإيطاليون اللعب بأوراق المعارضة ضد السيد وتوسيع الهوة التي أدت إلي تحالف قبائل إسحاق الصومالية مع الإدارة الإنجليزية في الحرب ضد الدراويش ، مما دفعه للقول عن قبيلة إسحاق ، إن الإسحاق ستظل كالحمير متبلدة إلي الأبد ، كما نجح الإنجليز في تحريك عدد من قبائل مجرتين ضده بقيادة الشيخ باقور عثمان ، وكذلك استفاد الإنجليز من الغيرة السائدة وسط القادة الدينيين ، وزعماء الطرق الصوفية ، مما أدي لشل جهود السيد محمد عبدالله في توحيد الزاوية الدينية للصوماليين ، وقد دفعته هذه النهاية لمصارعة قادة الطريقة القادرية ، حيث دفع الشيخ أويس القادري حياته ثمنا لهذا الصراع إذا مات مقتولا علي أيدي الدراويش في عام ١٩٠٩م في قرية بيلي التي أصبحت مزارا إلي يومنا هذا لأنصار الطريقة القادرية كبري الطرق الصوفية في منطقة الصومال الكبير (٨٥) .

وإن كان بعض قبائل اسحاقية من الدراويش إلا أن جل الإسحاقيين كانوا ضد سياسة السيد محمد إذ كان التنافس القبلي حادا بين قبيلة السيد الأغادين وقبيلة الإسحاقيين آنذاك ، فاعتقد الإسحاقيون أن السيد ممثل لقبيلته وأنه ناطق باسمهم ولاسيما شعره الموجه ضد الإسحاقيين وأنه يتستر باسم الجهاد والدين ومن أبياته الشهيرة التي يندد فيها بالإسحاقيين وتحالفهم مع الإستعمار مايلي :

IIDOOR WAGAASHILIYO KUFRIGA ALAA UYAAL

ومعناه : (الإسحاق والكفر بينهما وعد إلهي)

وكان الإسحاقيون يدافعون ويردون علي شعر السيد بشر مماثل بقيادة شاعرهم علي جاع هابيل وآخرين وقال في إحدي جواباته لسيد محمد :

Muslinimo Nimaan Kugudhayn, mumunimo Khass

gall aad maganstaa dhaama oo max kuu dhawra

ومعناه : الكافر الذي يحمي نساءك وأطفالك أحسن من رجل يدعي أنه مسلم ولايطبق الشريعة الإسلامية والطريق الصحيح الذي سلكه المسلمون .

٥- القبلية : إذ لم يستطع السيد أن يتعامل مع المجتمع القبلي الصومالي ، بل أجج النعرات القبلية عن طريق الشعر ومهاجمة المتخلفين عن أفكاره وجهاده ضد العدو ، مما أدي إلي إنهزامه بيد القبائل المرتزقة من قبل الإنجليز والإيطاليين وصدق عليه المثل الصومالي الشهير (عظام الفيل يكسر بعضها ببعض) لشدتها فاستخدم الإنجليز والإيطاليون هذه الآلة .

Lafa maroodi iyaga ayaa laysku jobiyaa

فانهزم السيد محمد عبدالله حسن بيد أشقائه نتيجة الصراع القبلي الطائفي .

هوامش الفصل الأول :

١- د. طه عبدالعليم رضون : في جغرافية العلم الإسلامي ج/٢ ص: ٣٥٩ ط الرابعة ١٤٠هـ ١٩٨٩م ، القاهرة

٢- د. يسري عبدالراق الجوهري : العالم الإسلامي في آسيا وإفريقيا ص : ٥٧٣ ط ١٩٨٥م ، القاهرة

٣- د. جودة حسين جودة ، جغرافية إفريقيا الإقليمية ص : ٣٨٨ ط ١٩٨١م القاهرة

٤- عبدالرزاق حسين حسن : المسح اللغوي في الصومال وتأثير اللغة العربية في اللغة الصومالية مراجعة د. عبدالعزيز مطر ص : ١١ ط ١٩٩١م جامعة قطر

٥- عميد أ. ح محمد فريد السيد حجاج : صفحات من تاريخ الصومال ص : ٧ بدون طبعة

٦- المسح الشامل : المنظمة العربية ص : ٦٢ ط ١٩٨٢م

٧- عبدالعزيز عبدالغني : أهل البلاد ص : ١٦٥ ط ١٩٩٤م السودان

٨- نفس المرجع السابق ص : ١٦٥- ١٧٧

٩- انظر : شهاب الدين أحمد بن عبدالقادر بن سالم بن عثمان الجيزاني الشهير بعرب فقيه ، تحفة الزمان فتوح الحبشة والصراع الصومالي الإثيوبي في القرن ١٣ الميلادي ، حقيقة فهيم محمد شلتوت ص : ٩

١٠- مجلة الدراسات الإفريقية مقال القبيلة من منظور إسلامي د. زكريا بشير إمام ص : ٤١ العدد الرابع يناير ١٩٩٦م ، جامعة إفريقيا العالمية

١١- نفس المرجع السابق ص : ٤٢

١٢- نفس المرجع السابق ص : ٣٨

١٣- نفس المرجع السابق ص : ٢٩

١٤- نفس المرجع السابق ص : ٤٥-٤٦

١٥- إمباي لو بشير : إشكالية انتقال السلطة في إفريقيا مع التطبيق علي نيجيريا ص : ٥٣ رسالة ماجستير : منشورة ١٩٩٥م ، جامعة إفريقيا العالمية

١٦- نفس المرجع السابق ص : ٥٤

١٧- نفس المرجع السابق ص : ٥٧-٥٨

١٨- نفس المرجع السابق ص : ٥٩

١٩- نجيب ناجي النجم : الصومال الجنوبي دراسة في الجغرفية الإقليمية ص : ١٣٧ ط ١٩٨٢م القاهرة

٢٠- عبدالرزاق حسين حسن : المسح اللغوي في الصومال مرجع سابق ص : ١٣

٢١- نفس المجع السابق ص : ١٧

٢٢- محمد محمود أحمد محمدين : دراسات في الأدب الصومالي ص : ٥٢ - ٥٣ القاهرة ١٩٧٣م

٣٢- نفس المرجع السابق ص : ٥٣- ٥٤

٢٤- لمسح الشامل مرجع سابق ص ٢٩٥

٢٥- نفس المرجع السابق ص : ٢٩٣

٢٦- نفس المرجع السابق ص :٢٩٥

٢٧- نفس المرجع السابق ص :٢٩٦

٢٨- نفس المرجع السابق ص :١٦

٢٩- محمد محمود محمدين : دراسات في الأدب الصومالي مرجع سابق ص : ١٧٠-١٧١

٣٠- حمدي السيد السالم :" الصومال قديما وحديثا ج/٢ ص : ٥٠٦

٣١- نفس المرجع السابق ص :٥٠٦

٣٢- نفس المرجع السابق ص :٥٠٦

٣٣- نفس المرجع السابق ص : ٥٣٢

٣٤- أحمد برخت ماح وثائق عن الصومال والحبشة وارتيريا ص : ٣٩٤-٣٩٥ ط ١٩٧٢م

٣٥- أعمال الندوة الدولية للقرن الإفريقي ١١-٧ يناير ١٩٨٥م ص : ٩٤١ - ٩٤٢ج/٢ معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة

٣٦- نفس المرجع السابق ص : ٩٤٢-٩٤٣

٣٧- نفس المرجع السابق ص :٩٤٣

٣٨- محمد محمود محمدين : دراسات في الأدب الصومالي ، مرجع سابق ص : ٣٩-٤٠

٣٩- نفس المرجع السابق ص : ٤٠ -٤١

٤٠- نفس المرجع السابق ص : ٤٦-٤٩

٤١- أعمال الندوة الدولية للقرن الإفريقي مرجع سابق ص : ٩٤٦

٤٢- نفس المرجع السابق ص : ٩٤٨

٤٣- نفس المرجع السابق ص : ٩٤٨

٤٤- المسح الشامل مرجع سابق ص : ٣٣٨

٤٥- انظر: عبدالرحمن بن خلدون : مقدمة بن خلدون : ج/١ في كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم : ١٣٣٢ - ١٤٠٦ ص : ١٢٨ بدون طبعة

٤٦- أعمال الندوة الدولية للقرن الإفريقي مرجع سابق ص : ١٠٠٩

٤٧- الشيخ موجي سمتر : التقليد المتوارث في توليه الأجناس عند العيس ص : ٤٥ ط ، القاهرة ١٩٩٥م

٤٨- نفس المرجع السابق ص : ٣٧

٤٩- الشيخ موجي سمتر : العيس شعب وتاريخ : تأملات في الفكر الفلسفي والسياسي والاجتماعي عند العيس ص : ١٢٧ القاهرة ١٩٩٥م

٥٠- محمد محمود أحمد محمدين : دراسات في الأدب الصومالي : مرجع سابق ص : ٦٤٦١
٥١- نفس المرجع السابق ص : ٦٥
٥٢- نفس المرجع السابق ص :٦٧
٥٣- نفس المرجع السابق ص :٦٨
٥٤- نفس المرجع السابق ص :١٠٩
٥٥- نفس المرجع السابق ص :١١٦
٥٦- نفس المرجع السابق ص :١٢٢-١٢٤
٥٧- محمد محمود محمدين دراسات في الأدب الصومالي : مرجع سابق ص : ١٢٥
٥٨- نفس المرجع السابق ص : ١٢٧
٥٩- جامع عمر عيس: شريط كاسيت سجل نهاية الخمسينات
٦٠- د. حسن مكي محمد أحمد - السياسات الثقافية للصومال الكبير ١٨٨٧- ١٩٨٦م ص : ٧٧ ط الأول ، ١٩٩٠م
٦١- أحمد برخت ماح مرجع سابق ص :١٧٩
٦٢- Ahmed sheekh cali Ahmed : xeerkii somall idii hore p.3-4.1977 muq-disho
٦٣- Ibid p. 22
٦٤- Ibid p. 11
٦٥- Ibid p.14-15
٦٦- Ibid p. 17
٦٧- Ibid p. 22 23
٦٨- Ibid p. 24-26
٦٩- Ibid p. 28-29
٧٠- Ibid p.37
٧١- Ibid p. 60-61
٧٢- انظر : د جلال يحيي العلاقات المصرية الصومالية ص : ٣٧ المكتبة الإفريقية بدون طبعة
٧٣- عميد أ. ح محمد فريد السيد حجاج ، صفحات من تاريخ الومال ص : ٤٠ - ٤١
٧٤- نفس المرجع السابق ص : ٤٤
٧٥- نفس الرجع السابق ص : ٤٣
٧٦- عميد أ. ح محمد فريد مرجع سابق ص : ٤٢
٧٧- د. حسن مكي محمد أحمد - مرجع سابق ص : ٣١
٨٧- عميد أ. ح محمد فريد مرجع سابق ص : ٣٧

٧٩- د. جلال يحيي ود . محمد نصر مهنا : مشكلة القرن الإفريقي وقضية الشعب الصومالي ص : ٤٣٦- ٤٣٧ القاهرة ط ١٩٨١م

٨٠- د. حسن مكي محمد أحمد مرجع سابق ص : ٣٥- ٣٦

٨١- المسح الشامل : مرجع سابق ص : ١٥٢

٨٢- علي أحمد : النزاع الصومالي الإثيوبي-(الجذور التاريخية) ص : ٨٥ بدون طبعة

٨٣- د. حسن مكي محمد أحمد مرجع سابق ص : ٤٧

٨٤- د. محمد علي توريارى : الحياد الإيجابي وسياسة الصومال الخارجية ص : ١٤ القاهرة ط : ١٩٧٠م

٨٥- د. حسن مكي محمد أحمد : السياسات الثقافية: مرجع سابق ص : ٣٧

الفصل الثاني

التطور السياسي في أثناء الإستعمار ١٩٤٣م - ١٩٦٩م

مدخل :

بدأ لشعب الصومالي حياته السياسية كأي شعب من شعوب العالم الإفريقي والآسيوي داخل إطار النظام القبلي والتكتلات القبلية في الحرب والسلم وفق ظروف المكان والزمان والعمل وكان شيخ القبيلة ينظم أمور قبيلته من تموين وتسليح وبحث عن موارد رزق وحماية من الأعداء وفي العادة كان لشيخ القبيلة مجلس مكون من العلماء ورؤساء العشائر للتشاور في أمور الدولة أي القبيلة قبل إصدار الأوامر ، وكان لرجال الدين الحكم بين الناس وفق تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وكثيرا ماكان لشيخ القبيلة أن يصدق علي أحكام الفقهاء ، وقد يلجأ إحيانا إلي العرف والتقاليد المتوارثة في إصدار الأحكام ، ولم تكن هناك حاجة إلي جيش منظم حديث في المجتع القبلي الصومالي ، وإنما كانت هناك فرقة حرس يشكلها السلطان لحفظ الأمن والنظام عند كل قبيلة وأصبح للسلطان مجلس يتكون من رؤساء القبائل ، وبذلك ظهرت أولي طلائع الحركة السياسية بخلق تكوينات قبلية تحت نظام واحد من الحكم وتوسع النظام القضائي ليتولي حقوقا كانت في يد شيخ القبيلة ، وكان لقاعدة القربي والملكية والشكل القبلي تأثير كبير في توجيه السياسة العامة للمجتمع القبلي الصومالي وتحدد بصورة اتصالها بجيرانها وبالعالم الخارجي (١) .

وعلي أي حال تعرف الصوماليون علي ألوان حضارية مابين أوربية وإفريقية وعلي مباديء جديدة في السياسة والإجتماع ذات أثر في إيجاد مباديء واتجاهات جديدة ، بالإضافة إلي العائدين الذين أتيح لهم أن يتلقوا علومهم في خارج الصومال ، فقدموا ومعهم أفكار ونظريات جديدة ، غير أنهم كانوا نظريين أكثر منهم عمليين وكان القادم من الخارج سرعان مايعود إلي طبيعته القبلية . كان المجتمع الصومالي متعودا إلا ينظر إلي ماوراء القبيلة أو بعبارة أخري إلي ماوراء صوماليا ، وظلت القبيلة هي المحور السياسي والاجتماعي الوحيد الذي يدور حوله الصوماليون في صوماليا (٢) .

شهدت الصومال ذات المجتمع القبلي في نشوء أحزاب قبلية منذ عام ١٩٤٣م في ظروف الإنفراج الذي أعقب الحرب العالمية الثانية وسيطرة بريطانيا علي الصومال ككل ، وبالتالي نجد أن المؤسسة الحديثة تعارضت مع التقاليد الصومالية والنظام

الأبوي الذي يتأسس عليه المجتمع ليولد التسلط من جانب الأب أو زعيم القبيلة أو الحاكم والرضوخ من جانب الابن أو أفراد القبيلة أو الشعب ، ويري برنارد لويس (وان نمط الحياة التقليدي في الصومال المبني علي القبيلة كالتقسيم الاجتماعي والمقايضة كنمط انتاجي لم يتغير ببناء الدولة الحديثة ، بعد الاستقلال ، إذ تعتبر القومية الصومالية واقعا هشا لايصلح للبناء الهيكلي الاجتماعي ببناء الدولة الحديثة (٣) .

وعلي مدي التاريخ نلاحظ أن الشعوب التي تتحدث الصومالية في القرن الإفريقي وجدوا أنفسهم مشتتين كما أن الأرض التي يشغلونها كانت محتلة في البداية من سلاطين متعددين ثم تلا ذلك قدوم قوي أوربية استعمارية مختلفة ، ولم يبدأ الوعي الوطني في الظهور إلا في مطلع القرن العشرين ولم يأخذ الشكل الحقيقي الواقعي إلا في الحرب العالمية الثانية (٤) .

المبحث الأول : الأحزاب السياسية ونشأتها :

لقد وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في عام ١٩٤٥م ، وانتصر الحلفاء علي دول المحور فهبت رياح الحرية علي العالم وبالأخص علي قارتي آسيا وإفريقيا اللتين كانتا مسرحا للتنافس الدولي في أواخر القرن الماضي وظهرت أحداث مؤلمة من جراء تقسيم المستعمرين للعالم إلي مناطق نفوذ ، هب علي العالم نسيم الحرية بصورة شبه تلقائيه ايقظت الشعوب من سباتها الطويل ، وبدأت مرحلة جديدة من العمل الجدي والتطور السياسي وضرورة إحلال أوضاع جديدة محل الأوضاع القديمة علي أساس حق تقرير المصير لجميع شعوب العالم .

ولذلك برزت ظروف سياسية جديدة أفسحت أمام الشعوب المغلوبة علي أمرها مجالا أوسع لإنشاء حركات تحررية للمطالبة بحقها في الحرية والسيادة ، وعليه فإن نادي وحدة الشباب الصومالي كان وليد تلك الظروف التي تحكّمت في أوضاع العالم في تلك الفترة شأنه في ذلك شأن كل الأحزاب السياسية التي نشأت في أنحاء كثيرة من قارة إفريقيا وربما كان ظهور نادي وحدة الشباب الصومالي أمرا فريدا من نوعه بالنسبة للأحزاب الإفريقية التي نشأت في تلك الفترة حيث كان مفاجأة غير متوقعة بالنسبة للمراقبين السياسيين ومقدمة لا سابقة لها ، لأن الشعب الصومالي لم يكن له تجربة سابقة للنضال السياسي المجرد ، حيث لم تكن له طبقة سياسية واعية وكان مستوي الثقافة فيه منخفضا ومحدودا بشكل مخيف (٥) .

قامت قبل الحرب العالمية الثانية في الصومال حركات دينية وقومية وكانت تتميز بالدفاع عن النفس كما حدث في أماكن عديدة في سواحل الصومال وأبرز مثال لهذه الحركات تلك التي قادها الزعيم الصومالي المشهور محمد عبدالله حسن حيث إن حركته في تطوره الأخير قد اتسمت بكلا الطابعين الديني والقومي مع أنها لم تعتمد علي أسس سياسية مدروسة تستهدف إقامة الدولة الصومالية في المستقبل (٦) .

أما الحركات التي أخذت طابعا سياسيا في الصومال فكانت بعد الحرب العالمية الثانية وعلي إثر هزيمة إيطالية وحلفائها وعقب استيلاء انجلترا علي هذه الأرض أي الصومال ، ففي فبراير سنة ١٩٤١م لم تقاوم انجلترا فكرة إنشاء أول حزب سياسي في الصومال وهو حزب (وحدة الشباب الصومالي) ، بل شجعته لأسباب سياسية خلفتها ظروف دولية ومحلية علي السواء ، فقد تغير العالم في فترة مابين الحربين العالميتين تغييرا جذريا وظهرت فيه نظم اجتماعية حديثة تعكس أيديولوجية جديدة وبدأت شوكة الاستعمار تتضاءل حدتها وانتشرت حركات تقدمية في العالم تتجاوب فيما بينها في نطاق عالمي وتساندها من الخارج الدول الاشتراكية ذات النظم الحديثة ماديا ومعنويا وتؤيدها هيئات دولية كهيئة الأمم المتحدة (٧) .

المبحث الثاني : عدد الأحزاب السياسية:

أولا : حزب وحدة الشباب الصومالي :

تكون الحزب من لقاء ثلاثة عشر صوماليا في مايو ١٩٤٣م في مقديشو وفي ظل إدارتها الإنجليزية ، وقد ضمت انتماءات هؤلاء الشباب معظم قبائل الصومال الأساسية وإن طغي عليها عنصر الدارود واتخذ الحزب رمزا له يتكون من خمس نجوم بيضاء مشهورة في مساحة العلم ممثلة الأقسام الخمسة التي تتجزأ إليها الأراضي الصومالية ، وقد جاء في مقدمة الدستور أن يكون المحور الأساسي لجهود الحزب ماتوحي به الشريعة الإسلامية من توجيهات باعتبار أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة الصومالية وتعزيز مكانة اللغة العربية وإحلالها المحل اللائق بها في ربوع البلاد كما نص دستور الحزب في ديباجته علي الآتي (ممنوع علي أعضاء هذا الحزب كتابة اللغة الصومالية بحروف لاتينية) .

نشأ حزب وحدة الشباب في ظروف الإنفراج السياسي الذي أعقب الحرب العالمية الثانية كما اتفقت نشأته مع ترويج السياسة الإنجليزية لفكرةالصومال الكبير والتي

تعتبر وزير الخارجية البريطانية (أرنست بيفن) أحد مهندسيها ، ركز الحزب منذ أيامه الأولي علي إنشاء الفروع في مختلف أنحاء الصومال الكبير وتعميق الإحساس بالقضية الصومالية حيث أصبحت القومية العلمانية أيدلوجية الشباب الصومالي مستغنين بها عن شعارات الاشتراكية والديمقراطية وهدفوا في زخم هذه القومية إلي توحيد المشاعر الوطنية ضد الإستعمار ، وفي ذات عام ١٩٤٣م تمّ تكوين فروع لحزب وحدة الشباب في هرر ومناطق القسم الإسلامي ومن هرر انتقلت دعوة الصومال لبقية مناطق القسم الإسلامي مما أدي إلي تعكير العلاقات بين إثيوبيا وبريطانيا والولايات المتحدة والصومال (٨).

برنامج الحرب :

١- توحيد جميع الصوماليين وعلي الأخص عنصر الشباب والقضا ء علي الموانع التي تعيق ذلك بالطرق القانونية الدستورية .

٢- نشر التعليم الحديث واللغة العربية عن طريق فتح المدارس .

٣- محاربة القبية .

٤- محاربة كتابة اللغة الصومالية بحروف أجنبية مع العمل علي ترقية أوضاع اللغة الصومالية والعمل علي كتابتها بحروف صومالية وكان بناء الحزب مشابًها لبناء الأحزاب السياسية في العالم الغربي مع تعديلات طفيفة (٩) .

وقام السيد يسن حاج عثمان بصياغة برنامج يتضمن الأهداف الأساسية للنادي كتحرير الصومال من الاستعمار ونبذ القبلية والطائفية وغيرها من العوامل التي تؤدي إلي التفرقة ، وعندما قدم طلبا بالترخيص إلي حاكم مقديشو البريطاني رفعه هذا بدوره إلي محافظة بنادر للاستشارة فلم يعترض عليه ، ولكنه قبل أن يبلغ حاكم الناحية المؤسسين بموافقته النهائية بفتح النادي استدعاهم لاجتماع في مكتبه وسألهم عن أسباب التناقض والاختلاف الواضح بين الاسم الذي يحمله النادي وهو نادي الشباب الصومالي وبين المباديء الأساسية التي يتضمنها البرنامج ، أجابوا بأنهم يرغبون في أن ينحصر في المرحلة الأولي في توحيد الشباب الصومالي وتعليمه وتوعيته سياسيا ، ولكن الغاية التي يتطلعون إليها تحويل النادي إلي حزب سياسي ذي أهداف محدودة في الوقت المناسب وأخبرهم في نهاية الاجتماع بموافقته علي فتح النادي . ولعل من أولي العوامل التي ساعدت الحزب أو النادي خلو الميدان من أي منافسة حزبية أخري تستحق الذكر ، وتقبل أبناء الشعب الصومالي المباديء الواردة

في برنامجه فقد وجدها محققة الأهداف القومية ومعبرة عن أماله واعتبرها خير علاج لمشكلته المستعصية ، وقد أعطي الحزب اهتمامه في أول الأمر إلي السياسة الداخلية بإقناع الشعب الصومالي بوجهة نظره في القضايا السياسية والاجتماعية.ونتيجة للمجهودات التي بدأها الحزب في سبيل انتاشره وتجاوب الشعب الصومالي معه ، بالإضافة الي تساهل السلطات البريطانية العسكرية معه ، انتشر الحزب في جميع أنحاء الصومال وفي مختلف المناطق وصارت له فروع في أنفدي والساحل الفرنسي جيبوتي حاليا ومحمية الصومال البريطاني والصومال الحبشي (١٠) .

تقويم أفكار الحزب :

إن أدبيات حزب وحدة الشباب استخدمت الكثيرمن من العبارات حو ل تعزيز وضع الشريعة الإسلامية واللغة العربية إلا أن ذلك كان جزئيا لإرضاء الزعامات الدينية التي باركت وأيدت الحزب ، لكن النظرة الفاحصة للاتجاهات العملية التي سلكها الحزب وبعقلية قيادته المثقفة تكشف أن حزب وحدة الشباب لم يكن امتدادا لحركة الصوماليين التاريخية بصيغتها الإسلامية كحركة الإمام أحمد إبراهيم الجري أو السيد محمد عبدالله حسن ، بل نجد أن حيوية الحزب كمنت في كونه حزبا قوميا علمانيا ضارباً علي وتر العقلانية الاستعمارية ، بل إن قيادات حزب حركة وحدة الشباب تنتمي للشرائح التي ناهضت جزئيا جهاد السيد محمد عبدالله حسن وقبلت بالتعاون مع الاستعمار باعتباره أمرا واقعا وتبنت في اطروحاتها أسلوب التعاون والحوار والإفادة من قدرات المستعمرين ، ولم يكن فكر الجهاد والمقاومة خفية في فكرة قادة الحزب ، بل إن قيادة الحزب كانت موزعة ومقسمة بين الدعوة للوصاية الإيطالية والإنجليزية ، وأن الفكر الذي غلب علي الحزب هو الفكر الرافض لعروبة الصومال وهو الفكر الذي صفي فكر حاج محمد حسين الداعي لقيام الصومال الكبير علي رابطة العروبة والدين.

- التأثر بالحركات السياسية الغربية كالفاشية ، كان واضحا حتي في زيهم
- رفعت حركة وحدة الشباب الصومالي شعار وحدة الصومال الكبير علي أساس وحدة العرق الصومالي المرتكزة علي فكرة القومية العلمانية
- تبنت حركة وحدة حزب الشباب الصومالي الأبجدية العثمانية وهي أشبه باللاتينية وتكتب من الشمال إلي اليمين ، وكتب بها الحزب بعض وثائقه وتعتبر هذه بمثابة الخطوة الأولي في مسار علمنة اللغة وفصلها وإبعادها عن الثقافة الإسلامية المكتوبة بالحرب العربي .

- كان أهم إسهامات حركة حزب وحدة الشباب الصومالي إيقاظه لمشاعر الوحدة بين مختلف مكونات الأمة الصومالية علي امتداد وجود الصوماليين في هرر والأغادين وشمال كينيا وجيبوتي .

نجح حزب وحدة الشباب الصومالي في عام ١٩٥٨م في إصدار جريدة أسبوعية كانت توزع ثلاثة آلاف نسخة أسبوعيا وكانت تكتب باللغة العربية حيث قام علي تحريرها نفر مؤمن بعروبة وإسلامية الصومال وقد أظهرت الصحيفة وعيا بقضايا العالم الإسلامي وركزت علي نشر أوضاع الصوماليين (١١) .

انحراف حزب وحدة الشباب وميله للغرب :

إن حزب وحدة الشباب الصومالي تخلي عن خط النضال الجماهيري متوهما أن باستطاعته استغلال الإرث القديم والتعاون مع الاستعمار في تدمير البلاد وقد حملهم هذا الإعتقاد علي أنكار مساويء الاستعمار ووصف الأمبرياليين بالكرم والسماحة ، ويعني هذا الاستخفاف بقدرة الشعب الصومالي في تطوير بلاده والتجاهل عن المكاسب التي حققها بنضاله المرير ضد الاستعمار ، كما أن ذلك دفعهم إلي تحمل مسئولية حماية المصالح والاحتكارات الأجنبية . ويفسر هذه الحقبة التصريحات التي أدلي بها زعماء حزب وحدة الشباب الصومالي ومنها مايلي :

الرسالة التي بعثها السيد آدم عبدالله عثمان رئيس الجمعية التشريعيةآنذاك إلي الحاج محمد حسين بتاريخ ١٩٥٧/٩/٥م بمناسبة انتخابه رئيسا للحزب.

نورد في الأسطر التالية أهم الفقرات التي تضمنتها الرسالة ، فقد استهلها السيد آدم عبدالله عثمان بتهنئة الحاج محمد عبدالله حسين ، بمناسبة انتخابه رئيسا للحزب ثم أعاد إلي ذهنه أن الصومال خطت خطوات نحو الاستقلال وأنها تمر الآن بمرحلة تتطلب المزيد من الاستقرار ، وإلي تقدير من الخارج ودعم ماوصلت إليه من نتائج ، ومواصلة الجهود لنيل الاستقلال الكامل ، ولايكون ذلك إلا باكتسابنا العطف من جميع الدول المشتركة في الأمم المتحدة وليس في صالح الصومال أن يكون لها أعداء من الغرب أو الشرق ، وإلي هنا يبدو الأمر عاديا بالرغم مماتضمنته هذه العبارة المهذبة من ميل نحو الغرب ، ولكن السيد آدم عبدالله عثمان عاد مرة أخري يعبر عن استيائه للأحاديث التي يلقيها الحاج محمد حسين بإذاعة القاهرة ويهاجم فيها الإيطاليين والغربيين ووصف هذا الحديث بأنه يورث القلق والغموض اللذين يخشي أن يعرقلا أماني الشعب الصومالي ، وفي الوقت ذاته اعترف السيد آدم عبدالله عثمان بصحة

وحقيقة ببعض ماجاء في هذه الأحاديث وعبر عن اعتقاده أيضا بأن الدعاية ضد الغرب تعطيه مجالا لاتهام الصومال بالشيوعية الأمر الذي يؤدي إلي غابة غير محمودة (١٢) . ومن أهم العوامل الرئيسية التي فتحت باب الإنحراف علي مصراعيه ، وجعلت الحزب يتخبط في مساره السياسى ، انعدام وجود منهج سياسي واقتصادي واجتماعي معين يحدد العلاقة بين الحزب وحكومته وبين الحزب والجماهير وكذلك مسئولية كل طرف من هذه الأطراف في عملية بناء الوطن ، وفي هذه المرحلة الانتقالية استطاع الاستعمار أن يحتوي الحزب وأن يجعله مواليا لسياسته ، وبدأ يعادي كل حركة تحررية وينظر إليها بعين الشك والريبة حتي فقد الجماهير وانفضت من حوله ، مما أفقده كل المقومات الأساسية للحزب وصار أشبه بشركة احتكارية تجارية منه إلي حزب سياسي احتكر السياسة واحتكر الثروة الوطنية مستخدما في ذلك المال لشراء الضمائر والذمم أو العنف والقوة إذا اقتضت الضرورة (١٣) .

ثانيا : حزب الديجل والميرفلي :

قام هذا الحزب أصلا علي كيان قبلي لتمثيل قبائل الديجل والميرفلي برئاسة الشيخ عبدالله شيخ محمد ، ولكن حينما أصدرت حكومة الاستقلال قانونا يمنع الأحزاب باتخاذ تسميات وأسماء قبلية أصبح اسمهم (حزب الدستور المستقل) ولكي ينفوا عن أنفسهم صفة القبلية سعوا لتطعيم الحزب ببعض العرب والعناصر الزنجية ، ويظهر تأثر الحزب بالفكر الغربي من اتخاذه اسم الدستور في وقت كان فيه القليل من الصوماليين يعرف ويفهم ماذا كانت تعني كلمة الدستور أصلا ، وقد نشأ الحزب في كنف الإدارة البريطانية ، ولكنه كان مدعوما من الإيطاليين ، ولكن حينما جاءت لجنة (القوي الأربعة) اقترح الحزب قيام وصاية من قبل الدول الأربعة تمتد ثلاثين عاما علي الصومال . تبني الحزب أهدافا قومية أهمها اقتراح اللامركزية الإقليمية أساسا للدستور وتقليص صلاحيات رئيس الجمهورية (١٤) .

ثالثا : الحزب الاتحاد الوطني :

وهو حزب صغير كان يرأسه الشيخ صالح شيخ عمر وجاءت معظم عضويته من قبيلة أبجال إحدي فروع قبيلة الهاوية وكان يدعي أنه يمثل ثمانين ألف شخص ، ولكن جاءت الانتخابات وكذبت ذلك وقد طغي أسلوب الجمعية الثقافية الخيرية علي الحزب ،

حيث كان يدير أربع مدارس ولم يعرف للحزب برنامج وإن عرف أنه مدعوم من قبل الإنجليز لموازنة نفوذ الأحزاب الموالية لإيطالية (١٥) .

رابعا : حزب الرابطة الوطنية الصومالية :

أسس حزب الرابطة الوطنية الصومالية في محمية الصومال البريطاني سابقا أواخر عام ١٩٥١م وكان تأسيس هذا الحزب نتيجة لتطور الحركة السياسية والاجتماعية في محمية الصومال البريطاني التي عاشت خمس عشرة سنة تتعثر خلالها وتواجه أزمات حادة تستسلم تارة لقيادة سطحية ليس لديها رؤية واضحة في خط سيرها وأخري انتهازية وصولية تسعي إلي الحصول علي المنفعة وثالثة مدسوسة في الحركة لارتباطها بالاستعمار حتي تتمكن من خداع الشعب وتضليله عن حقيقة مطالبه ومرت الحركة بثلاث مراحل هامة نشأت خلالها جمعيات وأحزاب سياسية .

أ/ المرحلة الأولي وظهور الجمعيات الدينية :

اتسمت الحركة في هذه المرحلة من تاريخ حياتها بالتقليد وخلوها من أي مضمون أو محتوي سياسي يستحق الذكر ، وقد نشأت الحركة في محمية الصومال البريطاني آنذاك في سنة ١٩٣٧م علي شكل جميعات تحمل أسماء اجتماعية كالجمعية الخيرية في هرجيسيا ونادي عطية الرحمن في برعوا.

ب/ المرحلة الثانية إنشاء الجمعيات ذات الصبغة السياسية الصومالية :

إن التغيرات الجذرية البعيدة المدي التي طرأت علي العالم بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوارها صاحبت معها قوة جديدة هي ظهور القوة التحررية في العالم وتعاظمها واغتنم الصوماليون في المحمية الفرصة بدورهم وأنشأوا حزبا سياسيا اطلقوا عليه الجمعية الوطنية الصومالية وقدمت له بريطانيا في أوائل الأمر تسهيلات مماثلة ، للتسهيلات التي قدمتها لحزب وحدة الشباب الصومالي حتي قوي مركزه وصارت له فروع في جميع أنحاء المحمية وأجزاء كثيرة من المنطقة المحتلة من الحبشة ، ولعب الحزب دورا سياسيا في إيقاظ المشاعر الوطنية ، ولكنه تعرض للضغط والإرهاب والقمع الشديد من جانب بريطانيا في نهاية الأمر وذلك في نفس الوقت الذي تعرض فيه حزب وحدة الشباب الصومالي للانتقام من السلطات العسكرية البريطانية في عام ١٩٤٨م ، ومما يؤسف له أن الجمعية البريطانية الوطنية الصومالية لم تصمد طويلا أمام عملية القمع الوحشية إذ لجأت السلطات البريطانية في المحمية إلي أسلوب

يخالف الأسلوب الذي واجهت به حزب وحدة الشباب الصومالي وهو أسلوب الدس والوقيعة بين الأهالي وإثارة النعرات القبلية فيهم ، الأمر الذي أدي إلي إشعال نيران الفتنة بين الأهالي ووقوع معارك دامية ذهب ضحيتها كثير من المواطنين مما سهل للسلطات البريطانية كسر شوكة الحزب والقضاء عليه دون عناء كبير(١٦) .

أنشاء حزب الرابطة الوطنية الصومالية :

أنشأ حزب الرابطة الوطنية الصومالية فى أواخر سنة ١٩٥١م ولقيام هذا الحزب كغيره من الأحزاب عوامل خارجية وأخري محلية ، فالعوامل الخارجية هي أن الثورات التحررية العالمية التي تفجرت في أجزاء كثيرة من قارتي إفريقيا وآسيا وانتصارها علي الاستعمار في أنحاء كثيرة من العالم ، وخاصة قرب المحمية الصومالية من الوطن العربي الذي كان يموج بالحركات السياسية والتحررية أدت إلي إنشاء وتطور الحياة السياسية في الصومال الشمالي .

وكان من نتائجها إنشاء حزب الرابطة الوطنية ، أما العامل المحلي الذي له علاقة بتأسيس الحزب فهو تطور الحياة الحزبية في محمية الصومال البريطاني وانتقالها من مرحلة إلي أخري أبعد تجمعا وأرحب آفاقا وكان أيضا للحماس الشعبي الذي آثارته بعثة من الأزهر الشريف للمحمية في عام ١٩٥٢م ، المكونة من الشيخ عبدالله المشد ، والشيخ خليفة أثر حسن في قيام الحزب .

أهداف الحزب الرئيسية :

١- الاستقلال التام بدون قيد ولاشرط

٢- توحيد أجزاء الصومال الخمسة تحت راية واحدة

٣- رفع مستوي معيشة الصومال وتنمية الاقتصاد الوطني

٤- محو الأمية ونشر التعاليم الإسلامية والأفكار الحديثة.

٥- محاربة القبلية (١٧) .

طغي علي الحزب الإسحاقيون والذين يعتزون ويفتخرون بأصولهم العربية ويمثلون أهم قبائل الأقاليم الشمالية ، وقد ظل محمد إبراهيم عقال رئيسا للحزب منذ تأسيسه ، وكان حزب الرابطة أكثر الأحزاب الصومالية حرصا علي قضية التأصيل الإسلامي والتوجه الإسلامي .

كما سعي لتأسيس علاقات مع مصر (١٨) وكان يضم قبيلتي هبر أول (عيس موس) ، وجرحجس وهما أحد فروع القبائل الإسحاقية (١٩) ، ولكنه تستر بالحروف

الإنجليزية التي كان من عادة الأحزاب السياسية الصومالية جميعا التستر بها هروبا من أسماء القبائل لجذب الناس إليها ولكسب التأييد والاعتراف من السلطات الاستعمارية ، ولكن هذا الحزب الذي قاد نضال الشعب الصومالي في الإقليم الشمالي بكفاية ومقدرة انتهي دوره الطبيعي وذاب في الحياة السياسية في الصومال بعد الاستقلال واختفي من المسرح السياسي .

وهذه الظاهرة شملت جميع أحزاب الإقليم الشمالي لأن جميع هذه الأحزاب خلت من المضمون الاجتماعي في برنامجها واعتبرت أن الاستقلال من الاحتلال البريطاني والوحدة مع الجنوب هو نهاية الطريق ، وعندما تم هذا الشعار أصبحت الأحزاب بدون برنامج أو مضمون اجتماعي يشد الجماهير إليها ويجعلهم يلتفون حولها .

كما أن هناك سبباً رئيسيا لاختفاء هذه الأحزاب ، وهو أن من وحدة الصومال الشمالي مع الصومال الجنوبي أصبحت مقديشو وهي عاصمة الإقليم الجنوبي عاصمة الجمهورية الجديدة ، وانتقل مركز العمل السياسي إلي مقديشو ، وأصبحت هرجيسا عاصمة الشمال مدينة عادية من مدن الصومال واستولي السياسيون علي الإقليم الجنوبي وخاصة زعماء وحدة الشباب الصومالي علي مقاليد الحكم ولم يتركوا لأهل الشمال إلا أماكن محدودة في الوزارة أو في أي عمل سياسي ، وبهذا أصبحت مقديشو قبلة للسياسيين ، وقوي حزب وحدة الشباب الصومالي موقفه ولم يترك لباقي الأحزاب فرصة للنمو أو استكمال الطريق وبجانب هذا لعبت القبلية دورها في مجال السياسة وأدي هذه كله إلي تلاشي أحزاب الشمال بهدوء (٢٠) .

٣-

خامسا : حزب الصومال المتحد:

٤- جاءت عضوية هذا الحزب أساسا من الدر وهي (جدبيرسي) و (عيس) وبعض عشائر الدارود القاطنة في الشمال وهي (طلبهنتي) و (ورسنحلي) وتكون في ظروف الاستقلال .

٥- وكانت أهدافه مشابهة لأهداف حزب الرابطة الوطنية ونال اثني عشر مقعدا في انتخابات الجمعية التشريعية في فبراير ١٩٦٠م ، وبذا أصبح الحزب الثالث علي مستوي جمهورية الصومال بعد حزب وحدة الشباب وحزب الرابطة الوطنية وقد شارك الحزب في حكومة محمد إبراهيم عقال الأولي حيث تحالف مع حزب الرابطة الوطني ة(٢١) .

سادسا : حزب الجبهة المتحدة :

تأسس عام ١٩٥٤ تحت رئاسة شيخ عبدالرحمن كاريه ، وكان يحظي بتأييد قبائل (هبر جعلوا) إحدي فروع القبائل الإسحاقية وجزء من قبيلة هبر أول إحدي فروع القبائل الإسحاقية وخاصة عشائر سعد موس وشارك الحزب في انتخابات عام ١٩٥٩م ونال سبعة مقاعد من أصل ثلاثة عشر مقعدا ، ولكن حينما جرت انتخابات ١٩٦٠م تقلص نصيبه إلي مقعد واحد .

برنامج الحزب :

١- وحدة الأراض الصومالية

٢- استرجاع الأوغادين والهود

٣- قد تمزق حزب الجبهة الوطنية علي إثر فشله في إحراز أي تقدم في القضية المحورية التي نهض لها ، وهي استرجاع الهود وانفضت جماهيره عنه وكسبها حزب الصومال المتحد (٢٢) ولا يمكن القول بأن الاستعمار الإنجليزي قد حقق تقدما أو ساعد علي تطوير الشعب الصومالي في أي ناحية من النواحي ، وبالعكس فقد اقتطع أراضي لايملكها ومنحها لمن لايملكها دون مراعاة لشعور الشعب أو وحدته أو حتي وحدة أبنائه ، فبعض القبائل وجدت نفسها مجزأة ، بعضها يعيش في ظل وطنه والجزء الأخر يعيش في ظل محتل له ولا ذنب له فيما جري إلا أنه كان تابعا رغم أنفه للحكم الإنجليزي يوما ما (٢٣) .

وصاية الأمم المتحدة علي الصومال ١٩٥٠م - ١٩٦٠م

ولما انعقد مؤتمر سان فرانسيسكو لوضع ميثاق الأمم المتحدة وقرر مبدأ عالميا جديدا ، وهو أن الشعوب المستعمرة مسئولة من مسئوليات المجتمع الدولي كله ، وأن العلاقة بين الدول المستعمرة والدول الخاضعة لها ليست علاقة خاصة بينهما ، وإنما هي علاقة عامة في حق الأمم المتحدة ، وفي واجبها كممثلة للمجتمع الدولي أن تتدخل فيها ، وعلي هذا تم الاتفاق علي تقسيم البلاد غير المستقلة إلي نوعين .

١- المستعمرات بوجه عام

٢- المستعمرات التي كانت خاضعة لنظام الانتداب قبل الحرب والمستعمرات التي كانت تستعمرها دول الأعداء

وهذا النوع الثاني هو الذي تقرر وضعه تحت الوصاية ، وصوماليا كانت مستعمرة

لإحدي دول الأعداء أي الصومال الجنوبي وهي ايطاليا ، وعلي ضوء التقرير المقدم من اللجنة الرباعية عن رغبات الشعب الصومالي والأقليات في صوماليا أقرت هيئة الأمم المتحدة في دورتها الرابعة المنعقدة في شهر نوفمبر ١٩٤٩م منح صوماليا استقلالها بعد عشر سنوات من موافقة الجمعية العامة علي شروط اتفاقية الوصاية علي أن تتولي ايطاليا إدارة البلاد وتأهيلها للاستقلال خلال الفترة المذكورة ويعاونها في ذلك مجلس استشاري من مندوبي مصر ، وكولومبيا والفلبين ، ويكون مقر المجلس في مدينة مقديشو . وفي ٢٧ يناير ١٩٥٠م أقر مجلس الوصاية التابع لهيئة الأمم المتحدة بعد مفاوضة إيطاليا مشروع اتفاقية الوصاية الذي كان من أهم مواده مايلي :

- أن تشجع الإدارة الايطالية تطور النظم السياسية الحرة وتساعد علي تقدم سكان الإقليم نحو الاستقلال خلال الفترة المحددة ، وذلك بإعداد أبناء البلاد للاشتراك في مختلف الدوائر الحكومية .
- أن تقوي النمو الاقتصادي وتنظيم استثمار الموارد الطبيعية.
- أن تقر الرقي الاجتماعي الاجتماعي وذلك لحماية الحقوق والحريات الأساسية بجميع عناصر الشعب ، ومنع جميع أنواع المتاجرة بالرقيق والزواج قبل سن البلوغ والأعمال الشاقة والأجبارية مع مراعاة مصلحتهم وحقوقهم .
- أن تتعهد بإنشاء نظام صحيح في مختلف مراحله في الداخل وإرسال بعثات إلي خارج البلاد لإعداد أفراد مؤهلين للقيام بأعباء الدولة .
- أن تؤمن الإدارة الإيطالية حرية الرأي والدين وحرية التعليم الديني ، وتمنح المبشرين من أي مذهب دخول البلاد والإقامة والتجول فيها وتعطيهم فرصة تملك الأرض .
- أن تضمن للسكان حرية الكلام والصحافة والاجتماع وتقديم عرائض الاجتماع دون تفريق من حيث الجنس أو الصفة أو المذهب السياسي أو الديني ، مع مراعاة ما تتطلبه مصلحة الأمن العام .
- أن تضمن استقلال القضاء وتقيم النظام القضائي النزيه الذي يضم ممثلين من السكان الأصليين وتوكل إليهم الوظائف القضائية بصورة تدريجية وعليها - عندما يقضي الأمر اتباع تعليم الشرع الإسلامي والقوانين التقليدية المعمول بها في البلاد وأن تحافظ علي قانون الأحوال الشخصية والوراثية مع احترام تطورها وأن تساوي بين جميع المواطنين أمام القانون (٢٤) .

هذه البنود قد أعدت لإعداد الشعب الصومالي للمسئولية الجديدة مسئولية دولة حديثة ، وقد شك كثيرون في تحمل المجتمع الصومالي لهذه المسئولية نظرا للتخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي بالإضافة إلي تقاليده القبلية البدائية التي قد لا تتمشي مع ماكان يراه البعض وقتئذ مع مسئولية الدولة الحديثة ، وعلي هذا جاء في ختام تقرير اللجنة الرباعية التي قدم إلي وزراء خارجية الدول العظمي في ٣٠ يوليو ١٩٤٨م بأن بلاد الصومال غير متطورة من جهة النظرة السياسية والاقتصادية لتحكم نفسها بنفسها ، وفي هذه المرحلة بالذات كان علي الشعب الصومالي بوجه عام وعلي أحزابه السياسية والقبلية بوجه خاص أن يجتاز هذه التجربة أثناء ممارستها في مدة الوصاية المحددة له ، ويثبت فيها بأنه وصل إلي درجة النضوج والوعي السياسي الذي تتطلبه المسئولية الدولية الحديثة ، وذلك عن طريق المشاركة الديمقراطية في مسئولية الحكم الذاتي وفقا لروح ونصوص معاهدة الوصاية الدولية ، ولكن الأحزاب القبلية والسياسية والمجتمع الصومالي لم يغير شيئا يذكر في نظامه التقليدي القبلي إلا الحماس والمطالبة بالحرية والاستقلال ، وكونت الإدارة الإيطالية مجلسا استشاريا يتألف من ٣٥ عضوا ٧ مقاعد منها للأحزاب السياسية ذات النزعات التحررية و٢١ مقعدا لأهم الجنسيات المختلفة ذات النزعات غير التحررية ، وهذا من أجل خلق جو من الاتصالات السياسية بين الفئات ذات النزعات المتناقضة ، وكان للحاكم الإيطالي العام أن يعين أعضاء الجنسيات ذات النزعات المضادة في المجالس المحلية والأحزاب ويعين الأعضاء غير الصوماليين ، منهم أثنان ممثلين للمصالح الاقتصادية وأثنان ايطاليان ، وواحد من الباكستانيين علي أن يتولي العضو منصبه لفترة عام واحد ، وقد بدأ المجلس أعماله في يناير ١٩٥١م وانتهي في اكتوبر من نفس السنة ، وهو أول جمعية استشارية سياسية تتحول تدريجيا إلي جمعية تشريعية قبل نيل الاستقلال بأعوام قلائل وبالتحديد عام ١٩٥٦م وتمارس فيها الفئات القبلية والأحزاب السياسية الديمقراطية أساليبها الحديثة ويناقشون فيها المسائل الداخلية ويبدون آراءهم السياسية ، ومن بين المسائل التي كانت محل خلاف في هذا المجلس مسألة اللغة ، وقد طرحت في ساحة النقاش والبحث في المجلس ، فمثلا كانت الإدارة الإيطالية الوصية ترى أن اللغة الإيطالية هي الوحيدة التي يمكن للصوماليين أن يتعاملوا بواسطتها مع الإدارة الإيطالية وبها يتقدم في شتي فروع الحياة حسب زعم الإيطاليين ، بينما اللغة العربية في نظرهم لغة دين وللتفاهم مع المسلمين والعرب ، وهي اللغة الوحيدة التي

كان الصوماليون في المجلس يطالبون بها لتكون لغة رسمية للدولة في المستقبل ، وقد وافق المجلس علي ذلك بعد ضغوط كثيرة ، ونالت الاعتراف علي ذلك بجانب اللغة الإيطالية في المدارس والمواثيق ، ولو أن الإيطاليين استمروا في تأييد اقتراحهم بأن تكتب اللغة العربية بحروف لاتينية لقطع الصلة الإسلامية والعربية بين الشعوب العربية والإسلامية وبين الشعب الصومالي (٢٥) . وقدم زعماء الشعب الصومالي عريضة حول مشكلة اللغة الرسمية للدولة الصومالية الجديدة وهي مقدمة إلي الإدارة الوصية أو المجلس الاستشاري في نوفمبر ١٩٥٠م لتكون الإدارة الجديدة والمجلس الإستشاري علي بينة منذ الوهلة الأولي برغبات الشعب الصومالي قبل بدء المرحلة العملية للإدارة الإيطالية وهذا نص العريضة :

" نحن علماء بلاد الصومال ورؤساء قبائلها وشيوخها وأعيانها ورؤساء الأحزاب السياسية بها ، نحن الممثلين نرفع إلي السلطة القائمة بإدارة هذه البلاد وهي إيطاليا ما أجمعنا علي إقراره نهائيا بخصوص اللغة الشعبية الرسمية في هذه البلاد ، إننا نختار اللغة العربية لغة شعبية رسمية لهذه البلاد للأسباب الآتية :

١- إن اللغة العربية لغة الدين ولغة القرآن الكريم

٢- إن اللغة العربية لغة المحاكم الشرعية في جميع نواحي القطر ومازالت حتي اليوم .

٣- إن اللغة العربية لغة التجارة والمكاتبات منذ انتشار الإسلام في هذه البلاد حتي اليوم

٤- إن اللغة العربية لغة يتكلم بها أغلبية السكان .

٥- إن اللغة العربية قد أختارها الشعب بالإجماع لتكون لغة البلاد الرسمية وهي مجري طبيعي لانجد مناصا منه .

وعليه فإن هذه اللغة ، لغة أربعمائة مليون من المسلمين في أنحاء العالم يدينون بالديانة الإسلامية ، وقياس اعلي هذا لايجوز لنا أن نخالف إخواننا في لغتهم ودينهم (٢٦) فقد انتهت أعمال المجلس الأول في ٣١ اكتوبر ١٩٥١م وقد عقد فيه ٣٤٩ جلسة وإذا ألقينا نظرة تقيمية عليه نري :

أولا : كانت أول خطوة تمهيدية نحو تطبيق ديمقراطية محدودة علي نمط الغرب في بلد من أفقر بلاد العالم ويعيش في حالة بدائية .

ثانيا : كان المجلس الإقليمي بمثابة همزة وصل بين الإدارة الإيطالية الوصية ، وممثل الشعب والمجلس .

ثالثا : لم تكن القوي السياسية في المجلس متوازنة حيث لم يتعد ممثلوها من الأحزاب

٧ من بين المستشارين الآخرين الذين كان عددهم ٢١ ممثلا عن القبائل ، وهو عدد يزيد بكثير عن عدد ممثلي الأحزاب ، أضف إلي ذلك أعدادا أخري غير الصوماليين الذين كان معظمهم مرتبطين أو تلتقي مصالحهم مع مصالح الايطاليين اكثر من الصوماليين وكان يصل عددهم كما ذكرنا سابقا إلي الأعضاء ، اثنان يمثلان المصالح الاقتصادية ، وأثنان ايطاليان ، واثنان من العرب ، وواحد من الباكستانيين .

فتكون جملة الذين لم ينضموا إلي الأحزاب السياسية ٢٨ مقابل ٧ من ممثلي الأحزاب السياسية التي كانت منقسمة علي نفسها مابين معارض ومؤيد وهم معينون من لدي الحاكم الايطالي مما يسمح له بأن يختار من يريده ، وعلي هذا فإن دور الأحزاب المعارضة منها في هذه المرحلة بالذات ، كان دورا محدودا نسبيا ، اللهم إلا إذا كانت المسألة التي يدور حولها النقاش مسألة تمس مصالح الأمة الصومالية وقيمتها ككل ، مثل الاستقلال واللغة والحدود الاستعمارية والعقيدة وماشابهها .

رابعا : إن التخطيط الاستعماري في المجلس كان يرمي إلي خلق انشقاق قبلي أو التصاعد في التمثيل علي أساس مبدأ (فرق تسد) (٢٧) ومن الناحية السياسية فإن الإدارة الإيطالية الوصية لم تشجع المجتمع الذي عارض سياستها الاستعمارية وذلك لمواجهتها للحركات التحررية التي كان علي رأسها حزب وحدة الشباب ، بل علي عكس ذلك شجعت الإدارة الإيطالية المؤسسات القبلية خارج المدن حيث كانت تقلل المقاعد الإدارية والسياسية في المدن الرئيسية خوفا من أن تشارك في الإنتخابات الإدارية منها والسياسية وتضييق الفرص أمام المثقفين والواعين في المدن الكبري ، وقد نجحت سياسة التبعية التي كانت تخطط لها هذه الإدارة عندما فشلت في وضع العراقيل أمام طريق الإستقلال ، حينما وجدت نقاط الضعف في الحركة الوطنية التي كان يقودها حزب وحدة الشباب الصومالي ، والتي تمثلت في التنافس علي الزعامة والمناصب التي وعدت بها الإدارة الوصية زعماء الحركة ونتج عن ذلك تقارب وجهات النظر المعبرة عن المصالح المشتركة بين الإدارة الإيطالية والجناح المحافظ لقادة الحزب ، وظهر نتيجة لذلك اتجاه سياسي جديد تميز بحماية المصالح الأجنبية الاقتصادية والسياسية ، وبدأ الحزب الذي فاز في الانتخابات السياسية بأغلبية المجلس الإقليمي عام ١٩٥٦م بانتهاج سياسة المهادنة والوفاق مع الإيطاليين بوجه خاص والدوائر الغربية بوجه عام. فسياسة الاعتدال كما سماها انذاك الجناح اليميني للحزب المذكور هي التي انتصرت علي الجناح غير الموالي لسياسة ايطالية (وهو الجناح الذي كان

يترأسه حاج محمد حسين) في معركة التنافس لتولي زمام الحكم في البلاد . وعلي هذا الأساس لم تنه ايطاليا وصايتها علي الصومال حتي تأكدت من حماية وتأمين تلك المصالح بقوانين واتفاقيات وأنظمة سياسية تضمن لها ذلك ، ويمكن الاستدلال بمقولة الحاكم الإداري الإيطالي (مريودبستفانو) قبل مغادرته للصومال في نهاية مدة الوصاية ، وكأنه يشير إلي ثمرة التجربة الديمقراطية وتحول المجتمع المدني إلي الاتجاه الديمقراطي ويقول في بضع ساعات تنتهي مسئولية الإدارة الإيطالية الوصية ، وقد قامت بجهود جبارة وتضحيات فائقة لوضع أسس مادية معنوية تركز عليها سياسة الصومال الجديدة ، وتضمن لكم الحرية أيها الإيطاليون التي تتمتعون بها هنا ، والحماية التي تضمن لكم أيضا القوانين فيمكنكم أيها الإيطاليون أن تنظروا إلي المستقبل بكل هدوء واطمئنان (٢٨) .

الاستقلال :

قررت الحكومة البريطانية منح الاستقلال للصومال البريطاني في ٢٦ يوليو ١٩٦٠م وكان هناك (تحفظ واحد لدي بريطانيا لتحقيق الاستقلال هو موافقة كافة رؤساء القبائل علي ذلك ، وقد قبل الصوماليون هذا الشرط ، وعقد فعلا في ٢٣ مايو مجلس العقلاء الذي يضم زعماء القبائل الصومالية والذي وافق بالإجماع علي الاستقلال (٢٩) كما أعلن استقلال القسم الجنوبي ووحدته مع القسم الشمالي في اليوم الأول في شهر يوليو عام ١٩٦٠م (٣٠) وبانتخاب رئيس الجمهورية آدم عبدالله عثمان من قبيلة هاوية ظهرت مشكلة تشكيل الوزارة ، وبعد مناورات استغرقت اسبوعين نجحت المفاوضات في تعيين عبدالرشيد علي شارماركي رئيسا للوزراء وهو من قبيلة دارود(مجرتين) وقام بتشكيل أول وزارة في ظل الاستقلال والوحدة يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٠م وكان من بينهم أربعة وزراء يمثلون الإقليم الشمالي أي القبائل الموجودة في الشمال كلهم من بين الأربعة عشر وزيرا الذين تضمهم الوزارة ، كما أن الجمعية الوطنية كانت تضم ١٢٢ عضوا يمثل الشمال من بينهم ثلاثة وثلاثون عضوا ، وما أن انتهت احتفالات الاستقلال ومشاكل تشكيل الوزارة حتي بدأت الوزارة تواجه ميراثا ضخما من التخلف والتفكك وسوء الإدارة التي نتجت عن استعمارين مختلفين في الفكر والأسلوب والهدف (٣١) وفي الوقت الذي حرص الاستعمار فيه علي بقاء النظام القبلي بصورة أو أخري بطريقة يستطيع بها أن يستفيد منه في الوقت الذي يرغب فيه ، فقد عمد

الإستعمار إلي أن يجذب تلك القبيلة أو يسترضيها بطرق مختلفة إما زيادة في عطاء مخصص لها أو تعيين أحد أبنائها في منصب ما أو تعيين قاضٍ للقبيلة ، حتي أننا نجد أنه مع مطلع الاستقلال كان هناك في الصومال ٥٧٧ رئيسا للقبائل ، وقد يلقي هذا التركيب ضوءا علي الوضع العام في الصومال ، بحيث إننا نجد أنه حينما حصلت البلاد علي الاستقلال لم يكن هناك مجموعة كبيرة من المثقفين قادرين علي إدارة الدولة أو توجيهها التوجه السليم بعيدا عن الاستعانة بالأجانب الذين لم يكونوا مخلصين بأي حال من الأحوال للدولة الجديدة ، والذين كانت سياستهم سببا من أسباب الفوضي والكوارث التي حلت بالبلاد في السنوات الأولي للاستقلال ، ورغم استقلال البلاد ورغم وجود المستعمر لفترة طويلة ورغم تغير نمط العيش لبعض المواطنين إلا أن القبلية بأفكارها المتخلفة وتنافسها وتناحرها ومساندة البعض منها للمستعمر ولو علي حساب بلده ظلت هي السند الذي يستند إليه الحاكم إذا ما أراد البقاء في الحكم ، ويمكن القول بأنه في السنوات العشر الأولي للاستقلال كان في الصومال قرابة مائة حزب سياسي وأكثر من ٧٠ منها يقوم علي أساس قبلي وغالبية العدد الباقي علي أساس ديني وقلة محدودة علي أساس وطني ، وكان الاستعمار هو الممول والمحرك لغالبية تلك الأحزاب (٣٢) فلم يستفد الشعب الصومالي من الاستقلال بصورة إيجابية ولم يجن الثمار المرجوة إذ لم ينتصر بعد علي الثالوث المخيف ، القبلية والفقر والجهل ، حيث إن الأوضاع الاقتصادية قبل الاستقلال ظلت قائمة دون أن تتغير وإذا كان ثمة أي زيادة في الدخل كان يتبعها دائما زيادة في المصروفات ، ومع ذلك فإن حزب وحدة الشباب الصومالي استمر في الحكم لمدة ١٥ سنة كاملة فما السبب ؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نعلم أن الحزب فقد شعبيته وعاش بعد مؤتمره العام الذي عقده في ٢٥ مارس ١٩٥٨م واستمر لمدي تسعين يوما هيكلا بدون روح ، ولكن مجموعة من الساسة المحترفين حكموا البلاد باسمه ، وكانوا يمارسون كل أنواع الظلم والجور والفساد ، ولنعد إلي الإجابة عن جوهر السؤال فنقول : إن من أبرز العوامل التي تحكمت في الوضع ولعبت أدوارا خطيرة في سيطرة حزب وحدة الشباب الصومالي علي مقدرات الشعب مايلي :

١- انخفاض الوعي السياسي في الشعب والفقر المدقع الذي فرض عليه ، وهذان العاملان هما آزمة كل الشعوب المتخلفة اقتصاديا واجتماعيا .

٢- استغلال زعماء حزب وحدة الشباب الصومالي القبلية أسوأ استغلال عرفه التاريخ

باعتبارها نقطة الضعف في الشعب الصومالي .

٣- استخدام المال لشراء الذمم والضمائر واللجوء إلي القوة والعنف ولتحقيق أهدافه طبقا للنظرية (الميكافيلية) المشهورة القائلة (بأن الغاية تبرر الوسيلة) ونظرا لتحكم هذه العوامل في أوضاع البلاد وعجز الشعب الصومالي عن الإنتصار علي الفئة الحاكمة باسم وحدة الشباب الصومالي بالطريقة الديمقراطية المألوفة طريقة الانتخابات الحرة التي حرمت الجماهير من ممارستها منذ أن تولي حزب وحدة الشباب زمام السلطة (٣٣) .

وعانت الصومال من عدم التخطيط العام للسياسة الخارجية وعدم الكفاءة والإخلاص وغيرها من النواقص الأخري التي يأتي معظمها من جراء تعيين كبار الموظفين في الداخل والخارج علي أساس قبلي محض ، فإن شخصا يتولي مركزا هاما في هذه الوزارة وغيرها من الوزارات الأخري لهو شخص مرشح من قبل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء بطريقة قبلية أو عصبية أو ممن لهم نفوذ قبلي وسياسي، وعلي هذا فإن كثيرا من الموظفين الكبار يتولون مناصب لم يكونوا أهلا لها سواء من ناحية الكفاءة أوالمعرفة أوالإخلاص .

ونتيجة لذلك كله فإن المصلحة العامة للوطن وأداء رسالته في الخارج تتأثر بطريق التعيين القبلي ، إذ أن ممثل الدولة الدبلوماسي في الخارج في كثير من الحالات لايعرف واجبه ولا كيفية أداء رسالته نحن الوطن ورعاياه في الخارج إذ يعاملهم بالتفرقة القبلية الممتدة من التعيين القبلي في الداخل وقد لايعرف أبسط قواعد الدبلوماسية كشخص عادي ودوره التمثيلي كشخص معنوي ، لأنه شخص عين من الشارع ، مما يعرضه للطرد من البلاد المبعوث إليها لسلوكه الشخصي ، فمعظم السفراء والمستشارين يعينون من خارج وزارة الخارجية فمنهم من كان قبل تعيينه محترفا سواقة السيارات العامة ، أو التجارة أو كان راعيا قد عاون أو نافس في الانتخابات السياسية ويجمع هؤلاء عدم المعرفة التي تتطلبها الدبلوماسية المعاصرة (٣٤) . وماهو جدير بالذكر أن الشباب المثقف في البلاد لم يكن من المستفيدين بطريقة التعيين هذه بقدر ما استفاد منها الجهلاء ، لأنه كانت أمامه ثلاث عقبات رئيسية :

١- الموظفون الكبار الذين تركهم الاستعمار وراءه أو الذين عينوا بعده عن طريق القبلية والمحسوبية المذكورة ومعظمهم ليس لديهم خبرة كافية ، ولا ثقافة تتعدي التفاهم باللغات الأجنبية في البلاد وهم يحسون بمركب النقص أمام الشباب المثقف ،

وعلي هذا الأساس يقومون بكل الوسائل الممكنة للحيلولة دون وصوله إلي المناصب العليا التي يشغلونها .

٢- العقبة الثانية : هي رجال الحكومة الذين يحسون نفس مايحسه الموظفون الكبار من نقص في المعرفة ، والكفاءة ويشعرون بأن الشباب الواعي هو الخطر علي سلطتهم ومصيرهم .

٣- العقبة الثالثة : هي خبراء الدول الإستعمارية الذين يحسون بخطر الشباب أمام رجال الحكومة للاحتفاظ بمناصبهم الاستشارية التي يشرفون منها علي سياسة الحكومة العادية ومصالح دولهم السياسية والاقتصادية (٣٥) ومن السمات الهامة أن التعددية في المرحلة الديمقراطية النيابية لم تكن شبيهة بتلك التي في أوربا التي نقلت منها الدولة الفتية نقلا حرفيا هذا النظام الديمقراطي ، بل إن هذه الأحزاب كانت عبارة عن تنظيمات سياسية قبلية تحررية ضد الاستعمار ، أو بعبارة أخري حركات سياسية قامت بهدف معين ومحدود في باديتها ، ثم أصبح وجودها معيارا شكليا للمنافسة بهدف الوصول إلي الحكم ، والهدف الذي كان يجمع هذه الأحزاب كان بالدرجة الأولي وحدة الأراضي الصومالية المقسمة بين المستعمرين (٣٦) فحينما أجريت الانتخابات البرلمانية في عام ١٩٦٨م تقدم ٦٩ حزبا بلوائح انتخابية لاختيار ١٩٠ نائبا وسرعان ماتحالف عدد كبير من هذه الأحزاب الصغيرة مع رابطة الشباب الصومالي ، وهي الحزب الحاكم آنذاك لتضمن لنفسها بعض المكاسب ، والواقع أن هذه الأحزاب جميعها صغيرها وكبيرها كان هدفها الرئيسي هو المصلحة الشخصية وتعتمد في تحقيق هذه الأهداف علي استغلال النعرات القبلية ، ومن الغريب أن بعث القبيلة في ظل الاستقلال كان بسبب ديمقراطية فاشلة أتاحت تعدد الأحزاب بدرجة لا مثيل لها ، فكل مجموعة كانت قادرة علي خلق حزب يعتمد علي قبيلة معينة أو أشخاص معينين ، وبذلك أصبح للمحسوبية دورها وأصبحت التوجهات السياسية تراعي المصالح القبلية أو الشخصية قبل أن تراعي مصلحة الدولة (٣٧) .

مشاكل الاستقلال :

أ) الداخلية :

كان لاتحاد شطري الصومال أثر عميق ومباشر علي السياسة الصومالية ، فرغم الاتحاد والاستقلال إلا أن ولاء الأفراد مازال عميقا للعائلة والقبيلة ، وكانت الأحزاب

السياسية التي تدعو لنبذ النعرات الطائفية وإن ضمت بعض رجال القبائل إلا أنها لم تكن تضم أو تمثل جميع القبائل ، وبذلك أصبحت الأحزاب في جانب والمصالح القبلية في جانب آخر . وواجهت الدولة الجديدة العديد من المشاكل علي الوجه التالي :

أولا : في الجانب الإداري رغم تشابه التسلسل الوظيفي في كل من شطري الصومال إلا أنه في إحداها كانت اللغة الإنجليزية هي المستعملة وفي الأخري كانت اللغة الإيطالية ، وكان هناك اختلاف في نطاق العمل نفسه ، وفي نوعية الرئاسات ، وفي المرتبات .

ثانيا : وفي الجانب القانوني كان أساس التشريع في الإقليم الشمالي هو القانون الإنجليزي وقانون العقوبات الهندي ، وفي الإقليم الجنوبي كان أساس التشريع القانون الإيطالي .

ثالثا : وكذلك كان الحال بالنسبة للنظام المالي ، فهناك خلاف في نظام الضرائب والتعريفة الجمركية وغير ذلك .

رابعا : وبالنسبة للتعليم هناك خلاف بين الإقليم الشمالي والإقليم الجنوبي خاصة في غياب لغة قومية مكتوبة آنذاك لكلا الإقليمين ، وحتي اللغة العربية التي كانت تعتبر أساسا للتوحيد يجهلها الغالبية المطلقة ، ومن يعرف الإنجليزية لايعرف الإيطالية وقلة نادرة تعرف اللغتين ، لذلك كان من الضروري الاستمرارية في الجهاز الحكومي باستخدام المترجمين ، وكان من الصعب العثور علي مترجمين أكفاء .

خامسا : يضاف إلي هذه المشاكل عدم وجود ارتباط مباشر بين الإقليمين سواء بالنسبة للطرق أو الإتصالات التلفونية (٣٨) .

كل هذه المشاكل بالإضافة إلي النعرات القبلية قد غذت الخلافات بين شطري الصومال ، فبعد أن زالت موجة الحماس التي أعقبت الاستقلال أصبح واضحا للعيان أن الخلافات في طريقها إلي الظهور . فقد بدأ الشمال يعيد تقييم مدي ماعاد عليه من مكاسب في تحقيق الوحدة ويشعر المسئولون بانهم كانوا ضحية للإقليم الجنوبي الذي أصبحت عاصمته مقديشو مركز النشاط والتجارة وكل شيء في الوقت الذي اضمحلت فيه عاصمة الشمال هرجيسا ، وأصبحت في حكم العدم وبعيدة عن مجريات الأحداث ، ورغم وجود كثير من الشماليين في مراكز القيادة إلا أن الشماليين كانوا يعتبرون أن كرامتهم الوطنية قد أصابها النقص ، وقد صاحب هذا الشعور ازدياد نسبة البطالة في الإقليم الشمالي عقب مغادرة معظم الخبراء والتجار والأجانب الإقليم الشمالي لكي يبدأوا نشاطهم في الإقليم الجنوبي ، وقد بدا واضحا عدم الشعور بالرضاء وهذا

عندما أجري استفتاء في ٢٠ يونيو عام ١٩٦١م للموافقة علي الدستور الجديد ، والذي بموجه تم توحيد شطري الصومال في العام السابق ، وكان الاستفتاء في حد ذاته مجرد اختبار للثقة بالحكومة ، وبالرغم من الدعاية التي صاحبت الاستفتاء إلا أن أعضاء الحكومة الوطنية الصومالية في الشمال قاطعوه ، ولم يقدر المسئولون الصوماليون هذه النتيجة في حينها حتي يعملوا علي تلافي الخلافات في البداية حيث إنها انعكست فيما بعد علي الكثير من المناورات التي وقعت داخل الجمعية الوطنية ، وكذلك أثناء تشكيل الوزارة بالإضافة إلي ماوقع من خلافات بين قيادات كل من الإقليمين ، وأكد كل ذلك تجاهل الحكومة لمايجري في الشمال . كما أدي إلي قيام انقلاب عسكري في الشمال في السادس من ديسمبر عام ١٩٦١م إلا أن الانقلاب كان قصير الأجل حيث قام به الضباط الصوماليون الشماليون بقيادة حسن عبدالله ولنول وهم الذين تلقوا علومهم العسكرية في انجلترا والذين وجدوا أنفسهم في ظل الاستقلال يعملون تحت إمرة ضباط إيطاليين بعث بهم الجنوب لكي يستقروا في الشمال (٣٩) .

وفي عام ١٩٦٧م أجريت انتخابات الرئاسة في الصومال وتحالف عبدالرشيد علي شارماركي الدارودي ومحمد إبراهيم عقال الإسحاقي الشمالي ، وفاز عبدالرشيد بالانتخابات وكلف محمد إبراهيم عقال بتشكيل الحكومة الصومالية وقامت ، حكومة موحدة تضم الشماليين والجنوبيين في ظل حكومة موحدة وطنية لأول مرة في تاريخ الصومال ، ثم تطورت الأحداث علي نحو غير عادي ، وبينما كان الرئيس الصومالي عبدالرشيد علي شارماركي يقوم بجولة في المناطق التي أصابها الجفاف في الشمال في ١٥ اكتوبر ١٩٦٩م حدث أثناء توقفه في بلدة (لاس عانود) أن أطلق عليه أحد حراسه النار لأسباب قبلية صرفة ، وذلك ربما يكون عائدا إلي إتاحته الفرصة للشماليين للحصول علي نصيب كبير في السلطة وتمكين قبيلة الهاوية من نيل بعض المناصب وهو ماتعارضه الدارود التي تعتبر المجرتين واحدة من بطونها وهي القبيلة التي ينتمي إليها الرئيس شارماركي (٤٠) وتقول مصادر أخري إن الدارود كانوا يخشون ضياع المناصب الوزارية منهم كما يخشون تمتع الشماليين الإسحاقيين بسلطات أقوي ، فأوعزوا لقبيلته نفسها أن تقوم بتصفيته حتي لاتقوم حرب قبلية فيما لو قامت بقتله عناصر من قبيلة أخري (٤١) .

إن الأحوال السياسية في الصومال من عام ١٩٦٠م- ١٩٦٩م وهو العام الذي وقع فيه الانقلاب العسكري في الصومال لم تكن أعواما مليئة بالأحداث المتفائلة ، فقد كانت

تؤكد دائما أن مستقبل الصومال لن يكون هادئا خاصة وأن نفوذ القبيلة يغلي بحرارة في الأوساط السياسية ، بل وتتجه الكثير من خطوطها قسرا نحو حلف قبلي معين ، الأمر الذي جعل الأحداث في الصومال تفسح المجال أمام ظهور أصوات جديدة (٤٢) .

إتجاه الحكومات الثلاثة في ظل التعددية

أ/ حكومة عبدالرشيد علي شارماركي :

إن الاتجاه الدبلوماسي للصومال في المرحلة الأولي من الاستقلال كانت تدفعه العلاقات الإستعمارية القديمة التي تحافظ علي مصالحها ، وهذه البادرة كانت ظاهرة في البرنامج الذي تقدمت به أول حكومة صومالية إلي البرلمان لطلب الثقة منه ، حيث جاء فيه مايلي :

(من الطبيعي أن علاقتنا مع الدول ستبدأ مع تلك البلاد التي تربطنا بها علاقات تقليدية ، وفي مقدمتها إيطاليا ، فلا يمكن للصومال أن تنسي قط العمل الذي قامت به إيطاليا منذ مائة سنة تقريبا ولا العلاقات الودية المستمرة التي أدت ، خصوصا في أثناء السنوات العشر للإدارة الوصية إلي توطيد الروابط التي لاتنفصم عراها ولاسيما الروابط الثقافية والاقتصادية ، وهذه الحكومة عازمة علي تعزيز تلك العلاقة أكثر فأكثر وهي تعبر مرة بعد مرة عن شكرها العميق للحكومة الإيطالية لكونها أدت مهمة الوصاية وللحكومة البريطانية أيضا لمنحها الاستقلال لحمية الصومال ولمساعدتها لنا في المستقبل باستمرار ، وأنا كرئيس للوزراء واثق بأن العلاقات التقليدية مع هذين البلدين ستتوسع بلا انقطاع في السنوات المقبلة) .

هذه الفقرات من برنامج أول حكومة صومالية تعطينا فكرة واضحة عن علاقة مسئولي الصومال المتينة والبعيدة المدي بالغرب ومصالحه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وقد وقفت دبلوماسية الصومال موقفا سلبيا تجاه العدالة الدولية خدمة لمصالح تلك العلاقة وتوطيدها وذلك عندما امتنع وفد الصومال في الأمم المتحدة في اكتوبر عام ١٩٦٠م عن التصويت لعضوية فى منح الصين الشعبية في الأمم المتحدة هكذا كان الاتجاه الدبلوماسي لحكومة عبدالرشيد في عامها الأول ، ولكن عندما ماطل الغرب هذه الحكومة لمنح المساعدة التي وعدها بها في العام الأول من الاستقلال اتجه عبدالرشيد إلي الاتحاد السوفيتي يطلب المساعدة منه ، ونالت حكومته مساعدة وقروضا طويلة الأجل وبلا شروط سياسية (٤٣) .

ب/ حكومة عبدالرزاق حاج حسين :

وقد استخدمت دبلوماسية حكومة عبدالرزاق التي أعقبت الحكومة الأولي هذا المبدأ للاستهلاك المحلي لإثارة مشاعر الشعب في أزمات معينة من جهة وللاستهلاك الخارجي لاستمالة دوله ، وقد حدث شك في موقف دبلوماسيتها غير الصريح من جهة أخري وذلك عندما حدثت أزمات اقتصادية حادة من جراء الجفاف والتصحر الذي أصاب الصومال عام ١٩٦٥م وتبعتها ازمات سياسية الواحدة تلو الأخري ، وكانت الحكومة عندئذ في حاجة ماسة إلي المعونة المستعجلة ، فارادت أن تقترب وتميل إلي الغرب علي أن تستبعد الشرق ولو بتصريح عابر يبدد غيوم شكوك الغرب من أن الصومال بلد تغلغلت فيه الشيوعية إذ أنه ما دام السلاح الصومالي من إنتاج الشيوعية فحاملوه أيضا شيوعيون تلقائيا في نظر الغرب. وقد أكد ذلك للغرب بعض تقارير وردت من الشركات الغربية العاملة في الصومال والتي كتبت بأن موقف الحكومة الحالية ليس صريحا نحو الغرب وأنها تحتضن الشيوعية وقد جاء في هذا التقرير مايلي :

(إن الصومال أصبحت بلدا يخضع للاتحاد السوفيتي وبعض البلدان الاشتراكية الأخري وأن الشعب الصومالي لايميل نحو الغرب ، وهذا يعود إلي أن الحكام الحاليين ليسوا أقويا كما ينبغي ولاينصاعون لأوامر واشنطن وروما ولندن وأكبر دليل علي ذلك قطع علاقاتها مع ثاني دولة في الغرب وهي بريطانيا ، ورغم سقوط الحكومة التي قامت بقطع العلاقات أي حكومة عبدالرشيد ، إلا أن الحكومة الحالية عاجزة تماما عن اتخاذ أية خطوة لتحسين علاقاتها مع الغرب الذي يحيط بالمنطقة .

وقد راوغ الغرب حكومة عبدالرزاق كالتي قبلها ولم تتدفق المعونات الاقتصادية التي كانت تنتظر من الغرب مما جعلها تحرص كل الحرص علي تجميد العلاقات مع الاتحاد السوفيتي أملا في أن يكون الحد من الاندفاع نحو الكتلة الشرقية كافيا لكسب ثقة الغرب لمد الصومال بالمساعدة الاقتصادية ، فقد ورد ذلك في تصريح أدلي به رئيس الوزراء السابق عبد الرزاق لوكالة رويتر وهو يتحدث عن عقد اتفاقية كينية سوفيتية حول المساعدات العسكرية لكينيا والذي قال فيه بأنها تؤثر تأثيرا بالغا في العلاقات الصومالية السوفيتية (٤٤) فمطالب أمريكا من حكومة عبدالرازق تتركز حسب مانشرته جريدة (الحقيقة) في خمس نقاط تمهيدية وهي :

١- الاستسلام المطلق لخبراء أمريكا ومستشاريها .

٢- ضبط المتهمين باليسارية وعقابهم بصورة صارمة
٣- الرضوخ لأمريكا لوضع مخطط للسياسة الخارجية الصومالية للسفراء الغربيين
٤ - القضاء علي كل المشاريع الاقتصادية الإنمائية السوفيتية
٥- التنازل عن المطالبة بالأراضي الصومالية المختلفة (٤٥) .

ج/ حكومة محمد إبراهيم عجال :

أما الحكومة الثالثة التي يترأسها السيد محمد إبراهيم عقال منذ يوليو عام ١٩٦٧م ، فقد سلكت نفس الطريق الدبلوماسي الذي مهدت له الحكومات المتعاقبة ، والفرق بين دبلوماسية عقال والحكومات التي سبقته هو صراحة الدبلوماسية ، فإذا كانت دبلوماسية الحكومات السابقة غير واضحة المعالم ، وتتردد بين الضغط الشعبي الداخلي والضغط الخارجي وتقدم رجلا وتؤخر أخري لاتخاذ أي إجراء دبلوماسي ، وكانت دائما موضع الشك بين الشرق والغرب اللهم إلا تلك الخطوط العملية المذكورة التي كانت تتخذها من وراء الستار ، فإن دبلوماسية عقال صريحة مبنية علي أسس* يرى عقال أنها سليمة بدون أدني تردد أو تحفظ (٤٦) .

فقد أعلن عقال أثناء جولته الأخيرة في أوربا بأن الصومال ليس في حاجة إلي المشاريع السوفيتية وكانت هذه إحدي النغمات الدبلوماسية المكررة التي دأبت عليها حكومة عبدالرزاق لإظهار ميولها نحو الغرب وكسب ثقته علي حساب الشرق ، فقد ذهب عقال إلي أبعد من ذلك حين أظهر للغرب بأن حكومته مستعدة لأن تطبق نفس ماتطبقه حكومات حلف الأطلنطي ، بل نفس ماتطبقه إحدي ولايات أمريكا من اتخاذ إجراءات وتدابير ضد الدول الأعداء لأمريكا وأن حكومته لاتتردد في الإنضمام إلي أمريكا في حصارها لدول كهذه (٤٧) .

د/ المشاكل الخارجية :

ألقي امبراطور الحبشة هيلاسلاسي خطابا في ٢٥ أغسطس ١٩٥٦م أعلن فيه أن منطقة هود وأغادين ليستا فقط أجزاء من الحبشة ، بل إن شعب الصومال نفسه يعتبر جزءا من العائلة الأثيوبية الكبيرة وقد أهاج ذلك الرأي العام الصومالي في كل مكان ، خاصة وأن الإمبراطور أضاف أن مستقبل الصومال يكمن في وجوده ضمن الإمبراطورية الحبشية (٤٨) ويقوم النزاع الصومالي الإثيوبي في ظل الاستقلال علي أساس مطالبة حكومة الصومال بالوحدة القومية وتكوين الصومال الكبير الذي يضم الصوماليين جميعا أو بمعني آخر يضم الأمة الصومالية علي اعتبار أن الصوماليين

يكونون أمة متميزة مما يؤهلها إلي تجميع شتاتها والتي دخلت أجزاء منها داخل دولة أخري نتيجة الفترة الاستعمارية التي مرت بها القارة الإفريقية عامة والقرن الإفريقي علي وجه الخصوص ، وإذا كان الكتاب قد اختلفوا في تعريف جامع مانع للقومية فإن هناك عناصر ترتبط بالقومية وتعتبر من دعائمها الأساسية كاللغة المشتركة والثقافة المشتركة والعادات والتقاليد المشتركة وعلي رأسها التاريخ المشترك ويلتقون حول دين واحد وهو الإسلام (٤٩) .

وقامت من أجل ذلك كله حروب بين أثيوبيا والصومال وتدخلت منظمة الوحدة الإفريقية لإيقاف الحرب ، ولاشك أن أهم نقطة في الخلاف الصومالى الإثيوبي تكمن في التناقض القائم بين هاتين العبارتين (قدسية الحدود) وحق (تقرير المصير) فإثيوبيا تدعي بأنها تعمل من أجل الحفاظ علي حدودها وترتكز في ذلك إلي الفقرة الثالثة من قرار منظمة الوحدة الإفريقية في القاهرة عام ١٩٦٤م وتقضي هذه الفقرة بترك الحدود بين الدول الإفريقية كما كانت عليه عند رحيل الإستعمار ولكن الصوماليين يتساءلون أي استعمار هذا الذي رحل ؟ فنحن نتحدث عن استعمار لم يرحل بعد حسنا لنترك الحدود كما تركها الاستعمار عند رحيله ، ولكن ا العمل بالنسبة لحدود لم يرحل عنها الاستعمار بعد؟ (٥٠) .

هكذا دخلت الصومال مشاكل خارجية مع . دول الجوار بسبب التقسيمات الاستعمارية لقومية الصومال .

التجربة الحزبية :

هذه التجربة لها سمات معينة ومميزة وقد لاحظنا مع حداثة عمرها أن هذه التجربة التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية بتعدد الأحزاب ، ولكن أثناء عرضنا لها سنقتصر علي الأحزاب الكبيرة فقط والتي أثرت في التجربة الحزبية لأن باقي الأحزاب لم تكن أحزابا بالمعني المفهوم ، بل هي أقرب للتجمعات القبلية والدينية ولم تؤثر في قليل أو كثير في الحياة السياسية الصومالية ، ونشأت وقامت بدون أي أثر ولو نظرنا إلي السمات المميزة بهذه الفترة من التجربة لاحظنا الآتي :

١- إن التجربة الحزبية لم تقم علي جذور قوية أو أساس سياسي قوي متين في البلاد وإن انعدام الحياة الحزبية والسياسية في البلاد جعل الأحزاب بدون تجارب سياسية ونجد غالبا الأحزاب تنشأ من رابطة أو ناد أو تجمع لبعض الأفراد ثم تتحول إلي

حزب سياسي ، كما أن انخفاض المستوي الثقافي والاجتماعي والفكري في البلاد أثر علي وعي الجماهير .

٢- ضعف برامج وأهداف الأحزاب وعدم وجود المضمون الاجتماعي فيها فقد ركزت البرامج علي الجلاء والاستقلال من الاستعمار ووحدة الصومال الكبير بأقاليمه الخمسة (الصومال الإيطالي ، البريطاني ، الصومال الفرنسي ، الصومال الأثيوبي ، الصومال الكيني) واعتبر موضوع وحدة الصومال هدفا رئيسيا ومطلبا جماهيريا لايمكن الخروج عنه ، واعتبر كل من بعد عن هذا الهدف خائنا للقضية الصومالية كما ظهر في بعض البرامج موضوع نبذ القبلية وهي آفة آثرت ومازالت تؤثر في الحياة في الصومال ، وهي من المعوقات للتقدم السياسي والاجتماعي ونقطة ضعف في تركيب المجتمع الصومالي ، وبهذا عندما استقل الصومال أصبحت برامج الأحزاب غير ذات مضمون ولم تحدد الأحزاب برامجها أو أهدافها فنجد أن كثيرا من الأحزاب فاقت بعد الاستقلال لخلوها من مضمون اجتماعي تنادي به وتناضل من أجله وتلتقي الجماهير حوله ، ولم يبق من برامج الأحزاب إلا وحدة الصومال الكبير والذي تلاعبت الأحزاب به لجذب الجماهير حولها .

٣- لعب الدين الإسلامي دورا كبيرا في تكوين الأحزاب وخاصة في الصومال البريطاني وكان بداية الأحزاب هي تجمع ديني ثم تحولت إلي حزب سُياسي.

٤- لعبت القبلية والمحسوبية دورا كبيرا في بناء الأحزاب وفي تدعيمها لأن المجتمع قائم علي أساس قبلي.

٥- من العوامل المؤثرة في كثرة الأحزاب السياسية تجزئة الصومال إلي أجزاء كثيرة محتلة بدول مختلفة المذاهب السياسية ، ولهذا كان قيام الأحزاب في الصومال علي أساس إقليمي بحت ، والعامل المشترك بينهم هو وحدة الصومال الكبير.

٦- لم تكن الديمقراطية بمعناها الواسع منفذة في الصومال للمستوي الثقافي المنخفض والفقر والقبلية ولم تمارس الديمقراطية إلا في بعض مظاهرها (برلمان حكومة) أما الديمقراطية بمفهومها فلم تنفذ، وهذا عامل مشترك في أغلب الدول النامية .

٧- نجد أن ظاهرة انشقاق حزب من أحزاب أغلبية ظاهرة واضحة في التجربة الحزبية ، وأمثلتها انشقاق حزب صوماليا الكبري من حزب وحدة الشباب الصومالي ومحاربة الحزب الأول للحزب الجديد .

٨- كما أنه يلاحظ تحول حزب الأغلبية حزب وحدة الشباب الصومالي بعد أن تولي السلطة إلي اليمين ومولاته الغرب وكذلك ابتعاده عن أماني الشعب الصومالي وخاصة في وحدة أقاليمه الخمسة واهتمامه بتولي السلطة ومقاليد الحكم والانغماس في الفساد السياسي ومحو الديمقراطية ،

٩- كان للإحتلال الإيطالي تأثير كبير في الحياة السياسية وخاصة في احتواء حزب وحدة الشباب الصومالي وكذلك كان للحزب الشيوعي الإيطالي تأثير كبير في خلق كوادر ماركسية في أوساط المثقفين والعسكريين ، وظلت إيطاليا تربط الصومال بروابط ثقافية وتعليمية لمدة طويلة .

١٠- كان لطائفة التجار تأثير كبير في الحياة وكانوا هم علي قمة الأحزاب السياسية ولم يولوا اهتماما كبيرا لرأي الشعب وكلن هدفهم ومقصدهم الأساسي تنمية رأس مالهم .

١١- تباعد طبقة المثقفين عن التجربة الحزبية لحد ما نظرا لقلة المثقفين أساسا وعدم وجود رابطة بينهم ، وكذلك كان أغلبهم لهم اتجاهات يسارية .

١٢- منذ استقلال الصومال في أول يونيو ١٩٦٠م واتحاد الصومال الإيطالي والصومال البريطاني وتكوين جمهورية الصومال وتولي الحكم حزب وحدة الشباب الصومالي عمل هذا الحزب علي تولي كافة مقاليد الحكم وجذب باقي الأحزاب وعم الفساد السياسي ولم يجد له مضمونا اجتماعيا لتنمية المجتمع الصومالي وبهذا بدأت الجماهير تنفض من حوله (٥١) .

ومما هو جدير بالذكر أن الأحزاب السياسية في هذه المرحلة لم تحمل شكليا الطابع القبلي ، وذلك وفقا للمادة الثانية عشرة من الدستور التي كانت تحظر تأسيس الأحزاب ذات الطابع القبلي ، غير أن هذا لم يحل دون أن يكون مضمونها قبليا بدون تسمية قبلية ، وهذا يظهر بأنه منطقي في المرحلة البدائية التي مر ويمر بها المجتمع الصومالي (٥٢) .

المبحث الثالث: نظام الحكم أثناء الاستعمار وفي ظل الاستقلال :

قامت الإدارة الإيطالية في الجنوب بصرف مرتبات لزعماء القبائل وغيرهم كل علي قدر ولائه للسلطة ، وقامت أيضا بتعيين القضاة من بين العلماء ومهمتهم الحكم بين الناس طبقا للعرف المتبع والقانون الإسلامي وأعطيت لهم سلطات أوسع من تلك التي

كان يتمتع بها القضاة في المحمية البريطانية (٥٣) أما في هذه المحمية فقد اعتمدت السلطات البريطانية علي بعض زعماء القبائل للحكم باسمها وفي سبيل منحهم مكافئات ضئيلة وكانوا هم حلقة الوصل بين السكان وحاكم المنطقة وكان هؤلاء الزعماء لديهم سلطات قضائية محدودة بالنسبة للأحوال الشخصية والمنازعات المحلية ، أما الأمور الدينية فقد تركت للقضاة من مشايخ المسلمين ، ورغم مايبدو من أن نظام الحكم هذا كان غير مباشر من جهة السلطة المستعمرة إلا أن واقعه يفيد أن السلطة كانت تهيمن علي كل شيء ، ولكن من وراء ستار ولايختلف النظام التحكيمي عن مثيله في بقية أجزاء الصومال الإيطالي ، وإن كان الخلاف في الشكل فقط ، فكافة الصلاحيات والأمور الرئيسية في يد حاكم المنطقة الإنجليزي ، وقسمت المستعمرة إلي ستة أقاليم ونظرا لصعوبة الاتصالات بين الحاكم العام وحاكم المنطقة فقد كان للأخير سلطات كبيرة ، وكانت سلطات المترجمين أيضا كبيرة (٥٤) .

أنشأت السلطات البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية منصب قاضي القضاة في هرجيسا كما أنشأت نظاما قضائيا ومساعدين يقوم بموجبه قضاة متخصصون في معرفة العرف المحلي (الحير) والقبلي واشترط تسجيل محضر الجلسات باللغة الإنجليزية (٥٥) أما الحكومة الإيطالية أثناء استعمارها للصومال الجنوبي وحتي فترة وصياتها عليه باسم الأمم المتحدة فقد كانت تقيم نظاما إداريا بيروقراطيا علي نمط الإدارة الفاشية ، فعن طريق الحاكم الإيطالي ومساعديه في مقديشو تدار شئون المستعمرة دون أن يشترك السكان عبر تنظيماتهم القبلية في الشئون ذات الطابع الاستراتيجي في المنطقة ، وكان استخدام الإدارة الإيطالية للشيوخ القبليين ورؤساء العشائر يغلب عليه جانب السخرة منهم أكثر من أي شيء آخر ومما جعل الأمور تزداد تعقيدا في الصومال ، أن شيوخ القبائل كانوا يجمعون بين الفتوة والقوة فظهر نوع من الحكم هو عبارة عن مزيج من الشرع والموروثات العشائرية والقبلية ، وبما أن الموروثات غالبا ماتكون محل السخط من الصفوة المثقفة إلا أن العامة في ذلك الوقت لايشعرون بالفارق بينهما فقد يعتبرون الشرع موروثا والموروث شرعا ، ومع هذا الوضع المتأزم عاشت هذه المستعمرة وسط قوانين تطبق علي الإيطاليين ومن في حكمهم من الأوربيين فيما تطبق أعرافا قبلية تثير القلق والفرقة بين الصوماليين (٥٦) .

. وفي ظل الاستقلال ظهرت السلطة القضائية استكمالا للشكل الدستوري للدولة إلا أن القوانين التي كانت تطبق في عهد الاستقلال هي قانون العقوبات الهندي الذي

تركته بريطانيا في الصومال وقانون العقوبات الإيطالي والعرف القبلي (الحير) وكانت إدارة القضاء تشكو من قلة الأيدي العاملة المؤهلة ومن انعدام التسهيلات والمرافق الضرورية للبت السريع في القضايا فلا أماكن ملائمة ولا مكاتب ولا كتب خاصة وأن اللغة التي كانت مستعملة هي اللغة الإيطالية في الجنوب أي العاصمة مقديشو وفي الشمال اللغة الإنجليزية (٥٧) .

القبيلة وتأثيرها علي الحياة الصومالية :

إن القيم والتوجهات وأنماط السلوك الشخصي من خلال القنوات القبلية تعمل علي ترسيخ روح العجز والاتكالية عي الآخرين والإذعان في مجالات الحكم لمن هو أقوي

إن الحياة الاجتماعية القبلية في إطار سلسلة مترابطة من علاقات التسلط والرضوخ بين الأب ولابن والأخوة والأخوات الكبير والصغير والرئيس والمرءوس ، وهكذا إلي أن تصل إلي العلاقة بين الحاكم والمحكومين .

إن علاقة التسلط والرضوخ هذه تنعكس في نهاية المطاف علي الحياة السياسية ذاتها ، فيصبح من الطبيعي أن يتقبل المواطن الصومالي الوضع كسائر الأفراد في الوطن العربي وربما بعض الشعوب والقارة الإفريقية وإن اختلفت الأسباب والعوامل أي نظام تسلطي ، ولذلك يتقبل وجود من يتخذ له القرار بالنيابة عنه في المجالس السياسية ولايري نتيجة من عدم وعيه من جهة والتعود علي الطاعة العمياء من جهة أخري ، إن الديمقراطية حق له في المشاركة في اتخاذ القرارات العامة ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، ومثل هذه التوجهات وأنماط السلوك لا تعرقل فقط التحول الديمقراطي ، بل تحول دون قبول جانب آخر للديمقراطية من خلال انعدام روح الحوار والنقاش الموضوعي ، وتقبل الآراء المخالفة لا كشخص من أفراد القبيلة فحسب ، بل لقبيلته ككل ، ويصعب عليه إن لم يكن مستحيلا تقبل النقد الموجه ضده أو ضد قبيلته ، وكأنه جزء لايتجزأ منها فكريا في كل شيء ، وليس هناك لديه مايسمي آراء شخصية بل آراء قبلية أو عشرية مع أو ضد قبيلة أو عشيرة أخري .

وبعبارة أخري لايؤمن أحد أفراد القبيلة باستقلالية شخص بريه وليس في قاموس وجدانه مايسمي بالموضوعية ، وبالتالي فنتيجة لذلك فليس خارج نطاق القبيلة أو العشيرة مكان للرأي العام ولا للأوضاع السياسية والنظم بما في ذلك الديمقراطية ، وعندما يعطي فرد من الأفراد تقييما لما يقوله الآخر سلبا أو إيجابا يقيم علي أساس

قبيلته أو عشيرته لا علي أساس مقولته ، أي علـــــي أســـاس من ينتمي إليهم من القبائل أو العشائر " هناك مثل صومالي في هذا الشأن يقول باللغة الصومالية (فقي تلكي كمجنتكو) Figi tolkii kama janatago ومعناه بالعربية العالم والفقيه لاينبغي أن يدخل الجنة بدون قبيلته أي يكون مع قبيلته ، ولو كانت في ضلال مبين (٥٨) .

التكوينات الاجتماعية والاقتصادية :

إن المجتمع الصومالي المكون أساسا من قبائل وشرائح قبلية لم يفرز بعد مجموعات من السكان تجمعها روابط تمثل تكوينات اجتماعية واقتصادية ، وبالتالي لايركز تضامنها علي مصالح خاصة بها تحكم سلوكها ، غير أنه توجد تكوينات اجتماعية عديدة يرتكز تضامنها لا علي أسس طبيعية بل علي أسس قبلية أو عشائرية ، أما التجمعات الاقتصادية في المجتمع الصومالي فيتحكم فيها عاملان ، عامل القربي أو صلات العشيرة أو العامل المعرفي ، أو كل الأشياء معا ، وهذا ينقصه الفعل الإداري الذي يتمتع به وعلي النقيض من ذلك المجتمع المدني (٥٩) .

المبحث الرابع : القبائل الصومالية وتناول السلطة : ١٩٦٠-١٩٦٩م

الصومال بلد إفريقي المكان عربي التكوين ، ومن طريقة التفاهم بين سكانه مايؤكد تمسكه بكل الأعراف القبلية السائدة في الجزيرة العربية ، والنزعة القومية في الصومال محدودة فلم تستطع تغيير الانتماءات القبلية ، كما لم يقدر لها التأثير علي الضمير القبلي ، ففي تاريخ الصومال القديم والحديث مايجعل من القبلية مبدأ أساسيا تلقائيا في تحديد نظام الحكم وتبعية الحاكم ، فجميع القبائل الصومالية كانت قبائل ذات سيادة وهي أشبه بالدوقيات ، فكل قبيلة تحمي مراعيها ولكل شيخ أو سلطان أو جراد حماده الذي يتوجب علي أفراد قبيلته الاستفادة من مراتعه وعدم إتاحة الفرصة للقبائل الأخري للمشاركة فيه إلا تكرما منه ، وبذلك تري الحروب القبلية تستعر بين حين وآخر علي المراعي وموارد المياه بين القبائل ، فهناك قبائل الهاوية ، التي تعتبر أكبر التكوينات البشرية في الجنوب ومن قبائلها وبطونها الكثيرة العدد مايشير إلي أن سواحل الصومال ووسطه إلي حدوده المتاخمة للشمال الصومالي وكينيا تمتلىء من بطون الهاوية التي تتعاون فيما بينها تارة وتتحارب تارة أخري ، وقد شاركت قبائل الهاوية في تقرير مصير الصومـــال في فتـرات عديدة وحددت معالم هـويته السياسية

(فالابقال) هم سكان مقديشو المدينة الصومالية ذات العراقة في تناول السياسة عندما كانت هذه المدينة التي يعتبر اسمها تصحيفا لكلمة (مقعد شاه) الاسم لهذه المدينة ، وقد قيل (مقعد شيخ) موطنا للتجار ووفود العلماء مما يشير إلي تجربة الصومال في بناء الاستقرار متزامنة مع وجود القبلية التي تضفي علي الجو السياسي نوعا من الخصوصية للعاملين فيه .

وإلي جانب قبيلة هاوية توجد أيضا قبيلتان أساسيتان في الصومال قامتا في عديد من المرات بتقرير مصير البلاد ، ألا وهما قبيلة دارود وقبيلة الإسحاق .

وكما يتحدث الناس هنا في الصومال عن مغالطات تحولت إلي آمال وواقع غير قائم فهناك من ينكر القبلية في الصومال ويقول عنها إنها رسول من الماضي الذي نسيته الأجيال وأن الصوماليين اليوم ينفرون من القبلية عندما يسأل شخص عن قبيلته ، إلا أن الصدمة القاتلة هي عندما تسأل أحدهم عن الحاكم الجديد وكيف يرونه؟ عندئذ تتصاعد الآراء وتهبط إلي القاع مرتطمة بأرضيته إرتطاما يفتت أجزاءها ، فتري القبلية من خلال تلك الآراء قد تغلغلت فيها وساعدت علي ظهورها ، إن فترة الاستعمار وسنوات الوصاية الدولية التي كانت هي الأخري امتدادا طبيعيا للاستعمار لم تكن فرصة متاحة للصوماليين للتأثر بالحضارات الوافدة وإنما كانت ألوانا قائمة تضيف إلي عتمة الليل طبقات من الغموض في تلك الأماكن التي يبدو النور منها .

وقد ضاعت جهود المخلصين أمام عنفوان الجهل الذي يدفع تيار القبليةللصعود ، ولم يعد بإمكان الصوماليين التخلي عن التراث الذي تحول إلي مستقبل والماضي المستمر الذي تكون علي شكل كرة سوداء أمام سنوات الحاضر ليكون بإحداثه الباقية آيام الحاضر ولياليه والتي كانت في غني عنه (٦٠) .

ومما يجعل القبلية متأصلة في الصومال تلك الرابطة والصلة الوثيقة بين سلطان القبيلة وأفراد قبيلته ، فالسلطان لايحتل ولايتقلد منصبا وزاريا ولايطالب بعضوية في مجلس الوزراء فهو وزير بوزارته التي يقوم بتصنيفها وتحديد معالمها والعاملين فيها .

ويمكن أن يصبح سلطان القبيلة عضوا نيابيا يساهم في تكوين الرأي العام فهو بطبيعته السياسية أكثر من ذلك المثقف الذي جاب العالم المتحضر وعاد ومعه درجات علمية فاحتل منصبا وزايا بشفاعة السلاطين القبليين والذي بإمكانه أن يطعن في نزاهته وإخلاصه إذا لم يكن هذا الوزير طوع أمره ملبيا مطالب قبيلته من خلال ذلك النفوذ القبلي الذي يحيط به .

إن المفيد هو الإيمان الكامل بواقعية التاريخ وتأكيد أحداثه ودراستها لتحديد آثارها وعمقها ، ومن هذا المنطلق الخالي من المغالطات يستطيع الصوماليون في الجنوب والشمال علي السواء بناء قاعدة صلبة يستمدون منها مقدرة علي معالجة مشكلاتهم القائمة ، وتلك المشكلات التي أخذ الحاضر يلوح بها علي أنها مشاكل صغيرة وستكون كبيرة في يوم ما مالم يتم التعامل معها بحكمة ، وكثير من الصحفيين الذين يعملون في حقل السياسة اقترحوا بأن يتعامل الصوماليون مع مشاكلهم بصراحة وأن يعترفوا بأن القبلية كانت تدير الصومال في الماضي وقد تديره في الحاضر ، وأن المشكلة القائمة الآن منشؤها اختلاف الرأي في تقسيم السلطة بين القبائل مما يحدث حربا أهلية تنطفيء وتخمد نارها تارة ثم تشتعل لتأتي علي الأخضر واليابس . قبائل الهاوية وقبائل الإسحاق وقبائل الدارود وقبائل الدر وقبائل الرحانوين وقبائل المدجان كلها مكونات السكان الصومالي وكل هؤلاء بحاجة إلي أن يروا أنفسهم في تجربة السلطة.

والقبليون من طبيعتهم المشاركة في السلطة أيا كان نوعها دون اختيار أو طلب لأي مقعد فيها ، ولكن هذا المقعد بالرغم من خشونته في المجلس إلا أن صاحبه يجد فيه راحة ومتعة ، فهو يري رجولته من خلال هذا المكان ، ولذلك كان لابد من وضع مجالس نيابيةتتنفس فيها المشائخ نفحات الرجولة ويجدون أنفسهم خلالها أكثر تفهما لما يدور في بلادهم ويستعدون لنقلة حضارية من حيث لايشعرون إلي عالم بعيد عن العنصرية والعصبية القبلية (٦١) .

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وضع الجنوب تحت وصاية الأمم المتحدة لمدة عشر سنوات لينال بعدها الاستقلال ، وخلال تلك الفترة كان المفروض أن تعد الأمم المتحدة الجنوب للاستقلال ، ولكن الايطاليين خلقوا مشاكل كثيرة لتأخيرة ومن الأساليب التي لجأو إليها هي (القبلية) حيث نشبت آلام الماضي العشائرية والاجتماعية فحصدت هذه الصراعات القبلية أعدادا كبيرة جدا من الشباب الصومالي وسعوا أيضا لبذر الفتنة بين الصومال والدول العربية ، ومثال ذلك اغتيال مندوب مصر في مجلس الوصاية كمال الدين صلاح في محاولة لزعزعة مايمكن أن ينشأ من علاقات بين الصومال والدول العربية خاصة مصر التي كانت تمهد الطريق منذ بداية الخمسينات لبناء القومية العربية .

ولم يكن شمال الصومال أوفر حظا من الجنوب فقد حجبت بريطانيا كل أساليب

الحكم عن ذلك الشطر من الصومال إلي ماقبل عام واحد فقط من الاستقلال ، وبذلك لم يكن أمام الصومال شماله وجنوبه مايؤهله لبناء حكم مستقر ومنظم في ظل وحدة خاطفة كان العاطفة هي المقوم الرئيسي لبنائها وتحقيقها ولو تدرج الصوماليون في بناء الوحدة علي أسس سليمة ومدروسة لما وقعوا في تلك الضرائب الباهظة (٦٢) .

فكرة الشباب الصوماليين المتعلمين :

الصوماليون الشباب الذين ولدوا في عقد الستينيات ، أفاقوا علي حين غرة أمام تناقض بين مافي المدرسة ومايقوله الأساتذة من دروس ومحاضرات وقصص حضارية ومافي الشارع الصومالي الذي أخذ ينشد أهازيج القبلية منذ منتصف السبعينيات وأدرك بعد حين أن مايقوله الناس في الشارع هو الحقيقة المرة بعد أن أصبح داء القبلية تستثري سمومه في أعماق الصوماليين (٦٣) .

وأصبح شباب المدارس والجامعات الحكومية يؤمن بأفكار القبلية ويتعصب لها لقد خرج الإيطاليون والإنجليز من الصومال وهم علي دراية بالمؤثر الزمني الذي يحدد وقت انهيار الصومال وعاشت البلاد سنوات هي أشبه ماتكون بالمهلة الزمنية اليسيرة التي تحدد لتقرير الوضع القائم حاليا ، وقد عاش الصوماليون في تلك المهلة ينشدون الحياة ويتشبثون بخيوط الأمل الرقيقة إلي أن دقت ساعة الحسم التي كانت بدايتها دخول البلاد في عصر الانقلابات العسكرية ، ومن ثم الخصومات القبلية (٦٤) .

عاطفة الوحدة غير المدروسة :

لقد تمت الوحدة بين الصوماليين بطريقة عاطفية جدا فلم يكن هناك فترة زمنية تكفي لتأقلم القطاعات المدنية والعسكرية والشرعية والاقتصادية والتعليمية المندمجة ، ونجم عن ذلك حلقة مفقودة أدت إلي وجود فراغات كبيرة ، ذلك أن الضباط في الشمال تخرجوا في كلية سانت هيروز في بريطانيا في حين كانت الوصاية في الجنوب هي تجنيد الضابط دون مرورهم بدراسات عسكرية دقيقة ، ولعل السبب في الإسراع في عملية الدمج دون برمجة هو ذلك الضغط الذي تعرض له السياسيون في ذلك الوقت فكينيا علي وشك أن تستقل والمناطق الحدودية الشمالية الكينية تابعة للصومال ، كما أن جيبوتي التي لم تستقل بعد في ذلك الوقت يمكن أن تدخل في إطار الوحدة الصومالية . واعتبر السياسيون الصوماليون مسألة التنسيق في أمور محلية مسألة يمكن النظر إليها فيما بعد إلا أن المطالبة الصومالية في الأوغادين وهرر لم تجد صدي وتعاطفا دوليا كل هذا يشير إلي أن القبلية في الصومال هي المحرك السياسي

الطبيعي ، فالنفوذ القبلي يتفق مع انتشار القبلية في أكثر من دولة لتنال مكاسب ذات عمق استراتيجي ، لذلك نلاحظ أن القبائل منتشرة في إثيوبيا وكينيا وجيبوتي ، ولم يفلح هذا الانتشار في تكوين هرم سياسي ذي قاعدة عريضة فتصادمت الآراء والطموحات المتضاربة التي حالت دون وحدة سياسية ، ذلك أن تلك الوحدة تعني ضرورة وجود تنازلات كبيرة تقدمها القبائل عن جزء من كيانها أو كياناتها القبلية ، وهذا يحتاج إلي عبور الشعب مرحلة متقدمة يبلغ فيها درجة من النضج الفكري والحضاري ، وهذا مالم يبلغه الشعب الصومالي حتي الآن ، فهو لايزال حديث عهد بالاستعمار الذي أودعه الجهل والفقر والقبلية وأدخله في متاهات سياسية جعلت من النعرات القبلية وسائل للنفوذ السياسي ، فانهارت كل مقومات الوطنية وأصبح الجو غير صالح لزراعة قومية موحدة تضم فئات الشعب الصومالي قاطبة (٦٥) .

هوامش الفصل الثاني :

١- حمدي السيد سالم : الصومال قديما وحديثا ج الثاني ص : ٢٦٩ الدار القومية للطباعة القاهرة ١٩٦٥م

٢- نفس المرجع السابق ص : ٢٧٠ ٢٧١

٣- دراسات استراتيجية العدد ١٠ يوليو ١٩٩٧م ص : ٦٣

٤- د. جلال يحيي ود. محمد نصر مهنا : مشكلة القرن الإفريقي وقضية الصومال ص : ٥٩٢ ، ١٩٨١م دار المعارف القاهرة.

٥- عميد أح محمد فريد السيد حجاج : صفحات من تاريخ الصومال ص : ٦٢ المكتبة الإفريقية القاهرة بدون طبعة

٦- د. محمد علي توروباري : الحياد الإيجابي وسياسة الصومال الخارجية ص : ١٣ط ١٩٧٠م

٧- نفس المصدر السابق ص : ١٤-١٥

٨- د. حسن مكي محمد أحمد السياسات الثقافية للصومال الكبير ص : ١٠ - ١٠١ الطبعة الأولي ١٩٩٠م دار المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة.

٩- نفس المرجع السابق ص : ١٠٨

١٠- عميد أح محمد فريد مرجع سابق ص : ٦٣- ٦٤

١١- د. حسن مكي محمد أحمد مرجع سابق ص : ١٠٩ -١١٠

١٢- عميد أح محمد فريد مرجع سابق ص : ٨٠ - ٨١

١٣- نفس المرجع السابق ص : ١٣

١٤- د. حسن مكي محمد أحمد مرجع سابق ص : ١١٠ - ١١١

١٥- نفس المرجع السابق ص : ١١١

١٦- عميد أح محمد فريد مرجع سابق ص : ٩٢ - ٩٤

١٧- نفس المرجع السابق ص : ٩٥

١٨- د. حسن مكي محمد أحمد مرجع سابق ص : ١١٢

١٩- David D. laitin and saidS. Samatar : Somaia Nation : in search of state P. 67p.1987 U.S

٢٠- عميد أح محمد مرجع سابق ص : ٩٨

٢١- د. حسن مكي مرجع سابق ص : ١٣ - ١٤

٢٢- نفس المرجع السابق ص : ١٣

٢٣- د. حمدي الطاهري ، قضية الصومال ص : ٦٦ بدون طبعة

٢٤- محمد علي توروباري : المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الصومال ، ص : ٤٥ مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية القاهرة ١٩٩٥م

٢٥- نفس المرجع السابق ص : ٤٥ - ٤٧
٢٦- حمدي السيد سالم : الصومال قديما وحديثا مرجع سابق ص : ٢٨٦ - ٢٨٦
٢٧- د. محمد علي توريارى : المجتمع المدني مرجع سابق ص : ٤٨
٢٨- نفس المرجع السابق ص : ٥٢ - ٥٤
٢٩- د. حمدي الطاهري : قضية الصومال مرجع سابق ص : ٧١
٣٠- محمد زهير حامد البالي : في ربوع الصومال ص : ٨١ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٤م
٣١- د. حمدي الطاهري قضية الصومال مرجع سابق ص : ٨١ - ٨٢
٣٢- نفس المرجع السابق ص : ١٠١ - ١٠٣
٣٣- عميد أ. ح محمد فريد حجاج : صفحات من تاريخ الصومال مرجع سابق ص : ٨٤- ٨٥
٣٤- د. محمد علي توريارى الحياد الإيجابي مرجع سابق ص : ٨٩- ٩٠
٣٥- نفس المرجع السابق ص : ٩١ - ٩٢
٣٦- نفس المرجع السابق ص : ٥٦
٣٧- د. حمدي الطاهري : قضية الصومال مرجع سابق ص : ١٠٧
٣٨- نفس المرجع السابق ص : ٨٨ - ٨٩
٣٩- نفس المرجع السابق ص : ٩٠ - ٩١
٤٠- عبدالعزيز الهنا : الصومال بين حياتين الحياة القبلية وبناء الدولة ص : ٣٨ - ٣٩ ط الأولي ١٩٩٢م الرياض
٤١- نفس المرجع السابق ص : ١٠
٤٢- نفس المرجع السابق ص : ١٩٧
٤٣- د. محمد علي توريارى : الحياد الإيجابي مرجع سابق ص : ١٣٤- ١٣٦
٤٤- نفس المرجع السابق ص : ١٣٨ - ١٣٩
٤٥- نفس المرجع السابق ص : ١٤١
٤٦- نفس المرجع السابق ص : ١٦٥
٤٧- نفس المرجع السابق ص : ١٧٢
٤٨- د. حمدي الطاهري : قضية الصومال ، مرجع سابق ص : ٧١
٤٩- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المسح الشامل لجمهورية الصومال ص : ٥٨٢ - ٥٨٣ معهد البحوث والدراسات العربية ط ١٩٨٢م بغداد
٥٠- علي أحمد : النزاع الصومالي الإثيوبي الجنور التاريخية ص : ٢٠٨ - ٢٠٩ بدون طبعة
٥١- عميد أ ح محمد فريد : صفحات من تاريخ الصومال مرجع سابق ص : ٥٨- ٦٠
٥٢- د. حمدي الطاهري : قضية الصومال مرجع سابق ص : ٤٦

٥٣- د. حمدي الطاهري : قضية الصومال مرجع سابق ص : ٤٦
٥٤- نفس المرجع السابق ص : ٤٨
٥٥- نفس المرجع السابق ص : ٦٤
٥٦- عبدالعزيز المهنا : الصومال بين حياتين مرجع سابق ص : ١٨٦ - ١٨٧
٥٧- د. حمدي الطاهري : قضية الصومال ، مرجع سابق ص : ١٦٢
٥٨- د. محمد علي توريارى المجتمع المدني ، مرجع سابق ص : ٩٧ - ٩٨
٥٩- د. محمد علي توريارى : المجتمع المدني ، مرجع سابق ص :٩٩
٦٠- عبدالعزيز المهنا : الصومال بين حياتين مرجع سابق ص : ١٧٠ - ١٧٣
٦١- نفس المرجع السابق ص : ٨-٩
٦٢- نفس المرجع السابق ص : ١٦
٦٣- نفس المرجع السابق ص : ٢٢
٦٤- نفس المرجع السابق ص : ٢٦-٢٧
٦٥- نفس المرجع السابق ص : ٣٣- ٣٤

الفصل الثالث

الانقلاب السكري واطروحاته السياسية

مدخل : اغتيال رئيس الجمهورية :عبدالرشيد علي شارماركي :

توفي رئيس الجمهورية إثر تعرضه لحادث إطلاق نار من قبل أحد حراسه في منتصف شهر اكتوبر عام ١٩٦٩م ، وبعد أن مرت خمسة أيام من اغتيال الرئيس انعقدت الجلسة الأولي للحزب الحاكم لمناقشة الوضع المستجد في الساحة الصومالية ، وبدأ النواب يتصارعون علي المنصب الشاغر ، ولقد استمرت المناقشة حتي قبيل صلاة الفجر بدون التوصل إلي أي نتيجة ، والسبب في ذلك هو وجود شخصيات معينة تعتبر نفسها بأنها الوريث الشرعي لمنصب الرئاسة دون سند قانوني ، وبالتالي فإن هؤلاء أصبحوا عقبة كأداء أمام أي حل معقول وهي قبيلة مرجتيين التي أدعت أن منصب رئاسة الجمهورية من إرثهم وانفض الاجتماع بدون اتخاد أي قرار . ولم يكن الانقلاب العسكري مفاجأة لأن مسلسل الأحداث كان تمهيدا ومؤشرا قويا لحدوثه ، ولعل الكثيرين كانوا يتوقعون حدوثه وكان عدد كبير من المواطنين يتمنون حدوث تغيير ما لمعالجة المشكلات التي تفاقمت في البلاد بسبب سوء استخدام السلطة (١)

الانقلاب العسكري :

في الحادي والعشرين من اكتوبر عام ١٩٦٩م قامت القوات المسلحة الصومالية بانقلاب عسكري وأطاحت فيه بالحكومة ، واستولت علي السلطة بدون إراقة دماء ، وذلك بعد أسبوع من اغتيال رئيس الجمهورية عبدالرشيد علي في ظروف غامضة علي يد أحد عملاء الشرطة ، وقامت القوات المسلحة الصومالية بهذا الانقلاب بعد أن انتشر الفساد ووصلت الصراعات الحزبية علي السلطة للقمة فحينما أجريت الانتخابات البرلمانية في عام ١٩٦٨م تقدم ٨٨ حزبا بلوائح انتخابية لاختيار ١٩٠ نائبا وسرعان ماتحالف معظم هذه الأحزاب مع حزب وحدة الشباب الصومالي وهو الحزب الحاكم في ذلك الوقت لتضمن لنفسها بعض المكاسب ، وكانت هذه قمة المأساة للتجربة الحزبية الأولي والنهاية المحتومة لها ، فلقد اندفعت الأحزاب للقتال علي سلطة الحكم وتركوا الشعب وانحرفوا عن آماله وازدادوا في استغلال النعرات القبلية في ظل ديمقراطية فاشلة ، وبذلك مهدوا الطريق لقيام القوات المسلحة بالاستيلاء علي مقاليد

السلطة (٢) ثم تم اعتقال معظم النواب وعدد كبير من كبار موظفي الإدارة بالإضافة إلي عدد من السياسيين القبليين ، ولقد تم وضع المعتقلين جميعا في مراكز تقع في ضواحي مقديشو ، وبهذا اختفت عمليا الطبقة السياسية التي كانت قد قادت البلاد إلي حافة الكارثة كما انتهي معها واحد من أكثر الأنظمة فسادا في هذا الاستعمار الجديد في إفريقيا ، ومع سقوط هذا النظام سقط أيضا نظام برلماني متعدد الأحزاب في إفريقيا ، إذ علي الفور حظرت جميع الأحزاب وحل البرلمان وعلق الدستور ، وبهذا تحولت قيادة الدولة لتصبح في عهدة مجلس ثوري أعلي برئاسة قائد الجيش اللواء محمد سياد بري ويتألف بأكمله من العسكريين : (٣)

الانقلابيون وعددهم :

أعضاء المجلس الأعلي للثورة الذين قاموا بالانقلاب العسكري هم :

١- محمد سياد بري رئيسا
٢- جمال علي كورشبيل نائبا للمجلس
٣- محمد غوليد
٤- حسين كلمية أفرح
٥- الكولونيل أحمد محمود عدي
٦- كولونيل محمد علي مستر
٧- صلاح غفيري -
٨- عبدالله محمد فضل
٩- علي متان عشي
١٠- محمد شيخ عثمان
١١- محمود ميري موسي
١٢- اسماعيل علي أبو كر
١٣ محمد علي شيري
١٤- أحمد سليمان عبدالله
١٥- محمد يوسف
١٦ - فارح ضلي
١٧- أحمد محمد فارح
١٨- موس ربيل غود
١٩- أحمد حسن موس
٢٠- محمد عمر جيس
٢١- عثمان محمد علي
٢٢- محمد يوسف علمي أبوبكر
٢٣- عبدي ورسمة إسحق
٢٤- عبدالرزاق محمد أبو كار
٢٥- عبدالقادر حاج حمد

وستة من هؤلاء كانوا ينتمون إلي الشرطة و١٩ للقوات المسلحة (٤) .

استطاع النظام العسكري أن يحصل علي تأييد شعبي ومن أوساط شعبية همّها الاستغناء عن النخبة السياسية الحاكمة وبعض أتباعها علي أساس قبلي أو مصلحي أو هما معا ، والسبب الرئيسي لهذا التأييد لم يكن مصدره بأي حال من الأحوال

الأيديولوجية الاشتراكية برغم أنها ركن أساسي لسياسة النظام ، بل كان مرجعه محاربة الفساد وممارسة القبلية في شتي المجالات علي المستوي الحكومى والمحسوبية وسوء الإدارة في الحكم المدني .

فهذه المواقف اللافتة للنظر التي أعلنها النظام العسكري عقب استيلائه علي السلطة والخطوات السياسية التي أعلن عنها تمهيدا لذلك كسبت واجتذبت قطاعات عريضة من الشعب ، وإحدي هذه الخطوات كانت تصفية نفوذ السياسيين السابقين وأصحاب المكانة ذوي النفوذ القبلي والمادي أيضا الذين استفاد بعضهم من النظام المدني نتيجة لأوضاعهم الاجتماعية أو مراكزهم السياسية .

وقد وعد النظام العسكري في ميثاقه الأول للثورة فيما يتعلق بالشئون الداخلية بمحو تلك المساوىء السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتغييرها بما هو أفضل للشعب حسبما ورد في البنود السبعة التالية للميثاق .

١- تكوين مجتمع قائم علي حق العمل ، وعلي مبدأ العدالة الاجتماعية مع مراعاة ظروف المجتع الصومالي .

٢- إعداد وتوجيه برامج التنمية الاقتصادية والثقافية من أجل التقدم السريع في البلاد.

٣- القضاء علي جميع أشكال الفوضي وجميع أنواع الفساد والنظام السيىء للحكم وتفشي العادات السيئة في نشاطات الحكومة.

٤- خلق الظروف الأساسية لكتابة اللغة الصومالية ، وذلك باتخاذ الخطوات الصحيحة اللازمة .

٥- القضاء علي الأمية وتطوير تراث ثقافي قومي مستقر للشعب الصومالي .

٦- إلغاء جميع الأحزاب السياسية .

٧- إجراء انتخابات عادلة ونزيهة حينما يحين الوقت المناسب ، وفيما يتعلق بالشئون الداخلية فقد أعلن النظام العسكري في ميثاقه الثاني مايلي :

١- اشتراكيا: الاشتراكية العلمية

٢- ستطبق الاشتراكية في الصومال طبقا لظروف الصومال

٣- ستكون عقيدة الشعب الصومالي موضع احترام ووفاق دون أن يسمح للقوي الرجعية أن تستعملها وسيلة لخلق البلبلة والاضطرابات بين الجماهير من أجل اضعاف الوحدة الوطنية ومن أجل إعاقة التقدم القومي .

٤- ستكون الممتلكات الخاصة موضع احترام وكلنها ستكون عرضة للرقابة الحكومية حتي لايكون هناك استغلال إنسان لآخر .

٥- سيحظي العمل الجماعي من أجل زيادة الإنتاج بكل اهتمام

٦- ستدعم الوحدة القومية

٧- سيتم إعادة العدالة والأمن والمساواة إلي مستواها ومكانتها الطبيعية في جميع مجالات الحياة في المجتمع.

٨- ستدافع الثورة ضد جيع القوي الرجعية التي تقف أمام التقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي السريع (٥) .

السياسة الخارجية :

١- تأييد التضامن الدولي وحركات التحرر الوطنية

٢- المعارضة والنضال ضد الاستعمار والاستعمار الجديد

٣- النضال من أجل الوحدة الوطنية الصومالية

٤- الاعتراف بمبدأ التعايش السلمي بين الشعوب

٥- الاستمرار والحفاظ علي سياسة الحياد الإيجابي وعدم الإنحياز

٦- احترام وتنفيذ جميع الالتزامات الدولية التي التزمت بها الجمهورية الصومالية (٦)

ثم صدرت قوانين عديدةعام ١٩٧٠م كانت تجسد الإرهاب في النفوس ومنها :

١- قانون صلاحيات الحبس الذي يعطي سلطات الأمن نفوذا مطلقا في هذا الأمر ، حيث يمكن لهم إلقاء القبض علي أي شخص وبدون مستند قانوني ، وعلاوة علي ذلك تستطيع تلك السلطات إبقاء المقبوض عليه في السجون والمعتقلات بدون تقديمه للمحاكمة لفترة غير محددة .

٢- القانون الذي تأسست علي ضوئه محكمة الأمن الصادر في ١٩٧٠/١/١٠م المادة (٣) إن تلك المحكمة كانت تخضع لمزاج الرئيس ، وليس عندها غير التوجيهات التي تصدر إليها في كل قضية علي انفراد وكان سماع أسمها كافيا للرعب ، كما أن تحويل أي شخص إليها يعني في معظم الأحيان أنه محكوم عليه بالإعدام سلفا أو بالسجن المؤبد .

٣- القانون الذي تأسست علي ضوئه مخابرات أمن الدولة المعروف اختصارا (NSS الصادر في ١٩٧٠/٢/١٥م والمادة (١٤) لقد أوجدت تلك الهيئة مراكز علنية وسرية في كل المدن الصومالية وقراها حتي أصبحت جيشا لايقل عن الجيش الوطني

العادي في العدد ، أما ميزانيتها فلم تكن محدودة ، بل كانت مفتوحة مما مكنها من اختراق صفوف كل المؤسسات .

٤- وقانون محافظة أمن الدولة الصادر في ١٠/٩/١٩٧٠م والمادة (٥٤)

٥- وقانون محافظة أمن المجتمع الصادر في ١/١١/١٩٧٠م والمادة (٦٧) (٧)

قوانين الزواج :

الزواج عقد بين رجل و امرأة متساويين في الحقوق والواجبات المادة رقم (٣) شروط الزواج بإمرأة ثانية. لايجوز للرجل الزواج بإمرأة ثانية دون تصريح كتابي بذلك من محكمة الناحية المختصة ، ولاتصدر المحكمة مثل هذا التصريح مالم تتحقق من توافر أحد الشروط التالية :

١- ثبوت عقم الزوجة بإقرار لجنة الأطباء المختصين

٢- وجود شهادة طبية بأن الزوجة مريضة بمرض مزمن أو معد لايمكن البرء منه.

٣- صدور الحكم بالسجن علي الزوجة لمدة تزيد علي سنتين

٤- تغيب الزوجة بلا سبب مقبول عن بيت الزوجية لمدة تزيد علي سنة

المساواة بين الرجل والمرأة :

المادة (٢٨) المساهمة في نفقات الزواج : يساهم كل من الزوج والزوجة في نفقات الزواج ومتطلبات الزوجية حسب الإمكانات المالية لكل منهما .

المادة (٣١) الالتزام بالنفقة وكيفية أدائها:

١- يساهم كل من الزوج والزوجة في تكاليف الحياة الزوجية بالنسبة لدخل كل منهما وفي حالة عدم قدرة أحدهما علي المساهمة يلتزم الآخر بتحمل أعباء وتكاليف الحياة الزوجية .

٢- إذا نشب خلاف بين الزوجين يستعين القاضي بأهل الخبرة لحسم الخلاف بالطريقة التي يراها .

٣- إذا قصر أي من الزوج والزوجة في إلتزامه بالنفقة الواجبة ، يجب عليه أو عليها دفع حصته منها مالم يكن عاجزا تماما عن ذلك .

٤- إذا استحال علي أحد الزوجين الحصول علي النفقة من الآخر لأسباب غير العوز يحدد القاضي هذه النفقة لتكون دينا في ذمة من لم يف بها ويخول للآخر الحق في الاستدانة بما لايزيد عن المبلغ المحدد

٥- يحق للدائن المطالبة باسترداد هذا الدين من الطرف الذي يلزمه القاضي بذلك .

الطلاق :

المادة رقم (٣٦) إيقاع الطلاق :

١- يقع الطلاق من جانب الزوج بموجب إذن يصدر بذلك من المحكمة المختصة .

٢- يجوز للمحكمة إصدار مثل هذا الإذن فقط بعد إحالة الدعوي إلى لجنة المصالحة التي عينتها .

وفي هذه المادة نلاحظ أن الطلاق أصبح بيد المحكمة وحدها ، واللجنة التي عينتها المحكمة ، بينما الطلاق بيد الرجل حسب الضوابط الشرعية التي حددها الإسلام وتلك مخالفة للشريعة الإسلامية (٨) وقد ألقي القانون تعدد الزوجات ، ولكنه ترك الباب مفتوحا أمام الرجل ليتزوج إمرأة ثانية بلا ثالثة أو رابعة بتصريح مسبق من المحكمة (٩) كان مساء الأحد ١١ يناير يوما مشئوما في تاريخ الصومال عام ١٩٧٥م حيث ألقي رئيس الثورة خطبته وكانت طويلة ومثيرة ، تناولت الإسلام وتطرقت إلي حقيقة القرآن الكريم ، وتكلم عن أحكام النساء والعلاقات بين الرجال والنساء والفروق الموجودة من الناحية التشريعية ، وأسهب في شرح قضية الإرث والوراثة ، وجعل المرأة الصومالية مساوية للرجل في الحقوق والواجبات بدون أدني تفريق بين الجنسين (١٠) وفي يوم الجمعة ٥ محرم ١٣٩٥ الموافق ١٧ يناير ١٩٧٥م تناول الخطباء الحدث التاريخي الجائر الذي اتخذته الثورة ثم قامت سلطات الأمن باعتقال أعداد كبيرة منهم ففي يوم السبت ٦ محرم ١٣٩٥ هـ الموافق ١٨ يناير ١٩٧٥م أجرت الثورة محاكمات صورية ضد الذين اعتلقوا يوم الجمعة ، وأعلنت أحكاما في نفس اليوم قائلة " إن محكمة أمن الدولة حكمة علي ستة من العلماء الذين وقفوا ضد القوانين التي أصدرتها الحكومة بالإعدام رميا بالرصاص ، وحكمت المحكمة على ثلاثة من العلماء بثلاثين سنة وحكمت علي اثنين اخرين بالسجن عشرين سنة .

وفي يوم الأحد ٧ محرم ١٣٩٥هـ الموافق ١٩ يناير ١٩٧٥م أصدرت محكمة أمن الدولة مايلي :(حكمت المحكمة علي أربعة من العلماء حكما بالإعدام لأنهم وقفوا ضد القوانين الجديدة مستترين بلباس الدين (١١)

المنظمات المدنية في الحكم الدستوري :

وبجانب الحزب هناك عدة منظمات مختلفة حلت محل المجتمع المدني في المرحلة البرلمانية ، ومن بين هذه المنظمات الاجتماعية منظمة الشباب ، والمنظمة النسائية والعمالية ، وبعض الجمعيات التعاونية وغيرها ، وكل هذه المنظمات خلقها النظام

الشمولي لتقوية مركزه وسلطاته في البلاد ، وكان من المهام السياسية لهذه المنظمات مساندة نظام الحكم واستراتيجياته ، فمثلا من برامج المنظمة النسائية الصومالية الاشتراك في المظاهرات والمسيرات للتأييد السياسي للثورة والتنديد بمعارضيها سرا وعلنا . وأهم أهداف الاتحاد النسائي تتمثل حسب اللوائح المنشورة في :

امتلاك الطموحات الواعية والثقافية للمرأة الصومالية وترجمة قواها العضلية والعقلية لتنفيذ مباديء الحزب وسياسة حكومة الثورة الصومالية متعاونة في ذلك مع المنظمات الاجتماعية الأخري ، مثل اتحاد العمل ومنظمة الشباب واتحاد التعاونيات ، ومن بين منظمات الشباب التي أعدت لتقوية النظام الشمولي عناصر ثورية وساهرة لحماية النظـــام ، وهـي عناصر أطلق عليها اسم (رواد النصر) (غول وديال) باللغة الصومالية ، وقد كانت أخطر المنظمات وأخطر أجهزة الدولة المستخدمة في المرحلة الانتقالية الشمولية تحت (ليس هناك علي الإطلاق فرق بين القوي التي كانت تعارض نضالنا من أجل الاستقلال وهؤلاء الذين يعارضون اليوم الاشتراكية) . وقد أسس هذا الجهاز في ٢٤ اغسطس ١٩٧٢م وقد سمته الثورة (روادالنصر) طليعة ثورية لثورة الحادي والعشرين من اكتوبر وأقيمت لها مراكز للإرشاد (هنوفن) باللغة الوصمالية في كل حي بالمدن الكبري والقري .

وماهو جدير بالذكر أن طلائع النصر هذه عبارة عن مليشيات شعبية غير تابعة للحزب ولا لإحدي منظماته ، ولكنها إحدي التنظيمات التابعة لأجهزة أمن الدولة ، وكان يضم إليها طوعا أو كرها الشباب من الجنسين من سن ١٤ إلي ٢٠ سنة ويتلقون تدريبات عسكرية خاصة وعقائدية متوخية أفكار الحزب الاشتراكي الثوري الصومالي ، وقامت هذه المليشيات بالسيطرة علي الشارع الصومالي وأعمال الحراسة ، وقد أعد النظام كما رأينا هيئات ومنظمات سياسية تقوم بدورالأحزاب والجمعيات الأهلية ذات الطابع الاجتماعي ، غير أنها أقيمت علي أساس مساندة النظام وتعزيزه ، ولم يكن لها أي دور مستقل عن النظام ولم تستطع هذه المنظمات والجمعيات أن تعبر عن مصالح طبقاتها المنبثقة عنها فضلا عن المصالح العامة (١٢) .

كان اكتوبر ١٩٦٩م الخطوة الأولي في الثورة ولكن لم يكن لكل واحد في الدوائر القائدة للجيش وجهة النظر ذاتها ، كان هناك البعض ممن كانوا مستعدين للموافقة علي التغييرات ، ولكنهم رغبوا في تنفيذها بأسلوب لايسد الطريق أمام ظهور برجوازية بيروغراطية جديدة باعتبار أن ذلك واحد من نتائج التحديث ، وهؤلاء الذين

أملوا في مثل هذه النتيجة والذين كان لهم توجه موال للغرب ، حاولوا تنظيم انقلاب مضاد للثورة في مايو ١٩٧١م ، بيد أنهم أخمدوا بسرعة وهكذا كان الطريق مفتوحا أما الضباط الأكثر راديكالية لتسريع وتيرة الثورة .

وربما كانت النقطة الأكثر أهمية حول الضباط اليساريين الذين يقودهم سياد بري أنهم أدركوا منذ البداية أن التثقيف السياسي والنشاط الديمقراطي (الشعب العامل) ضروري ضرورة مطلقة إذا ما أريد السير بالبلد صوب الاشتراكية وسد الطريق في وجه نشوء البرجوازية ، وهذا هو ما أضفي حيوية علي التعبئة الكبري وحملات التثقيف في الصومال والبرامج الكاسحة Crash Programmes والعمل الطوعي والحملة الشاملة ضد الأمية ومجالس العمال والنقابات وتنظيمي النساء والشباب وحفر الآبار وبناء الطرق والتثقيف السياسي للشعب ، ونشاط الشعب منذ البداية ولكن بوضوح متزايد ، بوصفها الشرط الضروري لتقدم الثورة ، وبوصفها الأسلوب لسد الطريق في وجه الرأسمالية ولفتح الطريق إلي الإشتراكية ، وهذا الفهم بالذات هو الذي يجعل المرء قادرا علي اعتبار نظام الحكم في الصومال مختلفا اختلافا كبيرا عن غالبية الحكومات العسكرية في العالم الثالث (١٣) .

تكوين الحزب الاشتراكي الصومالي :

ابتداء من أول يوليو عام ١٩٧٦م تم تأسيس حزب سياسي اشتراكي في الجمهورية الصومالية الديمقراطية يقود سياسة البلد ويسمي هذا الحزب (الحزب الإشتراكي الثوري الصومالي) ويتكون شعار الحزب من مطرقة ومحراث متقاطعين ، وتقع نجمة العلم الصومالي فوقهما وتحيط بهما ورقتان من أوراق الموز (١٤) .

لم يكن في تفكير من قاموا بالثورة تكوين كوادر لها لأن الثورة قامت بدون أيديولوجية معينة أو لون محدد أو مذهب معروف ، وكان هدف الثورة هو الارتفاع بمستوي البلاد داخليا وخارجيا والاهتمام باقتصاد الدولة وبنائها ، وكان هناك عملية سباق مع الزمن لتحقيق نتائج عن طريق توجيه التنمية الاقتصادية والثقافية في كافة أنحاء البلاد بالنسبة للمدن فقط .

واتجه التفكير إلي تحقيق النظام اللامركزي والعمل علي تعبيئة الجماهير وإلي جانب توعيتهم وتثقيفهم ، وقد نجحت فكرة التعبئة في قطاعات معينة مثل بناء المدارس والطرق والخدمات الصحية وحفر الآبار وقنوات الري وإنشاء الحدائق العامة والملاعب وغرس الأشجار ، ومن خلال العمل الطوعي استفادت الحكومة من توفر نفقات باهظة ،

وأدي إلي إنجاز العمل بصورة شريفة وأوجد رابطة بين المتطوعين أنفسهم وغرس فيهم حب العمل والولاء للدولة ، وكانت بذور صالحة لمساندة الحركات التعاونية ووجود كوادر ترتبط بمفهوم واحد مع الثورة وأتاحت أيضا الفرصة للعمال لقيام مجالس تمثيلية خاصة بهم ، وكذلك للفلاحين في قراهم يبحثون فيها واجباتهم والتزماتهم وحقوقهم ، وكذلك الحال بالنسبة للجان الأحياء في المدن ، وقد كانت هذه البداية الحقيقية لتكوين كوادر الثورة وكان أهم واجبات اللجان الآتي :

١- التنظيم والتنفيذ والإشراف علي برامج التعبير الذاتي للعمل الطوعي

٢- تطوير وتنمية الأشغال العامة

٣- تنفيذ كل مايتعلق بالمعونة والثقافة والرعاية السياسية

أي أن وظيفة هذه اللجان كانت اقتصادية واجتماعية برغم اختلاف تكوين اللجان في البادية أو المدن أو القرية ، كما أنها تعتبر موصلا جيدا للرأي العام الجماهيري كما أنها كانت تقوم بتنفيذ رغبات السلطة وسياستها طبقا لما يصل إليها من أوامر وتوجيهات ، وتجدر الإشارة هنا إلي أنه قد ساعد علي تكوين هذه اللجان أن أرض الصومال كانت بكرا من الناحية العقائدية والمذهبية والعمل الاجتماعي ، ولم يكن هناك إلا سلطة القبيلة وسلطة الدين (١٥) .

ومرت هذه اللجان بأكثر من مرحلة ثم قامت الثورة بعد فترة من الزمن بعملية إعادة تقييم للأعضاء واستبعد من القيادة القدامي وغير الموالين للثورة وحل محلهم قادة جدد من العمال والكوادر التي تكونت في ظل البرامج التطوعية والتثقيفية ، ولم يكن هناك جمود في التشكيل القيادي للجنة بل كثيرا مايتم التغيير سريعا إذا لاح من بعض الأعضاء تصرفات انتهازية أو محاولات لجعل المجلس أداة لخدمة المصالح الخاصة أو العمل ضد برنامج أو تعليمات الثورة (١٦) . وكان أمامهم أن يختاروا بين ثلاث أيديولوجيات إسلامية أو غربية أو شرقية ، ورفضت كل من الأيديولوجية الإسلامية علي أساس أن التجارب السابقة مع رجال الدين كانت سببا من أسباب ماتعانيه الصومال من جمود حيث إن غالبية رجال الدين كان كل منهم يفسر القرآن لصالح القبيلة التي يمثلها ، ورفضت أيضا الأيديولوجية الغربية لأن مرارة الاستعمار التي عانت البلاد منها ، سواء الإيطالي أو الإنجليزي أو الفرنسي ، والاستغلال الذي كان شعب الصومال ضحية له ، وعدم قيام أي مستعمر بأية اصلاحات ، بالإضافة إلي العداء الذي اكتسبته الثورة من الدول الغربية إثر قيامها بتنفيذ بعض الإجراءات من

التأميم وإنهاء الاحتكار ، فلم يبق إلا أيديولوجية الشرق ، وقد وجدت كثيرا من الأنصار يؤيدونها ، فكثيرا من أعضاء مجلس الثورة تلقي علومه في موسكو ، والجيش سلاحه ومعداته وخبراؤه سوفيت وأن الدول الشرقية اتخذت موقفا ايجابيا في مساندتها للثورة ، وكذلك لم يكن لهذه الدول ماض استعماري في المنطقة (١٧) .

وكان هو الحزب الوحيد المسموح به في البلاد ، ولم يسمح خلال وجوده بظهور تنظيمات معارضة لسياسته ، وكانت علاقته بالسلطة التنفيذية علاقة مؤازرة للهيمنة والسيطرة الكاملة علي السلطات الأخري من خلال أشخاص موثوق بهم لدي رئيس الجمهورية ومعينين بصورة مباشرة من لدن الرئيس والحزب (١٨) .

الزيف الأيديولوجي للنظام :

لم تكن الاشتراكية كمذهب بعيدة عن فهم بعض فئات الشعب الصومالي الذين تلقوا تعليمهم وتدريبهم من مدنيين وعسكريين في ايطاليا والاتحاد السوفيتي ومصر هذا بالإضافة إلي علاقات الصومال الوطيدة مع مصر في تلك الفترة وتزايد شعبية عبدالناصر هناك ، وفي سعي المجلس الثوري إلي تأييد فئة المثقفين ثم تعيين عدد من الشباب المتعلم الراديكالي في مجلس الوزراء ، وكان هؤلاء هم الذين اقتربوا بالاشتراكية إلي الدوائر الداخلية للمجلس الشوري ، ثم بدأت بعد ذلك عملية نشر الأفكار الاشتراكية بين فئات الشعب المختلفة ، ولكن الإتجاه الأخطر في نشر الإيديولوجية الاشتراكية ، كان في الاعتماد علي قوات المليشيا الشعبية (طلائع النصر) والتي كانت خاصة بجهاز الأمن القومي ، وكذلك فإن محاكم الأمن القومي لم تآل جهدا في دعم النظام الثوري .

وإلي جانب زيف المؤسسات التي كان منوطا بها التطبيق الاشتراكي ، فإن مبدأ (الإشتراكية العلمية) الذي أعلنه سياد بري كان مشوشا يفتقر إلي الوضوح والتماسك ، فإن كان بري قد رفض مايسمي بالاشتراكية الإفريقية إلا أنه أعلن أن الاتحاد السوفيتي ليست لديه دراية بالمشكلات الصومالية التي يجب أن توضع في سياقها الإفريقي ، ومن ناحية أخري فإنه في سياساته لم يعتمد علي التحليل العلمي للمشكلات الاقتصادية من المنظور الاشتراكي ، وإذا كان قد ناصب البرلمانيين السابقين ورجال الدين العداء باعتبارهم في نظره من أعداء الإشتراكية - إلا أنه أيضا قد قام بطرد المفكرين الإشتراكيين من المجالس التي تولاها نظرا لأنه رأي في خبرتهم الأيديولوجية خطرا علي حريته في الحركة .

وعلي ذلك فإن إشتراكية سياد بري كانت نوعا من البرجماتية التي تخدم هدفه في البقاء في السلطة بغض النظر عن الأسلوب الأمثل لتحديد مستقبل الصومال .

لقد افتقرت ثورة سياد بري إلي الأيديولوجية المتبلورة كما أنها لم تستد إلي أدوات تنظيمية للسلطة ولا إلي قاعدة جماهيرية تساندها ، ومن ثم فقد أصبحت ثورة فوقية تفتقر إلي الأسس الفكري والاجتماعي الذي يدعمها .

وفي السنوات السبع الأولي بلغت المشاركة السياسية أدني حد لها في الحياة الصومالية واتضحت مركزية السلطة علي كافة المستويات وتولت السلطة المركزة تعيين كل صانعي القرار علي المستوي الإقليمي والمحلي ، ولم تكن هناك قيود دستورية علي سلطة الحكومة المركزية أو الرئيس ، وفي داخل الجيش الثوري كان سياد بري يشكل السلطة العليا وحتي بعد إنشاء الحزب الاشتراكي فإنه ظل محتكرا لأكثر من خمسة مناصب رئيسية ، وهي رئيس الدولة والقائد الأعلي للجيش ورئيس المجلس القضائي ورئيس مجلس الوزراء ، بالإضافة إلي سكرتير عام الحزب الواحد ، ومن ثم فقد صارت كلمته هي القانون وأدت هذه الممارسات إلي الإطاحة بالديمقراطية التقليدية والفشل في إنشاء أي بديل لها (١٩) .

وقال سياد بري في إحدي خطبه (يبرز لنا بكل وضوح أن الاشتراكية تولي اهتمامها الأول للإنسان واحترام حقوقه ، وبناء شخصيته الإنسانية ، ويتبع ذلك العمل الجماعي وخلق الثقة في أفراد الجماعة بأنفسهم وقدراتهم مما يهيىء فيهم روح التحدي للمشاكل وحلها حلا جماعيا) . فكيف نقوم بتطبيقها إذن ؟

إن كل أمة تطبق مبدأ الاشتراكية حسب عاداتها وتاريخها وثقافتها واقتصادها وإمكانياتها وأفكارها القومية ونوع الحياة التي تعيشها والهواء الذي تتنفسه ، إن الأمة التي لاتضع نصب عينيها كل هذه الاعتبارات لايمكن أن تصيب أي نجاح في محاولتها ، إنما تتخبط خبط عشواء وتكذب علي نفسها ، وتكون محاولاتها ضلالا وكفرانا ، لابد من عزم أكيد ونية صادقة في دراسة الظروف والملابسات السائدة في المجتمع الذي اتخذ الاشتراكية منهجا ، إن الأمة التي تطبق الاشتراكية في وطنها يجب أن نفهم الاشتراكية فهما دقيقا .

لابد من دراسة الظروف المحلية ونظم المجتمع السائدة ومجابهة الواقع بشجاعة أدبية وبناء هيكل التطبيق علي أساس واقعي صريح ، إن الدين الإسلامي والاشتراكية العملية ليسا نقيضتين ، ومعني ذلك إن الاشتراكية هدفها القيم الإنسانية

وتحقيق الأهداف القومية بأقرب السبل في حين يمارس الشعب حياته الدينية علي نهج القرآن الكريم ، إن الاشتراكية العملية نشأت في مجتمعات امتازت بظروف وخصائص معينة ، والمفكرون الاشتراكيون حفزتهم بواعث إنسانية في تفكيرهم وتحرير المباديء الإشتراكية ، ولكن البشرية منذ ذلك العهد سارت نحو التقدم سيرا حثيثا وأحرزت تقدما باهرا في الاقتصاد والصناعة والثقافة ، لهذا يجب علينا أن نفهم الاشتراكية وظروفنا المعينة فهما صحيحا (٢٠) .

وقال في خطبة ثانية : (انظروا إلي العالم الإسلامي وكيف ينظم شئونه وصلته بالنصوص القرآنية ، ولا أعني هنا الشعائر الدينية ولكن أعني القوانين التي تسير عليها أية دولة إسلامية في الشئون الاجتماعية وغيرها .. وأضرب مثالا علي الأعراف التي كان سائدة في البادية ، فعندما يجرح شخص فإننا لانذهب إلي النصوص الدينية ولكن المشكلة تحل عن طريق العرف والتفاهم ، هذا ماكنا نفعله وليس شيئا جديدا (٢١) كان سياد بري لايؤمن بالإسلام ولا الديمقراطية الغربية ولا الاشتراكية العربية ولا الإفريقية ولا حتي اشتراكية الاتحاد السوفيتي ، ويظهر كل هذا في خطاباته المتنوعة والمتكررة ، بل كان يخفي انتماءه القبلي ويتستر بمبدأ الاشتراكية العلمية .

إيجابيات مرحلة الشمولية :

إن النظام العسكري لاجتذاب واستمالة شعور الجماهير نحوه من جهة وتركيز سلطاته من جهة أخري يعتبر أحد الخطوات الإيجابية وهي كالاتي :

١- تعليم الجماهير أصول القراءة والكتابة

٢- مراعاة الصحة العامة للسكان .

٣- العناية بالخدمة البيطرية للمواشي وتطعيمها وعلاجها .

٤- بناء مدارس جديدة لتعليم وتدريب معاوني الأطباء والممرضين والممرضات .

٥- بناء مستشفيات جديدة في الأماكن التي لم يكن بها مستشفيات من قبل .

٦- مجانية الكشف الطبي للسكان .

٧- بناء كلية الطب لتخريج الأطباء المتخصصين .

٨- قضي النظام العسكري بقيادة محمد سياد بري علي الفوضي التي اجتاحت البلاد

٩- رفع مستويات الوعي الشعبي وخلق مناخ ملائم لتوحيد التعدد الثقافي في المجتمع الصومالي بكتابة اللغة الصومالية كأول لغة محلية رسمية في البلاد من ناحية ، وكتكملة للهوية الصومالية لأحد العناصر القومية من ناحية أخري (٢٢) .

الحزب الاشتراكي ونظرة للمجتمع الصومالي :

نعلم أن البدو في أي مكان يقبلون بصعوبة بالغة أن تفرض عليهم سلطة مركزية من قبل الحكومة ، والصوماليون باعتبار أن غالبيتهم العظمي بدو رعاة تنطبق عليهم هذه الصفة ، وبالإضافة إلي ذلك اتضح لنا أن الإنسان الصومالي قد تطرف في ميله إلي القرابة والحرية ، حتي أثر ذلك علي قوي الزعامة في القبيلة ومن ناحية أخري نعلم أن نظام الحزب الواحد فيه كثير من الضغط السياسي والفكري علي الأفراد وهو نظام يرفض المعارضة من خارجه ، مما لايتفق مع النمط الديمقراطي المباشر الذي درج عليه الرجال في القبيلة وهو أن يتشاوروا جميعا في الأمر ويتخذ القرارات بالأغلبية ، وهنا يثار تساؤل عن مدي تقبل الشخصية الصومالية لهذا النمط من الحكم الشمولي ومدي تغلغل سلطة الحزب في البدو في مراعيهم .

يتكون المكتب السياسي للحزب ، وهو أعلي هيئة مسئولة سياسيا في البلاد من أفراد ذوي سياسات مختلفة ، فعلي سبيل المثال يميل سياد بري إلي الاشتراكية العلمية ، ويعد حسين كلميه أفرح الرجل الثاني في المكتب السياسي للحزب ، وهو ذو اتجاه سياسي معتدل ويميل إلي التعامل مع دول أوربا الغربية ، أما محمد علي سمتر الرجل الثالث في المكتب السياسي فيؤمن بالاشتراكية الماركسية ، وقد كانت له علاقة ممتازة بالاتحاد السوفيتي قبل خروج المستشارين السوفيت من الصومال سنة ١٩٧٨م كما أنه عمل بجد لنشر الفكر الاشتراكي بين زملائه في الجيش ، أما الاتجاه العربي فيمثله في المكتب السياسي إسماعيل علي أبكر ، ويبدو أنه لعب دورا هاما في تنمية العلاقات الصومالية العربية.

وإذا عدنا إلي جذور هؤلاء الرجال الأربعة باحثين عن أسباب هذه الانتماءات السياسية لوجدنا أن سياد بري ترعرع في البادية وتوفي أبوه في وقت مبكر وهو الابن الوحيد في الأسرة وباقي أفراد الأسرة ست بنات ، ولايعرف أحد تاريخ ميلاده بالضبط ولا تاريخه من قبل التحاقه بالقوات الايطالية ، إلا أنه يعرف تماما أنه كان رجل بادية ويتيما ، وعاش حياة قاسية فترة طويلة تحت كنف عمه جامع بري ، وهو يؤمن بالاشتراكية بزعمه ، وتلقي العلوم العسكرية في إيطاليا .

أما حسين كلميه أفرح فقد ولد في أسرة يمكن اعتبارها من البرجوازية الصومالية ، فقد مارس بالفعل مهنة التجارة في مدينة مقديشو وذلك قبل أن يتدرج في صفوف الشرطة ، وقد أكمل تعليمه العسكري في إيطاليا ثم الولايات المتحدة الأمريكية ويبدو

أن نشأته الاجتماعية بالإضافة إلي ثقافته العسكرية لها أثر كبير في توجيهه فكريا نحو الأيديولوجية الليبرالية والتعاطف مع الدول الرأسمالية ، وهو من قبيلة هاوية ، أما محمد علي سمتر فينتمي إلي قبيلة المدجان التي تكاد أن تكون منبوذة . وقد درس العلوم العسكرية في الاتحاد السوفيتي حيث أمضي أربع سنوات تقريبا ، وهنا يمكن أن نربط بين نشأة محمد علي سمتر المتواضعة ماديا واجتماعيا وبين إيمانه بالاشتراكية العلمية التي تساوي بين البشر ، كما أن وجوده في الاتحاد السوفيتي قد ساعد علي بلورة فكره ومواقفه السياسية .

ونأتي إلي الرجل الرابع في المكتب للحزب ، وليس لدينا معلومات كثيرة ووافية عن نشأته الفئوية ، غير أن انتماءه إلي قبيلة الإسحاقية التي تعيش في المنطقة الشمالية المواجهة لعدن وجنوب الجزيرة العربية والتعليم الإسلامي الذي تلقاه في الدكس في مدينة بربرا قد يكون لهما أثر في انتمائه السياسي فجعلاه عربيا إسلاميا (٢٣) .

ولو أنه اعتنق مبدأ الاشتراكية في مطلع حياته السياسية في حكومة سياد بري . ونأتي إلي الشخصية الخامسة وهو أحمد سليمان دفضلي وهو من قبيلة(طلبهنتي) إحدي الفروع القبائل الدارودية ودرس اللغة الإنجليزية والعربية في مدرسة بربرا وهو صهر سياد بري ورئيس الأمن القومي وآمن بمبدأ الاشتراكية .

المبحث الثاني : سياسة سياد بري تجاه القبلية :

بعد أن عاني الشعب الصومالي ويلات القبلية قامت الحكومة بإصدار قوانين لتحريم واستئصال القبلية ففي أول من شهر نوفمبر عام ١٩٧٠م أصدر رئيس جمهورية الصومال اللواء محمد سياد بري القانون رقم ٦٧ بتحريم القبلية ومظاهرها المتمثلة في المحسوبية والمحاباة والإقليمية وما إلي ذلك ، كما تم تحريم الألقاب التي يشتم منها رائحة القبلية كالسلطان والجراد والأجاس والملك والعاقل ورئيس العشيرة وغيرها من الأسماء التي لها دلالة قبلية ، وتم أيضا فرض حظر علي جميع التبرعات ذات الصبغة العشائرية ، وقامت الحكومة الثورية إثر صدور هذا القانون بشن حملة ضد مظاهر القبلية في طول البلاد وعرضها لشرح مواقفها إزاء هذا الموضوع الحساس وإشعار الجماهير بضرورة الحفاظ علي مقومات الشخصية الصومالية عن طريق التلاحم بين فئاته لمقاومة المحاولات الاستعمارية للنيل من وحدته وإجهاض مكاسبه .

والواقع إن إصدار قانون محاربة القبلية كان في حد ذاته بعثا شديدا للقوي

الكامنة في نفوس الشعب حيث لقي هذا القانون ترحيبا حارا من قبل الجماهير العريضة (٢٤) . كما تم إلقاء القانون القبلي " (حير) علي أساس أن القاتل يقتل تنفيذا لأمر الله النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص(٢٥) وقد قام سياد بري وثورته بتجسيد القبلية في شكل صنم ودفن في كل المدن الصومالية علي مشهد كبير من الناس .

ولا يخفي علي أي شخص ما للقبلية من مساوىء فهي تثير العداوة والبغضاء وتنكي الجروح القديمة وتحرض علي الانتقام وطعن أخيك الذي يعتبر أقوي سند لك في وقت الأزمات ، ومن جهة أخري فإن القبلية تشكل تخلفا اقتصاديا وهدرا للطاقات البشرية ، والقبلية تعني تبديد الأموال العامة في تدبير المؤامرات لخلق جو من الإنزعاج وعدم الاستقرار السياسي ، كما أن المحسوبية ركن أساسي من أركان القبلية تؤدي بدورها إلي شل نشاط جانب كبير من المثقفين وعدم الاستفادة من خبراتهم لا لشيء إلا أنهم ليسوا موضع ثقة .

والجدير بالإشارة أن الأدب الصومالي حافل بالنماذج الراقية من الشعر الذي تميط اللثام عن مساوىء القبلية وتفضح مروجيها بصورة دقيقة ، كما أن الرعيل الأول من الشعراء كانوا يحذرون الشعب من مغبة التورط في كمائن القبلية البغيضة ، ومن بين الشعراء الصوماليين الذين تركوا معينا لاينضب من التراث الذي يعالج في هذا المجال ، الشاعر الكبير عبدالله سلطان الملقب (بتموعدي) فقد استعرض الشاعر الأحداث الجسام والمآسي التي جلبت القبلية إلي المجتمع الصومالي ، حيث استنكر المذابح الطائفية التي يذهب ضحيتها عدد هائل من الأبطال ، ووصف هذا الشاعر كذلك في قصائده الوطنية التشرد الذي أصاب الأطفال والنساء من جراء ويلات الحرب الطائفية التي تأتي علي الأخضر واليابس حيث تشيع الفوضي والدمار والأشلاء المتناثرة في كل مكان ، هذا وقد دعا الشاعر جميع فئات الشعب إلي التكاتف والوحدة كما ندد بالقبلية ووصفها بأنها العدو اللدود للحرية وأكبر عائق في طريق التقدم والرخاء (٢٦) .

يعتبر الشاعر عبدالله سلطان تموعدي عن المشكلة الصومالية القبلية في تلك الأبيات التالية فيقول :

السبب الذي جعل الصوماليين قليلي العدد هو الحروب الأهلية المتنوعة ولايزال الصوماليون يسيرون علي هذه العادة القديمة .

فمثلهم كمثل صخرة صماء في إحدي الضواحي لا تتأثر بالعمليات التجوية

والتغييرات الطبيعية

وأنا وحدي تعبت من أناس لايسمعون النصح والإرشاد

Dadka kama yaraat eene way is dabarjaraysaye

Wixii hore usood dashady daba haysaaye

Waa dix dhagaxeed caqlig dooni , laga saaray

Anuum baa iska dallaye daguhu uma daloolaane

وقال سياد بري في أحد خطبته (لقد منعنا القبلية وحرمنا ذكر اسمها ومفعولها شرعيا ، ولكننا لم نستطع اجتثاث جذورها من أذهان الشعب ، وكان هدفنا من الحملة التي أعلناها علي القبلية هو تطهير النفوس والقلوب من رزائلها مع محاولة تجسيم فواحشها ، وذلك يساعد الشعب علي نسيان فضائحها والاستعداد لتقبل أفكار جديدة نافعة عصرية ولكن يبدو الآن أن القبلية كانت أعمق جذورا من ذلك لأنها مازالت حية رغم الضربات القوية المتتالية التي وجهت إليها) (٢٧) .

وقال في خطبة ثانية : (الواقع أن أسباب تأخر البلد كثيرة غير أن أهمها القبلية والرأسمالية ، وبخصوص الرأسمالية ، فإنه يمكن التساؤل عن الرأسمال الذي يمثل عقبة في سبيل الإشتراكية عندنا والحق أنه ليس عندنا رأس مال سائل ، ولكن عندنا ماهو أخطر منه وهو الأفكار الرأسمالية الموجودة لدي بعض المواطنين وواضح أنهم ورثوا تلك الأفكار عن تربيتهم السابقة والمعاملات المالية التي كانت سائدة قبل الثورة والتي غرسها الاستعمار في نفوس هؤلاء المواطنين ، ولقد ثبت علميا أنه لافرق بين الرأسمالية الاقتصادية والرأسمالية الفكرية فكلاهما عدو الاشتراكية وعدو لمصالح الطبقات الكادحة المسحوقة ولكن نظرا لبساطة الحياة في الصومال فإنه من السهل علينا العثور علي أصحاب الطموح الرأسمالي ومخطيء من ظن أن صفة الرأسمالي تنطبق علي من يمتلك بيتا وسيارة ، كلا إن مثل هذه الممتلكات الشخصية لاتعتبر رأس مال وحتي لو اعتقد صاحبها نفسه أنه رأسمالي ، ومادام لايمثل الرأسمالي في الصومال خطرا علي الإشتراكية عندنا بوجه عام فمن أين يأتي الخطر الحقيقي الذي يهدد الاشتراكية عندنا ؟ إنما هي القبلية لأنها تفرق وحدة الأمة وتخلق كراهية عميقة بين أبناء شعب واحد وتجعلهم مسلطين بعضهم علي بعض) (٢٨) .

وقال أيضا في خطبة أخري : (إنني أحب أن أشير إلي حقيقة شبيهة بالكلام الذي يرويه الكبار للصغار عن القول الذي لم يشهده أحد ، وأقصد من ذلك أن الشائعات

كثيرة ومعلومات مزيفة نقلت عن أهل برعو إلي المجلس الأعلي للثورة وكذلك الشأن في كل الأقاليم نتلقي يوميا أكاذيب لاحصر لها متمتمة بالمواطنين بما هم أبرياء منه ، ولقد حاولت أثناء زيارتي لكم عام ١٩٧١م معرفة حقيقة تلك الشائعات ، فلم أجد لها أساسا من الصحة ، ثم بحثت عن مصادرها فلم أفلح وبمجرد أن غادرنا مدينتكم بعد زيارتنا السابقة انطلقت الإشاعات من مكمنها وصارت الطبول تقرع أشد من ذي قبل والحق أن تلك الأقاويل الفارغة لم تؤثر في علي الإطلاق لأنني أفهم أسبابها الحقيقية ، ففي مدينة هرجيسيا لقيت مواطنين ثوريين وصالحين رغم جهود أعداء الثورة في خلق بلبلة فكرية بين المواطنين (٢٩) .

وقال في خطبة أخري (حقا إنني تعجبت من التصرفات التي قام بها بعض الناس في هذه الأيام فسألت نفسي إلي متي ستظل الوساطة والقبلية مؤثرة في حياتنا ؟ إن أعضاء اللجنة المركزية للحزب معروفون لنا الآن فليوفر الانتهازيون جهودهم لأنفسهم لأن الباب مغلق في وجوههم ، إن خمس سنوات مضت علي مسيرة الثورة المباركة اطلقت علينا طوال تلك السنوات دعايات كاذبة وشائعات فارغة من جهات عديدة ، فماذا استفاد العملاء والرجعية من شائعاتهم تلك ؟ وماذا كانت تريد الثورة ؟ وهل تراجع مجلس الثورة عن المصلحة العامة تحت تأثير دعايات الأعداء ؟ الجواب لا لم تتراجع الثورة ولن تتراجع عن أهدافها) (٣٠) .

وقال في خطبة أخري : (فلو لم يتم اكتشاف جرثومة الأمراض الصدرية لما تيسر للعلماء اكتشاف الدواء الذي يقضي علي ذلك المرض الخطير قضاء مبرما إذ يجب علينا أولا وقبل كل شيء أن نتوصل إلي معرفة طبيعة المرض الذي يعاني منه الشعب الصومالي ذلك المرض الذي يقف عائقا أمام تقدمها وحريتها وتكاتفها لبناء مجتمع مبني علي أسس من العدالة والمساواة والمحبة والثقة) (٣١) .

وفي مرة أخري ألقي سياد بري خطبة أمام حشد كبير عام ١٩٧٢م وكان موضوع الخطبة القبلية وأثارها في المجتمع الصومالي وفي أثناء الخطبة أراد سياد بري أن يستدل بآية من القرآن الكريم ليقول إن بعض الآيات القرآنية تشجع القبلية البغيضة ، ولكن الذاكرة لم تسعفه لكونه لم يتعلم القرآن الكريم والتفت حواليه فوجه الكلام إلي أحد العسكريين فوجه إليه سؤالا قائلا يافلان ماهي الآية التي تذكر القبلية في القرآن ؟ فأجاب العسكري وقرأ الآية (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فبعد ذلك وجه الكلام إلي الحشد

قائلا نحن لسنا مع هذه الآية وأمثالها في القرآن ولانوافق لأنها تشجع القبلية التي نحن نحاربها (٣٢) .

فجميع هذه الخطب تدور حول الرأسمالية والقبلية والثورات الداخلية القبلية التي واجهت سياد بري في أول مسيرته الثورية ، حيث تظهر بعض المدن ولاسيما الشمالية شكوكا حول مصداقية الثورة ، كما صرح بذلك الرئيس سياد بري في خطبته في مدينة (برعوا) ولكن سياد بري وثورته قامت بجهد جبار لقمع هذه الشائعات وأفكار القبلية عن طريق التوعية من ناحية وعن طريق الحبس والقتل من ناحية أخري حتي سيطر علي الموقف تماما خلال العشر السنوات الأولي من حكمه ، كما قام ببناء جيش قوي وعناصر أمنية مختلفة مثل (رواد النصر) (غول وديال) NSS وكسر الظهر (طبرجبن) إضافة إلي الأجهزة الأمنية الأخري الخفية والتي لايقل عددها عن عدد الجيش النظامي مما مكنه من تهدئة الأوضاع لصالحه لفترة من الزمن .

طبيعة أي نظام حكم عسكري أنه يفتقد إلي الهوية الأيديولوجية والمشاركة الجماهيرية ، لذلك فإنه يحتاج إلي غطاء أيديولوجي يضمن له تضليلا سياسيا للجماهير ويبرر استيلاءه علي السلطة ويضمن له في الوقت نفسه المساعدات الخارجية من النظام الذي يعلن انتماءه إليه ، لذلك أعلن عن تبنيه لنهج اشتراكي علي النمط السوفيتي فألغيت جميع الأحزاب السياسية وشكل المجلس الأعلي للثورة ، كما أكدت الثورة علي تأييد حركات التحرّر في العالم والعمل من أجل الصومال الكبير بكل الوسائل المتاحة ولاكتساب الشرعية .

كان ضروريا للنظام من الهجوم علي النظام السابق وتبديد ثروات الأمة ، وفي نفس القت تضخيم أعمال النظام وإظهارها بمظهر الإنجازات ، حيث يظهر هذا في جميع منشورات النظام الحاكم الدعائية ، حيث يبدو واضحا في منشورات وزارة الإعلام والإرشاد القومي الصومالية التي كانت تؤكد أن مستوي التعليم في البلاد كان منخفضا للغاية في ظل الحكومات الإستعمارية ، ولم تفعل النظم المدنية الفاسدة المتعاقبة شيئا لتحسين الوضع ، وهكذا ورثت ثورة أكتوبر مجتمعا طال حرمانه من فرص التعليم أي مجتمع جاهلي في المجالات الثقافية والاقتصادية والسياسية ، فعمدت حكومة الثورة وفقا لميثاقها الأول إلي اطلاق حملات مكافحة الأمية بين موظفي الحكومة أولا ثم في المدن وأخيرا في المناطق الريفية .

فقد نال الشعب الصومالي استقلاله بعد نضال طويل شاق وكان الصوماليون

متفائلين بمستقبلهم وتحدوهم الآمال الكبيرة في تحقيق الاستقرار والتقدم والكرامة الإنسانية وهي أمور كانت مفقودة في ظل الإدارة الإستعمارية غير أن الأنظمة المدنية التي جاءت علي الأثر انحرفت عن هذه الأهداف فأدي ذلك إلي نشوء حالة من الفوضي وفقدان الأمن .

وتظهر هذه النماذج بوضوح مدي هجوم نظام الحكم العسكري علي نظام الحكم السابق لاكتساب الشرعية في الانقلاب عليه ، كما شن حملات لتعبئة الجماهير من خلال سيطرته الكاملة علي الإعلام ، حيث اتخذ عدة قرارات ذات شعبية مثل تأميم التجارة الخارجية والمدارس الأجنبية وتخفيض إيجارات المساكن وتحديد الأسعار ودخول الصومال الجامعة العربية عام ١٩٧٤م .

وبمرور الوقت اتضح أن بري كرجل عسكري يصعب عليه الاعتماد علي المؤسسات الديمقراطية أو التعامل مع المفكرين ، وبالتالي فقد زاد اعتماده علي رجال الأمن وتقييده لحرية التعبير مما أدي إلي فقد الكثير من القوي التقدمية حماسها ومن ثم تنافصت شعبية النظام (٣٣) . ومن ثم فإن حالة النشوة والحماس الشعبي التي صاحبت الانقلاب العسكري قد بدأت في الخمود ، وصار واضحا ركون النظام العسكري إلي ممارسات أصابت الجسدالصومالي بأمراض مزمنة تحولت مع ضعف قبضته علي الحكم إلي وفاء قاتل (٣٤) .

وبعد أن استولي الجيش علي نظام الحكم كان أول قرار اتخذه النظام العسكري تجاهل المباديء القديمة والدستور القديم والإتيان بمباديء جديدة لم يستوعبها بعد المجتمع الصومالي ، مثل مبدأ الاشتراكية الذي لم يكن ملائما لتركيبة المجتمع الصومالي ، حيث لايتألف الشعب الصومالي بطبيعته من طبقات ، والجدير بالذكر أن النظام الإشتراكي ينشأ من الصراع الطبقي ، وبالإضافة إلي ذلك كان من العادات الجديدة التي جاء بها النظام السكري عدم إشراك الشعب في اتخاذ القرارات بحيث يتخذ القرار من جهات معينة فقط دون الرجوع لأي جهات أخري لها صلة بهذا القرار ، وفي نفس الوقت يكون متخذ القرار هو نفسه منظم الانتخابات الرئاسية مما يؤدي إلي تركيز السلطة في يد الرئيس أو المحافظ أو رئيس الوحدات المحلية وجميع هؤلاء الرؤساء عسكريون .

من النظم العسكرية أنه علي أصحاب الرتب الأدني أداء التحية لأصحاب الرتب الأعلي وعليهم أيضا تنفيذ الأوامر العسكرية سواء كانت صحيحة أو خاطئة ، وعلي

سبيل المثال إذا تأخر عسكري عن عمله ولو لمدة دقائق فإن الضابط الأعلي رتبة هو الذي يقرر نوع العقوبة التي سوف توقع عليه دون الرجوع إلي أحد ، وبالتالي لايعرف في معسكرات الجيش مايسمي بالعفو بين العسكريين ، وكذلك ليس هناك مايسمي بنظام التشاور ، وعندما يستولي هذا الضابط وأمثاله علي حكم البلاد كلها أو جزء منها فإن أول خطوة يخطونها هي إلزام الناس بانضباطهم لحكم القيادة مثل انضباط العسكريين لحكم قادتهم في القواعد العسكرية ، وإذا لم ينفذ الناس أوامر هذا الضابط العسكري فإنه يفرض عليهم عقوبات عسكرية كالإعدام أو السجن والتهديد ، والفرق بين هذين النظامين هو التخطيط وسياسات متتالية تحتاج إليهما القيادة الوطنية وأوامر عسكرية تحتاج إليها القواعد العسكرية ، وعندما تجاوز القمع الحد المعقول ، بل وأصبح المجتمع الصومالي غير قادر علي التعبير عن رأيه ، شعر الشعب الصومالي بالضغوط التي تمارسها الحكومة العسكرية عليه ، حيث كان رد فعله سلبيا وأدي ذلك إلي نشوء معارضة قوية وكان الجواب الذي أجابت به الحكومة عن رد فعل الشعب شديدا ، مثل الاعتقالات والإعدام وعقوبات أخري قاسية ، ونفذت تلك العقوبات علي صفوف الجيش في أول الأمر حيث اعتقل كبار ضباط الجيش آنذاك مثل العقيد قورشيل وزير الداخلية للحكومة العسكرية وأحمد محمد عدل محافظ مدينة مقديشو في شهر مايو ١٩٧٠م ، وبعدها بسنة تم اعتقال الجنرال محمد فارح عينانش نائب رئيس الجمهورية وجنرال جبيري وزير الدفاع وعبدالقادر طيل وتم إعدامهم في يوليو ١٩٧٢م واعتبارا من هذا اليوم أثيرت الشكوك في صفوف الجيش واستغل المحافظون سلطة الحكم علي حساب المعارضين .

وفي العالم الثالث كان القطاع الوحيد الذي يوجد فيه عمل جماعي متناسق هو قطاع الجيش ومن أجل ذلك كانت البلاد في حاجة مرة أخري إلي انقلاب عسكري ، مادامت القبلية قد عادت وانتشرت داخل النظام الإداري ، ولكن بدأت المشكلة الحقيقية عندما انتشرت القبلية بين صفوف الجيش ، مما أدي إلي انتفاء الثقة بين صفوف أفراده .

وهذا قد أتاح الفرصة لشخصيات لا تستطيع تحمل المسؤولية للوصول إلي الحكم وقاموا بعد ذلك بإعمال عنف ضد الشعب كالإعدام الجماعي والسجن ، وأدي ذلك إلي الشعور بأن الوسيلة الوحيدة للتصدي لهذا النظام هي حمل السلاح والوقوف ضده باستخدام القبلية للحصول علي مساندة الشعب ، وعلي هذا الأساس ربطت الطوائف

المؤيدة للنظام العسكري والمناوئين له الخلافات التي نشأت بين فصائل المجتمع الجديد بتاريخ القبلية ، وأصبحت القبلية تقف ضد تطور الروح الوطنية التي كان من المفروض أن تتّجه نحو التطور ، وهذه القبلية لاتنحصر في بلد واحد بل تشمل كثيرا من البلدان الإفريقية ، مما سبب إضعاف قدرة بعض المواطنين المخلصين الذين كانوا يرغبون في وضع حلول مناسبة للتخلص من القبلية وآثارها إلا أنهم فشلوا في ذلك بسبب تضاعف قوة القبلية (٣٥) .

القاب سياد بري :

الموحد - هازم الأعداء - الشجاع - قائد العدل - المواطن رائد السلام - أبوالعلم والمعرفة - راعي الأطفال - رافض الاستعمار - المرشد - راعي الضعفاء

من أشهر الأغاني التي تمدح الرئيس :

أغنية المنتصر سياد (غول ودي سياد) GUUL WADE SIYAAD

أصبحت أغنية (المنتصر سياد) الورد اليومي بقرار من الدولة ، ففي بداية كل جلسة وعمل وفي كل طابور للتلاميذ وطلبة المدارس والجيش ، لابد من ترديدها بما فيها من طول حتي أصبحت محفوظة ترددها الألسن رغم أنف الجميع ، فمن لم يردد مع المرددين صباحا ومساء يتعرض لعقاب صارم فمجرد السكوت أو الشك في ذلك من قبل المسئول يعتبر جريمة لاتغتفر (٣٦) .

المبحث الثالث : أسباب المغامرة العسكرية

بعد أن خمدت نشورة الحماس للانقلاب العسكري وتناقصت شعبيته ، تحول محمد سياد بري إلي التفكير في تحقيق انتصار تاريخي يمكن أن يستعيد به الحماس لثورته ، ومن هنا بدأت عملية إحياء المطالبة بضم الأقاليم الصومالية الضائعة وبخاصة الأوغادين وتحولت أنظار النظام عن خطة التنمية إلي تعبيئة الجيش وتسليحه معتمدا علي التحالف مع الاتحاد السوفيتي وقتئذ ، ولذلك فإنه في عام ١٩٧٦م ، تضاعف حجم الجيش إلي جانب نمو التنظيمات شبه المسلحة وشكل استيراد الأسلحة ٤٣٪ من الميزانية غير العسكرية في الفترة مابين ١٩٧١م - ١٩٧٥م .

وفي واقع الأمر فإن أي النظام في الصومال لم يكن يستطيع أن يتجاهل قضية الوحدة القومية ، ولذلك فإن النظام العسكري كان يؤكد عليها مع إعلان اللجوء إلي الوسائل السلمية إلي حلها ، ولكن منذ عام ١٩٧٤م ، تضافرت عدة عوامل علي حمل

النظام الصومالي إلي اتخاذ قراره في التدخل العسكري في الأوغادين وهو القرار الذي كانت له نتائج مرة علي القضية القومية وعلي القوي العسكرية نفسها ، فكانت أقوي هذه العوامل هي سقوط هيلاسلاسي عام ١٩٧٤م ، فأوحت الثورة الإثيوبية لفترة قادمة من الفوضي ، والصراع وبدأت اللحظة مناسبة للتحدي السيطرة الإثيوبية المهتزة علي (الهود) والأوغادين ، وحركت الثورة هناك آمالا وتوقعات كبيرة مثلت ضغوطا شديدة علي الحكم في الصومال ، مثل مظاهرات الطلبة من الأوغادين ومنشوراتهم التي تحض النظام علي التحرك ، وهكذا كان الفراغ في السلطة في أثيوبيا يجذب أطماع الصومال في الوقت الذي كانت الضغوط داخله تدفعه للتدخل ، وكان من المستحيل علي النظام أن يقاوم تلك الجبهتين ، وفي عام ١٩٧٦م بدأ النظام العسكري في تنظيم القوات المشاركة في هجومه المرتقب علي إثيوبيا ، وأنشأ جبهة تحرير غرب الصومال (WSLF) وتقدمت قواتها بقيادة صغار الضباط الصوماليين وعبرت الحدود إلي أوغادين في يناير ١٩٧٧م وكان الرد الفعلي الإثيوبي ضعيفا نتيجة للانغماس(الدرج) في الصراع علي السلطة .

وفي صيف ١٩٧٧م بدأ تصعيد الهجوم باستخدام الجيش الصومالي بعد التحول الدرامي في تأييد السوفيت لأثيوبيا وماتبع ذلك من تدفق السلاح عليها ، ولذلك كان علي الجيش الصومالي أن يتحرك قبل أن يتقن الإثيوبيون استخدام السلاح السوفيتي ، ومن ناحية أخري فقد مثل استقلال جيبوتي نفس العام نكسة خطيرة للأمال الصومالية بعد أن قرر سكانها ذلك في استفتاء عام ، وخشي الصوماليون من اتجاه الأوغاديين إلي نفس المصير (٣٧) .

قام فيدل كاسترو رئيس كوبا بزيارة غير ناجحة الي الصومال في مارس عام ١٩٧٧م في حين كانت العلاقات الإثيوبية الصومالية متوترة لاقناع الصومال وأثيوبيا واليمن الجنوبي بقيام باتحاد فيدرالي ، لكن النظام الصومالي كان يساوره الشك تجاه إثيوبيا العدو التقليدي للصومال ولم يقبل الطرح الكوبي الروسي (٣٨) وفي شهر إبريل عام ١٩٧٧م أرسل الاتحاد السوفيتي مبعوثا إلي الصومال اسمه مارشال جرجكو لزيارة الصومال وقد كان يتمتع بصداقة حميمة مع الحكومة العسكرية الصومالية ، وكان الاتحاد السوفيتي يدرك تماما أن جرجكو هو الرجل المناسب لاقناع سياد بري بصرف نظره عن مهاجمة أثيوبيا .

وفي أوائل اغسطس عام ١٩٧٧م قدم الاتحاد السوفيتي دعوة لسياد بري لزيارة

الاتحاد السوفيتي ولملاقاة وسسلوف أحد الأعضاء الأقوياء في السياسة الروسية والتقي سياد بري وسسلوف في منتجع البحر الأسود وقام وسسلوف مباشرة بإنذار سياد بري بالعواقب الوخيمة إذا هاجم إثيوبيا ، وفي هذه الأثناء طلب سياد بري ملاقاة رئيس الاتحاد السوفيتي من الاتحاد السوفيتي بمعنويات ضعيفة ، وهذه الزيارة كانت آخر زيارة قام بها سياد بري للاتحاد السوفيتي وآخر يارة التقي فيها مع ضابط رفيع المستوي من الاتحاد السوفيتي (٣٩) .

والحقيقة أن جُميع ضباط المريحان بمن فيهم جنرال عمر حاج مسلمي مساعد وزير الدفاع وكبار موظفي الجيش نصحوا سياد بري بعدم مهاجمة إثيوبيا محذرين له أنه سيفقد منصبه بوصفه رئيسا للبلاد، ولكن الهجوم كان هجوم رجل واحد بدون استشارة مع ضباطه ولم يسأل ولم يطلع ضباط الجيش علي خطة الحرب (٤١) .

منذ شهر يوليو ١٩٧٧م وهو الشهر الذي بدأت فيه الحرب بين إثيوبيا والصومال قرر الاتحاد السوفيتي وقف إرسال كافة الأسلحة عن الصومال فلم يزود الجيش الصومالي بأي سلاح بعد ذلك علما بأن الصومال لم يكن له مصدر آخر للسلاح منذ استقلاله من غير السوفيت ، وتلك الخطوة كانت بداية أزمة حقيقية للصومال ، حيث افتقد بها مصادر العتاد الحربي ، فبينما تأزمت العلاقات بين الصومال والاتحاد السوفيتي كان من الواضح في الصومال أن السوفيت يتحولون بصورة تدريجية إلي إثيوبيا في الصراع بين الدولتين .

ففي شهر نوفمبر ١٩٧٧م كانت السفن العملاقة السوفيتية وطائرات النقل العسكرية والمدنية علي حد سواء قد شرعت في نقل الأسلحة الثقيلة من الاتحاد السوفيتي مباشرة ، ومن قواعدها العسكرية المنتشرة في العالم ، فنقلت الأسلحة السوفيتية من ليبيا واليمن الجنوبية ، وكانت تلك أضخم عملية قام بها السوفيت في تاريخهم ، وتعتبر بمثابة تجربة للقدرات العسكرية من حيث سرعة نقل المعدات الثقيلة والجنود إلي منطقة من أبعد المناطق عن الاتحاد السوفيتي في العالم ، وفي شهر نوفمبر وصلت العلاقة بين الصومال والسوفيت إلي أسوأ مرحلة منذ تأسيسها إذ تم في هذا الشهر طرد الخبراء السوفيت البالغ عددهم ٤٠٠٠ خبير حسب التقرير الصادر عن الخبراء الغربيين عن الصومال للتعبير عن السخط من المواقف السوفيتية في الحرب ، ومع ذلك لم تذهب الحكومة الصومالية إلي مرحلة قطع العلاقة الدبلوماسية من جانبها بل حاولت التودد إليه من دون جدوي .

وفي ١٩ اكتوبر ١٩٧٧م أعلن السفير السوفيتي ANATOLY RATANOV في أديس أبابا أن الاتحاد السوفيتي قد أوقف تزويد الجيش الصومالي بالأسلحة ، وكان مثل هذا الإعلان في وقت تدور فيه أشرس معركة بين الصومال وإثيوبيا إحراجا كبيرا للثورة الصومالية في مقديشو التي سلمت نفسها للسوفيت ، مما جعل قيادة الثورة في حيرة من أمرها وخاصة لدي الرأي العام الصومالي الذي أظهر عداوته للشيوعية العالمية في وقت مبكر ، فلم يعد وجود السوفيت في الصومال بعد انحيازهم للجانب الإثيوبي أمرا مقبولا ، مما سبب طردهم لسلامة أرواحهم وممتلكاتهم ، فقد تم طرد الخبراء وإغلاق القواعد العسكرية والتسهيلات الأخري وترحيل عائلاتهم يوم ١٣ نوفمبر ١٩٧٧م (٤٢) .

كان سياد بري المخطط للعملية الهجومية وفي الساعة السادسة من كل صباح كان يغدو إلي وزارة الدفاع ويمكث حتي منتصف الليل يعطي الأوامر المختلفة للقوات المسلحة ففتح الجيش الصومالي ست جبهات ضد الجيش الإثيوبي ، واحدة في إقليم بالي وأربع في إقليم هررقي ، وأهم الأقاليم كان إقليم هررقي والذي يحتوي علي مدن ذات أهمية مثل جكجكا ودردوا وأغلب سكانها صوماليون ، وتمثل أهمية اقتصادية واستراتيجية بالنسبة لإثيوبيا .

أعفي سياد بري ضباط الأوغادين من مناصبهم لقيادة الجيش الصومالي رغم أن الإقليم الصومالي الغربي ذو أغلبية أوغادينية ، وكان سياد بري يستشعر الخوف من ضباط الأوغادين وخشي أن يعلنوا استقلال إقليمهم من جانب واحد إذا تم التحرير ، وكان يثق في ضباط الدارود وخاصة ضباط المجرتين ليلعبوا دورا مسيطرا لهذه العملية الهجومية ولكن ثقة المجرتين في سيادي بري كانت ضئيلة جدا للغاية ، وكان اعتقادهم أن هذا التحرير مكسبة للإوغادين فقط لأنهم الأكثر عددا من قبائل الدارود ؛والذي يعطي صلاحية ونفوذا تاما لقيادة قبيلة الدارود الكبيرة ، لذلك قام الضباط المجرتين بعمليات تخريبية داخل الحزب (٤٣) .

ففي شهر اغسطس ١٩٧٧م شنت القوات الصومالية هجوما علي مدينة دردوا المهمة ، وبهذا تمكنت من قطع طرق الأمدادات للقوات الإثيوبية المتمركزة في معظم أجزاء الصومال الغربي حتي أصبحت معزولة تماما ، وكانت خطوة أذهلت الخبراء الإثيوبيين والعالم ، وفي شهر سبتمبر ١٩٧٧م خاضت القوات الصومالية أكبر معركة في تاريخها ضد القوات الإثيوبية لتحرير منطقة حكجكا الاستراتيجية والتي تفصل بين

المناطق الجبلية والسهول في الصومال الغربي ، وحققت انتصارات مهمة وانهزمت القوات الإثيوبية وانسحب فلولها إلي الغرب بعد أن خسرت معظم المعدات الحربية وآلافا من جنودها ، أما القوات الإثيوبية في المناطق الحدودية في الصومال الأوغادينى فسرعان ما أعلنت استسلامها للمقاتلين الصوماليين (٤٤) .

شرع الاتحاد السوفيتي في ٢٨ نوفمبر ١٩٧٧م في إرسال اضخم أجهزة حربية إلي أثيوبيا قيمتها أكثر من مليون دولار من الأجهزة الحربية ، إضافة إلي ذلك أكثر من ٢٠٫٠٠٠ من الجيش الكوبي و٢٠٠٠ من الجيش السوفيتي إلي جبهة الأوغادين لمساعدة ودعم القوات الإثيوبية ووقف تقدم الجيش الصومالي نحو إثيوبيا .

تعجب الرئيس الإيراني شاه من التدخل السوفيتي الضخم ، ولذلك اتصل بسياد بري وحذره من أن الاتحاد السوفيتي قرر تمزيق الجيش الصومالي ونصحه بسبحب قواته إلي المنطقة الحدودية ، ولكن سياد بري لم يعط أي اهمام لنصح وإرشادات الرئيس الإيراني .

استولت القوات الكوبية مستخدمة الطائرات العمودية علي الحدود الصومالية الإثيوبية والجيش الصومالي في داخل إثيوبيا ، ولهذا كان أمام الجيش الصومالي خيارين إما أن يقع أفراده أسري في أيدي القوات الروسية والكوبية والإثيوبية المشتركة ، وإما أن يكون ضحية لها ، وكان الجيش الإثيوبي يشتاق للانتقام من الجيش الصومالي ، ولكن الاتحاد السوفيتي يري غير ذلك، لذلك سمح الاتحاد السوفيتي والكوبيون بتقهقر الجيش الصومالي إلي الحدود الصومالية الإثيوبية بدون إصابة ، وكان الاتحاد السوفيتي يتفادي تمزيق الجيش الصومالي والذي قام بتدريبه أثناء وجوده في الصومال آملين أن ينقلب هذا الجيش علي سياد بري (٤٥) .

تصفية الضباط الصوماليين أثناء الحرب :

ظاهرة الإعدام والتصفية الجسدية كانت ملفتة للنظر حيث يقتل الضباط بدون إرتكاب مخالفات توجب عليهم عقوبة الإعدام حتي ساد الشك بين المقاتلين وحل الحذر محل الثقة المتبادلة بين القادة في ساحات القتال .

ولايوجد تفسير مناسب لمثل هذه الجرائم إلي أن عددا من الضباط المرموقين والمسئولين كانت لديهم خطط يودون تنفيذها أثناء الحرب .

الهدف الثاني من المغامرة العسكرية هو تدمير القوات المسلحة الصومالية لأن الجيش الصومالي كان يتمتع بكفاءة من حيث الروح المعنوية العالية والتدريب ، فمنذ

قيام الثورة عام ١٩٦٩م كان الجيش الصومالي هاجسا مخيفا للانقلابيين ولايفارقهم ، ولكي يطمئنوا من ناحيته فإنهم بذلوا جهدا استهدف تفتيشه من الداخل عن طريق إحداث تغيير جذري من حيث تركيبه ومقاصده وأهدافه فكانوا يحولون أعدادا كبيرة من الضباط إلي الوظائف المدنية بالداخل وفي الخارج بدون سبب منطقي يدعو إلي ذلك ، كما أن قيادة الثورة كانت تتدخل في شئون الجيش فالترقية لأي ضابط كانت تخضع لقرار سياسي في معظم الأحيان وكثيرا ماتكون تلك العناصر التي تترقي برغبة المسئولين ، غير مؤهلة للمناصب المسندة إليها ، وأن عددا من الضباط كان يتم التخلص منهم باسم التدريب والدورات داخل الاتحاد السوفيتي .

وفي شهر مارس عام ١٩٧٨م قررت الحكومة الصومالية سحب القوات المسلحة من جميع الأراضي المحررة تاركة وراءها المعدات الثقيلة في عدد من جبهات الحرب بعد تسعة أشهر (٤٦) .

هكذا كان فشل الغزو الصومالي للأوغادين يمثل نقطة تحول في حكم سياد بري ، فقد خلقت النكسة العسكرية مشكلة كبيرة خاصة باللاجئين والأزمة السياسية الداخلية ، بالإضافة إلي الأزمة الاقتصادية الطاحنة ، فعلي المستوي الداخلي أدت الهزيمة إلي انخفاض الروح المعنوية للشعب الصومالي وصاحب ذلك تقوية الانتماء القبلي متمثلا في محاولة انقلاب من بين صفوف (المجرتين) عام ١٩٧٨م .

ومن ناحية أخري فإن تحول السوفيت إلي تأييد إثيوبيا أدي إلي تحول سياد بري نحو الغرب وإعلانه بعض الإجراءات الليبرالية ودعوة المستثمرين في الغرب للإستثمار داخل الصومال من أجل جذب المساعدات الخارجية ، ولكن هذه الإجراءات فضحت دكتاتورية النظام وحطمت إطاره الأيديولوجي ، والأخطر من ذلك أنها أصابت المواطنين الصوماليين باللامبالاة والعزوف عن المشاركة والاستهزاء بسياسات الحكومة كلها .

وخلاصة القول فإن حرب الأوغادين قد أسرعت بعملية تحلل نظام سياد بري وتحولت علي إثرها عملية خرق حقوق الإنسان التي كانت جزء من صراع النخبة ، إلي عملية اضطهاد عرقي منظم ، واستخدم سياد بري كل الوسائل لتدعيم الحكم الشخصي مستخدما المعطيات العشائرية والطبقية ومؤسسات الدولة ومواردها ، ومن ثم فقد أثرت ممارساته علي العشائر والطبقات ومؤسسات الدولة ، هذا في الوقت الذي تم فيه تسييس الجيش وأفساده ، كما أنهارت عملية الإدارة وخدماتها نتيجة

لاعتمادها علي أهل الثقة غير الأكفاء ، وأدي كل ذلك إلي إلحاق أضرار بالغة بالدولة وبعلاقاتها بالمجتمع الصومالي ، وهي أضرار أصبحت غير قابلة للإصلاح ، ومثلما تعرضت قضية وحدة الأمة الصومالية للنكسة تعرض أيضا الوفاق الوطني للانقسام مما فتح الباب أمام استشراء العنف في المجتمع الصومالي (٤٧) .

وبدأت مرحلة جديدة من التحالفات بعد الحرب ، فالنظام الصومالي الذي خرج مهزوما خارجيا في الميدان العسكري وداخليا بفشله في تحقيق أي انجاز بدأ في حليف جديد بدلا من الاتحاد السوفيتي ، وبدأ التقارب الصومالي للغرب وأمريكا ، ومن ثم بدأت المساعدات الأمريكية للصومال وبلغت في أوائل الثمانينيات عشرين مليون دولار في العام تضاعفت إلي أربعين مليون دولار عام ١٩٨٥م (٤٨) .

وضع الدستور :

حدث تطور سياسي نسبي ابتداء من عام ١٩٨٠م ، حيث أصبحت البلاد أكثر استقرارا وأكثر ثقة بنفسها عن أي وقت مضي ولو أن التوجه السلطوي العسكري في الفترة السابقة قد ترك آثارا سلبية علي التطور السياسي في هذه المرحلة .

فقد وضع مشروع دستور عرض استفتاؤه علي الشعب في ٢٥ اغسطس ١٩٧٩م واصبح ساري المفعول في هذه المرحلة .. وهي صيغة تمثل تحولا للتطور السياسي في هذه المرحلة بالنسبة للصيغة التي صدرت عقب الثورة وأدت الي حرب أوغادين والخطوات الأخري ، والمهمة أيضا للتطور السياسي هي التزام الدستور بإجراء انتخابات في الثلاثين من ديسمبر ١٩٧٩م ورشح للمجلس التشريعي ١٧١ بما في ذلك ٦ نساء وعشرون من القوات المسلحة ، بالإضافة إلي ٧٤ مرشحا لمجالس المقاطعات ، والجميع كانوا مرشحين من لدي الحزب الاشتراكي الثوري الصومالي ؛ وقد انتخب مجلس الشعب بالإجماع الرئيس محمد سياد بري ، وأدي اليمين الدستوري في ٢٧ يناير ١٩٨٠م لتولي منصبه لمدة ٦ سنوات ويمكن بعد انتهائها إعادة انتخابه من جديد، فإذا كان لابد من التطرق إلي تفسير الاستقرار السياسي النسبي في مستهل هذه المرحلة ، فإنه يرجع إلي عدة أسباب من أهمها :-

١- دور الشخصية القوية للرئيس سياد بري الذي أدار البلاد بيد من حديد كبطل قومي بدون منافس طيلة السنوات العشر الماضية في ظل الحكم العسكري ،

٢- ضعف المجتمع المدني المعارض وغير المتماسك نتيجة التفرق القبلي والفقر والجهل ، المجتمع الذي كلما حاولت أية قوة من أفراده توحيد رأيه وأداء مصلحة مشتركة

مزقته الانقسامات القبلية ، كما حدث مرات عديدة في تجمعات مدنية سياسية كالانقلابات العسكرية الفاشلة نتيجة للمصدر المشترك المذكور .

٣- التوازن القبلي الصوري أو الشكل الذي كان يلجأ إليه الرئيس سياد بري عندما تظهر في الأفق مشاكل تفوق قدرته الشخصية وهيبته التقليدية ، ولم تكن هذه التوازنات القبلية الصورية بديلة للقوة القمعية التي كان الرئيس يمارسها ، ولكنها كانت عنصرا مساعدا كتهدئة مؤقتة للأوضاع ، وفي هذه المرحلة تأتي عملية التوازنات الشكلية عن طريق قيام نظامه لإظهار المشاركة السياسية الرمزية في السلطة ، بتنصيب أشخاص كان يعينهم بدون استشارة قبائلهم ليمثلوهم بوصفها قبائل كانت مظلومة أو شبه منبوذة ، ولم يكن لهم نصيب كبير في النظام المدني قبل الثورة ، أو كانت تسيطر عليها قبائل أخري أكثر حجما أو قربا لمركز السلطة المدني أيضا ، وبعبارة أشمل تعود سياد بري سياسيا أن يحي من مات سياسيا قبل حكمه ويهمل أو يحط من قدر من كان ذا منزلة سياسية أو اجتماعية سواء كان فردا أو قبيلة أو شريحة من الشرائح القبلية ، وهذه العملية من أشكال التوازن السياسي بين أشخاص التمثيل لم تخدم بصفة دائمة الاستقرار السياسي ، حيث لم تمثل التعددية القبلية الحقيقية التي لم تأت علي أساس حرية الاختيار القبلي في غياب التعددية الحزبية التي ألقتها الثورة في مرحلة الحكم العسكري وحظرها الدستور في المرحلة اللاحقة ، ولو أن التعددية حتي ولو طبقت في كلتا الحالتين القبلية منها والحزبية لكانت تعددية أشخاص أي قبائل أو أحزاب أشخاص ، ومع ذلك فإن التوازن المذكور قد اختل في أواخر الثمانينيات عندما ألتجأ الرئيس حسبما كتب د . إجلال رأفت إلي تطبيق سياسة قبلية واضحة المعالم لحماية نفسه ، فأسند إلي أفراد قبيلته المراكز السياسية المهمة في البلاد ، ثم ضيق هذه الدائرة تدريجيا حتي انحصرت هذه الامتيازات السياسية في أفراد عائلته ، وعلي ذلك أدي الانفراد بالسلطة واحتكار الإمتيازات السياسية ومايترتب عليها من امتيازات اقتصادية واجتماعية وحرمان أفراد القبائل الأخري عند هذه الحقوق إلي رغبة شعبية عارمة في التخلص من نظام سياد بري ، ويشاركها في هذا الرأي كتاب آخرون مثل البروفيسور لوريس ولو أنه يركز بصفة خاصة علي ما أسماه الحلف القبلي لسياد بري المكون من ثلاث قبائل متحالفة (مريحان أوغادين طلبهنتي) ولاشك أن في هذا شيئا من الصحة ، إلا أنه ليس من الإنصاف أن يسند ذلك كله إلي قبائل معينة ومحددة ، فقد كان سياد بري

يختار من مختلف القبائل حكاما عُرف ولاؤهم المطلق لحكمه وقد كانوا يمثلون الرئيس قبل كل شيء في الداخل أو الخارج (في السلك الدبلوماسي كالسفراء مثلا) بجانب تنصيبهم رموزا قبلية يعينهم الرئيس غالبا بدون علم منهم وعلم من ينتمون إليهم من القبائل متأكد مسبقا ، بأنهم يلبون رغبته في ما يقدمه لهم من مراكز قيادية بمقابل شـــروطٌ معينـــة يستوفونها لتعزيز السلطة حسبما يتطلبه نظام الحكم الذي يقوده الرئيس (٤٩) .

السلطة التنفيذية :

إن حجم وضخامة السلطة التنفيذية لعبت دورا هاما في عدم التوازن بين السلطات بمالايخدم بالتالي التحول الديمقراطي ، بل يعزز النظام الشمولي الذي خلق أجهزة إدارية وأمنية وسياسية ودعائية ضخمة تفوق حاجات البلاد ومتطلباتها الضرورية ، وقد وصلت ثمانين ألفا من المواطنين والعمال وقوات مسلحة يصل تعدادها إلي ستين ألفا حتي يوليو سنة ١٩٧٩م في بلد لايتجاوز دخل الفرد فيه ١٩٠ دولار وناتجه القومي الاجمالي مليار مقابل إيراداته البالغة أربعمائة وثمانية عشر مليون دولار ، وهي أجهزة منصبة كلها علي دعم النظام الحاكم بصورة مباشرة كالجهاز الأمني والدعائي أو غير مباشرة بالنسبة للأجهزة الأخري .

وقد مارست هيئة النقد الدولي ضغوطا علي النظام لتقليل العدد الهائل المذكور من الموظفين والعمال وانفتاح السوق الحر لا لهدف اقتصادي فحسب ، بل لتخفيف حدة السطوة السلطوية ، تمهيدا لدفع عجلة التحول الديمقراطي ، وبالتالي تحسين سجل حقوق الإنسان ، غير أن هذه الإرشادات بصرف النظر عما تكنه من أبعاد جانبية ، فإنها لم تلق من الناحية العملية آذانا صاغية من النظام الحاكم .

السلطة التشريعية :

تتمثل السلطة التشريعية وفقا للدستور الصومالي في مجلس الشعب وهو هيئة تنتخب انتخابا صوريا غير حر ، يرشح أعضاءه الحزب الاشتراكي الثوري الصومالي أو الرئيس أو من يثق فيه ترشيحا لايختلف كثيرا عن التعيين المباشر وكان عددهم ١٧٥ وأعطي الدستور لرئيس الجمهورية حق تعيين نواب في مجلس الشعب لايزيد عددهم عن ستة أشخاص ولم يراع الرئيس الشروط التي علي أساسها أعطاه الدستور حق التعيين ، ومن الشروط التي يجب أن يستوفيها الأعضاء الستة المعينون للبرلمان شرط مهم يخضع لرغبة رئيس الجمهورية فقط ، ألا وهو أن يتميز الشخص بقدر عظيم

من الوطنية ولم تكن هناك لجنة محايدة خصصت لهذا الغرض .

ومن أهم سلطات المجلس سن القوانين والموافقة علي القرارات المتعلقة بتنمية الوطن وخطته التنموية الاقتصادية والموافقة علي الميزانية السنوية للدولة ومحاسبة الحكومة وأعضائها ومراقبة تطبيق الدستور والقوانين الأخري، بالإضافة إلي المصادقة علي المعاهدات الدولية إلا أن الممارسة الفعلية لمجلس الشعب تكشف لنا عن هيمنة السلطة التنفيذية علي تشريع المجلس ، كما أن الحزب الاشتراكي الثوري الصومالي يحتكر مشروعات قوانين معينة هامة لايسمح الدستور بأي حال من الأحوال لمجلس الشعب أن يوافق عليها قبل موافقة الحزب الاشتراكي ، وتأتي تبعية المجلس التشريعي ورضوخه لهيمنة السلطة التنفيذية نتيجة مباشرة ، لأن أعضاء المجلس إما أنهم ينتمون إلي الحزب الحاكم أو تم ترشيحهم بتزكية منه أو عينهم الرئيس في المجلس التشريعي ، كما أن كثيرا منهم موظفون في الأجهزة الحكومية والهيئات التابعة لها ، وبالإضافة إلي أن الولاء القبلي للحاكم الذي عين أو رشح بعضهم علي أساسه ، يلعب دورا علي المجال التشريعي كالمجالات الأخري في الدولة ، بالإضافة إلي المؤتمرات الوظائفية والقبلية والقرائبية والعلاقات الشخصية ، هناك مميزات شخصية أكثر أهمية للنظام الشمولي لاختيار الشخص المناسب في المجلس التشريعي وفي غيره من المراكز القيادية في الدولة مثل الإنتهازية والطمع والإنعزالية وغيرها (٥٠) .

السلطة القضائية :

يعتمد القضاء كثيرا في أداء دوره علي مدي تمتعه باستقلاله عن السلطات الأخري بوجه عام أو عن السلطة التنفيذية بوجه خاص ، أو بمعني آخر أن دور القضاء المستقل يظهر للعيان في حالة التوتر أو الصراع بين السلطتين التنفيذية والتشريعية من ناحية ، والموقف الذي يتخذه القضاء تجاه أمور هامة أخري ، من أهمها المجتمع المدني من ناحية أخري ، وينص الدستور علي أن القضاء وأعضاء النيابية العامة مستقلون في أداء وظائفهم ولا سلطة عليهم لغير القانون وهم غير قابلين للعزل إلا في الأحوال المبنية في القانون .

إن القضاء الصومالي غير مستقل تماما قانونيا وإداريا ، والاستقلال القانوني الذي يشير إليه النص الدستوري مقيد بالقانون الذي يكون منسجما في صياغته مع سياسة النظام يخضع للسلطة التنفيذية ، التي يمثلها وزير العدل الذي يدير المجلس الأعلي للقضاء ، تقييد القضاء الإداري يتمثل كما أشرنا في وزير العدل الذي يترأس

المجلس الأعلي للقضاء بوصفه ممثلا للسلطة التنفيذية ، كما أن رئيس الجمهورية هو قمة هذه السلطة وهو رئيس المجلس الأعلي للقضاء حيث يخول له الدستور تعيين القضاة وأعضاء العامة ونقلهم وترقيتهم وعزلهم مادة (١٠٥) .

أما من الناحية الاقتصادية فإن دخل القضاة منخفض جدا حتي أن مرتباتهم الشهرية في الفترة من ١٩٨٠م إلي انهيار الدولة في يناير ١٩٩١م لم تكن كافية حتي لسبعة أيام ، وهذا قيد مادي يمس استقلالية القضاة ، وكرامتهم ، هذا هو القضاء العادي الذي لايتطرق غالبا إلي القضايا المهمة ذات العلاقة بالدولة وأمنها ونظامها السياسي ، ومنذ أن تسلم العسكريون زمام حكم في البلاد عام ١٩٦٩م تأسست محاكم خاصة ، سميت محاكم أمن الدولة في أنحاء البلاد ، وقد أجاز الدستور تشكيلها في المادة (١٠٠) ، ولم يشر الدستور إلي اختصاصاتها بل أحالها إلي التشريع العادي الذي بدوره أعطاها سلطات واسعة في محاربة ما أسماه الفساد والقبلية والدفاع عن النظام ككل ، وقد تولي زمام إدارة هذه المحاكم الخاصة عسكريون ، فقد أصدرت محكمة أمن الدولة في مقديشيو في أحد قراراتها حكما بالإعدام علي كثير من السياسيين والعلماء المعارضين للنظام ، كما حكمت علي كثير من المعارضين بالسجن ، ولم يكن لمحكمة أمن الدولة درجة الاستئناف القضائي (٥١) .

والنظام الجديد الذي قاده الجيش برئاسة سياد بري ترك آثارا عميقة لم تزل باقية حتي بعد سقوط هذا النظام وهي آثار تعمقت جذورها في المجتمع ثقافيا وسياسيا واقتصاديا ، إذ كرس سياد بري جهده عن طريق تنظيماته علي خلق ظروف تختلف عن سابقتها في النظام المدني إذ كانت تستهدف بقاءه في الحكم وتدافع عن سيطرة النظام العسكري وتهيمن علي المجتمع المدني .

والجيش في استيلائه علي السلطة لم يستعن في الانقلاب بأي جهاز من أجهزة الحكم المدني التي كانت قبله ولا أية منظمة من المنظمات المدنية السياسية منها والاجتماعية ، مما أعطي النظام جوا من الثقة بنفسه والاستغناء الكامل والتوصل إلي أهدافه باستراتيجية رامية إلي الانفراد بالحكم العسكري ، وهذا مما مهد له الطريق للتخلص من المجتمع المدني ، واستبداله تدريجيا بمجتمع مدني آخر ذي طابع شبه عسكري من الناحية التنظيمية .

وقد استخدمت القيادة العسكرية الأيديولوجية الاشتراكية بدون أساس اقتصادي أو ثقافي في أرض الواقع ، رغم أن المصادر الثقافية العسكرية كانت مختلفة كالمثقفين

المدنيين حيث أن قسما من القيـادة العسكرية كانت ثقافتهم عربية وبعضا منها إيطالية ، والبعض الأخر أنجلوسكسونيا ، بينما ثقافة آخرين منهم مستمدة من الدول الشرقية وخاصة الاتحاد السوفيتي ، وأهم دوافعهم المشتركة الثقافة العسكرية بصرف النظر عن مشاربها المختلفة ولو أن الشعور بالإستياء من النظام المدني كان قاسما مشتركا بينهم وبين المدنيين نتيجة للأسباب المذكورة ، إلا أن معظمهم ينتمي بصفة خاصة إلي الطبقات الفقيرة (٥٢) .

المبحث الرابع : إحياء الإنتماء القبلي بعد الفشل في الحرب :

هناك إجماع بين الكتاب السياسيين علي أن الحكام الأفارقة يلجأون إلي استخدام العوامل الاثنية العرقية من أجل أحكام السيطرة علي السلطة ، وأن تشريع دائرة الأمن المحيطة بالرؤساء في غالبية الدول الإفريقية يؤكد هذا الأساس العرقي للحكم .

وفي البداية كان سياد بري قليل الاعتماد علي الانتماء القلي ، بل كان يسعي إلي الحد منه علي المستوي العام ، وربما يرجع ذلك إلي انتمائه إلي قبيلة ليست ذات وزن قيادي في المجتمع الصوالي ، ولكن عنصر العشائر ظل عاملا قويا وفعالا رغم حظرها رسميا ، والعشائر الصومالية التي يشار إليها خطأ علي أنها قبائل لاتكون جماعات عرقية منفصلة ، ولكنها تتكون من أفراد تربطهم ببعض صلة القرابة داخل إطار قومي من الثقافة واللغة المشتركة ، وبينما في الريف لاتزال هذه العشائر تمارس وظيفتها التقليدية من حيث تنظيم الحصول علي العشب والماء والتي تثير خلافات حادة وعنيفة أحيانات كثيرة ، فإنهم في القطاع البيروقراطي في الدولة أو قطاع الأعمال لازالوا مترابطين في كفاءة تمثل كفاءة المافيا .

ورغم تحريم القبلية علي المستوي الرسمي إلا أن الرئيس نفسه كان يعتمد سريا علي الروابط القديمة أساسا للحكم واستطاع أبناء عشيرته (الماريحان) أن يفوزوا بأكثر المراكز حساسية في الدولة ، وقد تشكلت دائرة السلطة الداخلية من ثلاث عشائر لكل منها أهميتها الخاصة ، فأكثر الوزراء نيلا لثقة الرئيس كانوا أبناء عشيرته (الماريحان) وبعد ذلك جاء أعضاء قبيلة صهر الرئيس زوج ابنة الرئيس ورئيس قوات الأمن القومي من قبيلة (طلبهنتي) أما الضلع الأخير من هذا المثلث فكانوا أخواله من (الأوغادين) وهؤلاء لهم وضع خاص نتيجة علاقتهم بالقوميين الأغاديين في إثيوبيا ، وهذه العشائر جميعا تنتمي إلي تقسيم أكبر وهو عائلة الدارود ، ومع أن النظام قد

حاول باستمرار ضم ممثلين من خارج الدارود ، إلا أن الكلمة السحرية كانت تعني داخل دائرة السلطة الحقيقية ، ولكن هذا الأمر كان يتم بصورة سرية ، أما ماهو معلن فكان معارضة العشائر ومحاربة كل سلوك قبلي .

ومنذ الأيام الأولي للثورة أظهر سياد بري خوفه من قبيلة الماجرتين ثم بعد مرور بعض الوقت بدأت المواجهة بينه وبين بعض أفرادهم علي أساس انتمائهم القبلي ، وهكذا عادت اللغة القبلية إلي الاستخدام في السياسة الصومالية ، وإذا كان بري قد لجأ إلي أساليب القبلية في التمسك بالسلطة ، فإن القوي الاجتماعية التي لم تنضم تحت جناحه قد عملت أيضا علي تأصيل وتخليد هذه اللغة في الممارسة السياسية ، ولقد شعرت العشائر الثلاثة التي دأبت علي احتلال الموقع الرئيسي للسلطة بأنها محرومة من حقوقها السياسية وهي : (الهاوية والإسحاقية والماجرتين) ، ولكن سياد بري استقطب من هذه العشائر الجماعات العرقية الضعيفة سياسيا والصغيرة حجما .

وإلي جانب اعتماد سياد بري علي العامل القبلي ، فإن هناك عوامل أخري قد ساهمت في تقوية النزعة العشائرية ، ومنها التجارة التقليدية مع العرب التي صادفت مشكلات في الحصول علي العملة الصعبة ، وفي ظل الاشتراكية العلمية ، فقد كان علي التاجر أن يعتمد علي القروض الشخصية ، وهو مايتطلب الثقة المتبادلة بين الطرفين تلك الثقة التي لايمكن أن تتوافر إلا بين الأقارب أو أبناء العشيرة الواحدة وأدي ذلك إلي إذكاء الروح القبلية .

ومن ناحية ثالثة فإنه إزاء الإحباط الذي أصاب الصوماليين من جراء فشل نظام الحكم العسكري المتمثل في الدولة ومؤسساتها ، لجأ هؤلاء إلي نظامهم القديم والمألوف ، وهو النظام العشائري الذي كان لايزال يتمتع بالقوة والاحترام لدي غالبية السكان من رحل وريفيين .

وإلي جانب تقوية الصراعات العشائرية ، فإن ممارسات النظام العسكري قد ساعدت علي أحياء الانقسام الإقليمي الذي كان سببا في سقوط النظام البرلماني السابق له ، فقد تزايد الشعور بالسخط بين أهل الشمال نتيجة لاستمرار تركيز كل الثروة والسلطة في الإقليم الجنوبي ، وهو ما أدي إلي تعميق الشعور بعدم احترام اتفاقية الاستقلال عام ١٩٦٠م ، والتي كانت محفوفة بالكثير من المشاعر الوحدوية من جانبهم ، وقد كانت المشروعات التنموية ومصانع تعليب اللحوم تشيد في جنوب ووسط الصومال إبان الحركة الإنشائية والعمرانية التي قامت بها الدولة بمساعدة السوفيت ،

بينما ظل الشمال يعتمد علي الجهد الفردي لأبنائه المغتربين في دول الخليج ، وتزامن هذا الخلل الجسيم في إدارة وتوزيع مشروعات التنمية مع ما أسماه الشماليون بعمليات تنظيف المناصب العليا في الإدارة والجيش من العناصر الشمالية ، ومن ثمّ فإن الأصوات المنادية بانفصال الشمال بدأت تجد آذانا صاغية .

وقد أدي اللعب علي أوتار الانتماء القبلي والانقسام الإقليمي من جانب النظام الحاكم إلي الاتجاه القوي المعارض له إلي الاعتماد علي الأصل القبلي لها ، وكان كل هدفها هو اسقاط نظام سياد بري ويدفعها إلي ذلك تركيزها علي عملية توزيع المناصب والمكاسب ، وليس الاتجاه إلي تدارس كيفية تحقيق التنمية في المجتمع الصومالي ككل ، ومن ثم فقد تحولت الصراعات القبلية إلي مرض أنهك الجسد الصومالي وفتت من قواه . وتعرضت الأمة الصومالية التي كانت يوما ما تفتخر باعتزاز بهويتها القومية إلي نكسة قومية خطيرة حولتها إلي فصائل متحاربة (٥٣) .

عوامل الانهيار الداخلية :

تعد العوامل الداخلية من أهم أسباب الانهيار المجتمع الصومالي والتي كانت نتيجة لاستبداد الأنظمة المدنية والعسكرية أيضا منذ الاستقلال ، وكما فشل الحكم المدني في الصومال فقد فشلت أيضا تجربة الحكم العسكري بقيادة سياد بري الذي اتسم بالفردية والسلطة المطلقة .

فالأسباب الأولي لانهيار مجتمعات العالم الثالث بوجه عام والصومال بوجه خاص ، هي الصراعات التي تنشأ بسبب مشكلة الحدود والتي تعتبر من أبرز مخلفات الخبرة الإستعمارية في إفريقيا والتي قسمت الحدود السياسية علي حسب مصالحها ومآربها الاستعمارية ، فقد ترتب علي ذلك تقسيم القبائل والشعوب التي تتحدث لغة واحدة دون اعتبار للتاريخ أو التقاليد المشتركة ، حيث أسهمت في خلق عدم الولاء القومي بين هذه القبائل وتغليب الانحيازات والولاءت العشائرية ، وعلي الرغم من امتلاك الصومال لسمات الشعب المتجانس ،فإنه لم يحقق وحدته الإقليمية التي قسمها الإستعمار في أواخر القرن الثامن عشر ، فالحكم المدني بعد الاستقلال تميز بالضعف الشديد والانقسام الحاد وغياب حرية التعبير عن القضايا التي تمس المجتمع ، وعدم التأكيد علي التعددية وتناول السلطة واحترام الخصوصيات واحترام الرأي والرأي المعارض وتبني وجهات نظر الأخرين والاستعداد لتقبل الحلول الوسط والتوفيقية ، فنجاح المجتمع المدني قائم علي ضرورة إرساء قواعد الثقافة المدنية والوعي القومي ، ولكن

التوجهات الثقافية التي سادت مرحلة الحكم المدني كانت تدور في فلك الأثنية والتحزب والانتماء القبلي والعشائري ، واستمرار هذه التوجهات السلبية التي تندرج تحت مفهوم المصالح الشخصية كانت كفيلة بإضعاف الحكم المدني والإنذار بتدخل العسكريين وكانت الانقسامات والصراعات الحزبية داخل المجتمع الصومالي هي التي أفضت إلي التدخل العسكري وانهيار التجربة الديمقراطية ، فتدخل العسكريين في الحياة السياسية يعد أحد ملامح عدم الاستقرار السياسي وعدم فاعلية الدولة في الشئون الداخلية ، وتحلل انهيار السلطة التنفيذية والمؤسسات السياسية ، وقد ارتبطت عمليات التحديث والتغيير بانتشار العنف وعدم نجاح الحكومات الوطنية في تحقيق الأهداف القومية العليا كالوحدة والنظام ونشر التحضر وتحقيق الرفاهية ، من هناك يكون النمط العسكري نموذجا جديدا لنظم الحكم بحيث يكون وجوده نتيجة طبيعية لغياب فعالية السلطة المدنية واحتياجه إلي جهاز قوي يفرض النظام ويخلق الشرعية ، وإن كان لايضيفها علي نظام الحكم ، وهذا الجهاز هو الجيش الذي يتميز بالتماسك والقوة ، فتدخل العسكريين في نظم الحكم ينبع من الضعف النيابي للمجتمع وانهيار السلطة ، حيث تثور خلافات بين أفراد الصفوة السياسية من المدنيين حول من الأولي بتولي السلطة السياسية ، وهذا الخلاف يؤدي إلي إقدام الجيش علي الاستيلاء علي السلطة حسما للخلاف وتجنبا للصراع الداخلي . فالانقلاب العسكري الذي قام به سياد بري كان من أجل محاربة الفساد والظلم الاجتماعي فهكذا صرح بري بعد الانقلاب ، حيث أكد أن تحقيق هذه الأهداف كان يحتم التدخل العسكري ، كما اقترنت هذه الأهداف بالوعود البراقة كالعدالة الاجتماعية وتحسين مستوي معيشة الفرد ، ولكن حكم سياد بري كان نوعا من الأسلوب العسكري الاستبدادي العسكري والانفراد المطلق بالسلطة ، وقد أدت ممارسات سياد بري السياسية علي الصعيد الداخلي والخارجي إلي انهيار المجتمع الصومالي ، حيث تحولت أرض الصومالي إلي مقابر جماعية منتشرة في جميع أرجاء الدولة وإلي قوافل عديدة تضم ملايين اللاجئين والمرضي من الأطفال والنساء والشيوخ فى انتظار الموت ، من هذا الوضع المأساوي كان لابد من التطرق إلي الأسباب الجوهرية لهذه المعاناة الإنسانية (٥٤) .

التفكك الاجتماعي :

إن عدم تماسك البنية الاجتماعية داخل المجتمع ، تعد أهم عوامل الانهيار الداخلي ، فالتركيب الهيكلي للمجتمع الصومالي يأتي في مقدمة العوامل التي حركت الحرب

الأهلية ، فالشعب الصومالي أحد الشعوب التي تتميز بالنظام القبلي والتكتلات القبلية في الحرب والسلام ، فالنزعة القبلية زادت خلال السنوات التالية الأولي من الاستقلال ، وقد ساعاد الاعتقاد بأنها أحد الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي أصابت الدولة الحديثة والتي دأب رجال السياسة علي التنديد بها ، فالشعب الصومالي يعاني من انقسامات قبلية حادة ، وعندما ألغي سياد بري الأحزاب عند توليه السلطة استمرت الطبيعة القبلية حتي في تكوين الجبهات المعارضة لحكمه ثم إن التقاليد الصومالية والطبيعية الرعوية للشعب الصومالي شكلا أهم عاملين اجتماعيين في بروز الأزمة الصومالية ، فعامل التقاليد تمثل في النظام الأبوي الذي يتأسس عليه المجتمع الصومالي حيث يولد التسلط من جانب سلطة القبيلة .

وهذا النمط يولد بدوره البعد عن الموضوعية والانسياق وراء المصالح والأحكام الشخصية الضيقة ، مما يمثل عائقا أمام الاندماج للوطن .

أما عامل الطبيعة الرعوية فإنها تدفع بالأفراد إلي التحرك الدائم وراء الكلأ ونتج عن ذلك عدم ارتباط الفرد ببقعة أرض محددة له فيها مصلحة دائمة واستقلاله عن بقية الجماعات الصومالية المتمثلة في القبائل الأخري والعشائر والبطون المختلفة والمتعددة ، وهذا النمط يؤدي إلي إضعاف الشعور بالانتماء الوطني ، لذا فإن الصراع في الصومال يعود إلي أسباب قبلية وخاصة ما اتسمت به شخصية سياد بري من عدم ثقته في أي فرد أو مؤسسة ، لذلك لجأ إلي من يتوافر فيهم الولاء الدائم ونتيجة لهذه السمة وضمان الولاء ، اعتمد سياد بري علي الانتماء القبلي ، وتوضح سياسة بري طوال فترة حكمة سعيه لتفتيت الانتماء العربي مع الاتجاه للغة اللاتينية وسعيه لتثبيت أركان نظامه استنادا إلي القبلية بتقريب بعضها واستبعاد البعض الاخر عن طريق سياسة (فرد تسد) إلي جانب أجهزة النظام الأمنية والأساليب القمعية الوحشية ضد الشعب الصومالي ، وهذه السياسة نتج عنها إحياء النزاعات القبلية العشائرية التي قادت المجتمع الصومالي إلي حرب أهلية دامية تعقدّت معها بنية الدولة وأعادتها إلي مرحلة ماقبل الاستقلال (٥٥) .

وإزاء الإحباط الذي أصاب الصوماليين من جراء فشل النظام الحاكم العسكري المتمثل في الدولة ومؤسساتها ، فقد لجأ هؤلاء إلي نظامهم التقليدي والمألوف ، وهو النظام العشائري الذي لايزال يتمتع بالقوة والاحترام لدي غالبية السكان المكون من الرحل والريفيين الذين يشكلون ٨٠٪ من السكان .

وقد جاءت الفصائل المعارضة لنظام سياد بري منذ أواخر السبعينيات ترسيخا للطابع القبلي والعشائري المميز للبنية الاجتماعية الصومالية ، وقد عكست هذه المعطيات حالة عدم الاندماج الوطني بإيجادها مصادر متجددة للصراع الداخلي ، ولاسيما العنف لدي مختلف الجماعات وتسبب في تكريس الانتماءات القبلية ، وبالتالي لم ينجح سياد بري في بلورة إطار قومي شامل يذيب هذه التكوينات والعشائر تحت لوائه ، بل ساعد علي إحياء هذه النزعات القبلية التي انتقلت إلي القوي المعارضة له ، والتي اعتمدت اعتمادا كليا علي الانتماء القبلي ، حيث تحولت من مجرد صَراعات مع السلطة لإسقاط نظام سياد بري إلي صراعات قبلية تبيد فيه القبائل بعضها بعضا ، وجعلت الأمة الصومالية التي كانت تحلم بوحدة أقاليمها الخمسة لاتستطيع أن تحمي وحدتها القديمة بين الشمال والجنوب منذ الاستقلال وتحول الصراع إلي إبادة جماعية تتسم بوحشية لا تبرر الأهداف المعلنة للحرب الدائرة ، فعلي الرغم من أهداف المعارضة في المرحلة الأولي كانت أهدافا قومية تمثلت في رفض الديكتاتورية والسعي لإقامة نظام ديمقراطي لإرساء العدالة الاجتماعية بين جميع الطبقات ، فإن المرحلة الثانية خلت من أية أهداف مبدئية وقومية ، ولكنها تمحورت حول أهداف شخصية وهي الاستيلاء علي السلطة ، فانقسم الشعب إلي تكتلات تبحث عن السلطة والنفوذ، وبطبيعة الحال كان علي كل فصيل أن يطلب العون والمساعدة من قبيلته لمحاربة الفصيل الأخر ، الأمر الذي أدي إلي تفاقم النزعة القبلية ونشوب الحرب الأهلية .

الإنحيار الاقتصادي :

تعد الصومال من أفقر دول العالم الثالث بسبب فقر البيئة والموجات الجافة-وندرة الثروة المعدنية ، ولكن العامل الأكثر تأثيرا في تدهور الاقتصاد الصومالي هو محاولة سياد بري في السبعينيات إعادة بناء الاقتصاد القومي وأزالة الفوارق الاجتماعية ، ولكن السياسات التي طبقت كانت أبعد ماتكون عن الوصول إلي تنمية اقتصادية وعدالة اجتماعية في توزيع الدخل القومي .

وكانت معدلات النمو لاتواكب المعدلات السريعة للزيادة السكانية ، فالدولة تركت قطاع الرعي في يد العائلات المسيطرة علي تجارته ، ورغم زيادة أسعار الإنتاج الحيواني وزيادة تصديره بعد الطفرة البترولية في الخليج ، إلا أن هذه الزيادة في موارد التصدير الحيواني ابتلعتها طبقة التجار ، ثم الدولة نفسها ، أما الرعاة المنتجون فقد عجزوا عن كسر التحالف بين الدولة وطبقة التجار .

لذلك فاندلاع الحرب الأهلية في الصومال كان من ضمن أسبابها هذا التدهور الاقتصادي والذي تمثل في سيطرة مجموعة خاصة علي الثروة القومية وإفلاس البنك التجاري ، وفروعه عام ١٩٨٩م ، وأيضا الإفلاس المقنع في بعض الهيئات العامة التي تفشت بكثرة في الصومال ، وظلت تلتهم الاقتصاد القومي لمصلحة بعض الأفراد والقيادات النفسية التي كانت مصلحتهم أقوي من مصلحة وطنهم ، وقد أدي تناقص فاعلية النظام الحاكم وسوء أدائه وفساده إلي تناقص شرعيته ، ومن ثم لجوئه إلي استخدام العنف والقهر وسيلة لإدارة البلاد .

عدم الاستقرار السياسي :

إن مفهوم عدم الاستقرار السياسي أكثر المفاهيم السياسية غموضا وتعقيدا ، فقد يعني هذا المفهوم عدم الاستقرار الحكومي ، أي التغييرات السريعة المتتابعة في عناصر الهيئة الحاكمة ، وقد يري البعض أن المفهوم يعني عدم استقرار النظام بمعني التحولات في الإطار النظامي للدولة ، مثل التحول من حكم مدني إلي حكم عسكري أو العكس ؛ وقد يزداد المفهوم اتساعا ليعاتف الصور المختلفة للعنف السياسي كأعمال الشغب والمظاهرات والاضطرابات والحروب الأهلية والحركات الانفصالية ، والواقع أن لجوء الجماهير إلي الشغب والمظاهرات يعكس السخط الشعبي علي السلطة الحاكمة وقراراتها ، بل وقد يعبر عن بداية لحركة عنفية للإطاحة بالسلطة كما أن الحروب الأهلية والحركات الانفصالية تعد أعنف صور عدم الاستقرار السياسي في الدولة التي تعاني من الانقسامات الداخلية الحادة ، خاصة عندما يعجز النظام القائم عن تسوية التوترات الناتجة عن هذه الانقسامات . فالحرب الأهلية في الصومال هي المرحلة العليا من مراحل عدم الاستقرار السياسي ، فقد تصور البعض أن التجربة الصومالية الحديثة في بناء الدولة بعد تولي سياد بري السلطة ستقلل من حدة الخلافات والصراعات القبلية في المجتمع الصومالي ، ولكن ماحدث من تصاعد العنف وعدم الاستقرار السياسي كان قد عكس كل التوقعات الإيجابية ، وذلك لعدة أسباب منها أنها خلقت تعايشا بين نمطين متناقضيين للإنتاج .

النمط الأول : النمط التقليدي القديم المبني علي القبلية بوصفه تقسيما اجتماعيا ونموذجه الإنتاجي ينصرف إلي الرعي والمقايضة .

والثاني : حضري ، ارتبط بأجهزة الدولة ومشاريعها وارتبط إنتاجه بكل من السوق المحلية والعالمية .

لم يكن أداء الدولة هو مزج هذا النمطين في إطار خطة واضحة للتنمية ، بل إن تدخلها عبر النمط التقليدي الأول قد اصطدم بزعماء القبائل في إطار عمليات تأميم الصادرات والواردات ، وأدي ذلك إلي دخول أجهزة الدولة في معركة مع شيوخ القبائل ، فقد أضيرت مصالحهم الاقتصادية وأوضاعهم الاجتماعية بفقدانهم لتجارتهم للماشية مع أسواق الخليج والسعودية ، وكانت النتيجة هي تماسك البنيان القبلي ، وعزلتها في الوقت نفسه عن أجهزة الدولة والحرب بالاعتماد علي تهريب الماشية وتجارتها مع الدول المجاورة . وبالنسبة للنمط الإنتاجي الثاني المرتبط بأجهزة الدولة ، فقد شابه خلل خطير من توزيع برامج وخطط التنمية (٥٦) .

الجيش والقبلية :

توغلت القبلية في أوساط القوات المسلحة التي كانت تمسك بزمام الحكم في البلد ، وصلت القبلية طريقها إلي ثكنات الجيش إلي أقصي الحدود ، وأدت تلك الظاهرة إلي فقدان الثقة والاحترام اللذين كانا بين العسكري والضابط ، ولم يكن هناك من ينفذ أوامر من هو أعلي رتبة منه ، ونتج عن ذلك ضياع الاحترام والانقياد المبني علي الرتبة ، وقد شكلت الحكومة في داخل الجيش جماعات موالية لها مثل ، مايسمي وحدات الحزب في القوات المسلحة ، وهذا يعني اتخاذ مواقف أكثر حذرا للحيلولة دون قيام الجيش بانقلاب عسكري ضد الحكومة.

ومادام الموقف قد وصل إلي هذه الدرجة الخطرة ، ولم تكن هناك ثقة بين أوساط الجيش ، والقبلية قد تعمقت في داخلهم وانتشرت بصورة كبيرة ، فقد نتج عن ذلك في نهاية المطاف نشأة جماعات مكونة من ضباط الجيش مبنية علي القبلية في داخل ثنكنات الجيش مما أدي إلي قيام جماعة من تلك الجماعة وهي قبيلة مجرتين بانقلاب عسكري وذلك في ١٩ ابريل ١٩٧٨م ، ولكن تم اجهاضه وألقي القبض علي كثير ممن كانوا وراء تدبير ذلك الانقلاب ، وتم إعدام (١٧) ضابطا منهم إلا أن بقايا تلك الجماعة قد فرت إلي إثيوبيا المتاخمة للصومال ، وهناك أسسوا جبهة معارضة مسلحة وهي الجبهة الصومالية الديمقراطية للإنقاذ بقيادة الكولونيل عبدالله يوسف ، وزدت تلك الفكرة إلي زيادة التشكك وانعدام الثقة إلي حد أبعد ، غير أن الموقف قد تحول من سيء إلي أسوأ عندما اتخذت الحكومة إجراءات تعسفية غير مسئولة ربما كانت أكثر بشاعة ضد الأقاليم التي ينتمي إليها المتمردون ، وأدت تلك العملية إلي زرع شجرة القبلية في تربة خصبة صالحة للزراعة علي العكس مما كان يتمناه الشعب الصومالي

من النظام العسكري ، وهو استئصال جذور تلك الشجرة اللعينة (٥٧) .

ويمثل الانفراد بالسلطة في المجتمعات القبلية التي تعاني من انقسامات اجتماعية رأسية قبلية ، فضلا عن الانقسامات الفئوية خطورة كبيرة ، فوجود تلك الإنقسامات يخلق اختلافات في المصالح والأهداف ، ومن ثم يصبح من الضروري أن يتبلور هذا الاختلاف في أشكال سياسية مشروعة تتولي نقد السياسة العامة للحكومة وتقدم مقترحات لخدمة المصالح القومية للبلاد .

والبديل الآخر لتلك السياسية وهو التسلط الفردي أو الحزبي أو القبلي الذي يودي بالضرورة إلي خلق فجوة بين الحاكم والجماهير ، تتسع تدريجيا وتولد الحركات السياسية السرية والفصائل العسكرية المعارضة ، وهذا ماحدث بالفعل في الصومال ، حيث لم يؤد الانفراد بالسلطة إلي أزمة اجتماعية وسياسية فقط ، بل تسبب أيضا في أزمة اقتصادية طاحنة (٥٨) .

لم يتكون بعد رأي مدني عام في المجتمع الصومالي في كل من النظام الليبرالي والنظام الذي أعقبه ، اللهم إلا في حالات تتعلق بالأراضي المحتلة ووحدتها تحت العلم الصومالي أوالدفاع الخارجي ، فكلما يظهر شعور مشترك لدي جماعة معينة في المجتمع الصومالي يصطدم بصخرة القبلية من تلقاء نفسه أو الحكومة هي التي نحيطه بضرب القبلية .

وهذا لايعني أن القومية ليست موجودة أصلا في المجتمع ، بل هي راسخة فيه رغم المحاولات لتفتيتها ومحاربة وجودها ، إنها تعطي للجماعة مجالا واضحا يستجيب للروابط العرقية ، كما أنها تعالج التاريخ القومي ليس علي أساس أنه شيء يحتوي علي اختبارات وتقاليد ، بل علي أساس أنه سيرة ذاتية قبلية للجماعة ، ومن ثم ينظر إلي هؤلاء الموجودين خارج هذه الدائرة القبلية سواء كانوا مقيمين داخل حدود الدولة أم خارجها ، فإن تقييم أوضاع المجتمع الصومالي ، يرجع إلي إعطاء الأسبقية التحليلية للآلية السياسية علي الآلية الاقتصادية والثقافية في تفسير المجتمع الصومالي بوصفه جزءا من منظومة مجتمعات العالم الثالث ، ويبرز هذا التصور علي اعتبار أن ماتعانيه هذه المجتمعات من التخلف لايرجع إلي التمايزات الاجتماعية الطبقية ولا إلي العامل الثقافي الأيديلوجي بصرف النظر عما صبغه لنظام الصومالي الشمولي ، بل يعود بالدرجة الأولي حسبما يري كثير من المحللين إلي كيفيات وأشكال توزيع السلطة والنفوذ الاجتماعي القبلي التي تشترط بدورها أشكال توزيع المراتب الآجتماعية

وقنوات الاستفادة المادية (الجانب المادي الاقتصادي) وكذلك المعرفة والقيم والرموز(الجانب الثقافي الأيديولوجي). ومالم يتمكن المجتمع الصومالي بعد من إفراز هيمنة طبقة من الطبقات (علي المفهوم الماركسي) فإن الدولة الحديثة العسكرية أصبحت في غمار الطبقة البديل الوظيفي لمختلف الفعاليات الطبقية الاجتماعية ، حيث تبرز الدولة في هذا الوضع بوصفها جهازا مركزا محتكرا وحده ومهيمنا علي كل الفئات والشرائح الاجتماعية بما في ذلك المجتمع المدني حتي أصبحت الدولة بمثابة محور القطب الجاذب في المجتمع برمته ، وتعد السلطة السياسية الممثلة في أجهزة الدولة بمثابة وسيط قومي بين الفرد ومختلف القيم الاقتصادية والثقافية أي كأنها تلعب دور المجتمع المدني ودور الدولة في آن واحد ، وعلي هذا فإن المحدد الرئيس لوصفية المجتمع المدني وكذلك الشرائح والفئات المختلفة الموجودة في المجتمع (بما في ذلك القبائل) يتحدد بالاقتراب أو بالابتعاد من السلطة ، كما أن المكانة التي تحتلها طبقة أوقبيلة في الدولة هي التي تحدد وضعيتها الاجتماعية ووضعيتها الاقتصادية أيضا ، إذ أن الصراع علي السلطة أصبح العامل الرئيسي والفاصل الذي يتحكم بكل فاعلية اجتماعية وقبلية في الصومال سواء كانت هذه الفاعلية فكرية أم مادية .

أما الأحزاب السياسية في المجتمع الصومالي في الفترة الليبرالية فلم تكن إلا طفرات سياسية تعيش علي هامش الحزب الرئيسي والأساسي ، وليست للأحزاب الأخري أية حياة ثقافية أو اجتماعية مستقلة ، كحزب وحدة الشباب الصومالي الذي هو الدولة ذاتها ، ناهيك عن الحكم العسكري الذي لم يسمح دستوريا بتعدد الأحزاب ويسيطر علي المجتمع المدني الذي يفقد نتيجة لذلك مكانته بوصفه وسيطا بين مؤسسات الدولة وبين المؤسسات العرقية القبلية (٥٩) .

تأثيرات العلاقات الغربية علي الحكم العسكري :

إن النظم الليبرالية في الدول الغربية وأمريكا لم تلعب دورا يذكر في التأثير علي نظام الحكم في الصومال لصالح الديمقراطية في الوقت المناسب ، فمثلا إيطاليا التي كانت لها علاقات تفضيلية وتقليدية كدولة مستعمرة سابقة مع نظام سياد بري ، وكانت تقدم مساعدة للصومال تعتبر أكبر حجما من أي مساعدة تقدمها إلي دولة في العالم الثالث ، بالإضافة إلي نفوذها التجاري والاقتصادي والمالي والثقافي ، وكانت للحكومة الايطالية الاشتراكية برئاسة (أغنور كراكس) علاقات ومعاملات مفضلة وتعاون مع سياد بري ، ولم تقم بصورة جدية بممارسة ضغوط كافية علي نظام الحكم في

الصومال لإدخال اصلاحات ديمقراطية في نظامه ، أما الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت الصومال تعتمد علي مساعداتها العسكرية والمدنية (تعد الصومال ثالث دول في إفريقيا تستلم مساعدات أمريكية ضخمة) فهي الأخري لم تمارس ضغوطا كبيرة علي نظام سياد بري كالتي مارستها ضد منجستو رئيس إثيوبيا وقطع مساعداتها العسكرية عن الصومال التي وصلت إلي ٤٠ مليون دولار لم تكن كافية في تغيير مسلك نظام سياد بري (٦٠) .

صراع نظام الحكم العسكري مع المعارضة :

لجأ سياد بري في مستهل الثمانينيات إلي أساليب مختلفة لتهدئة الأزمات علي النحو التالي :

أولا : كانت هذه الاساليب تتمثل في خطوات التوعية والتوجيه خلال اجتماعات جماهيرية لا انقطاع لها علي مستوي الحزب والمنظمات الاجتماعية والمثقفين بمختلف اختصاصاتهم ، وهو أسلوب تنتهجه غالبا الدول الاشتراكية ، أو التي تسير علي منهجها الأيديولوجي في مواجهات الأزمات ، وكانت هنالك تنظيمات نشطة من مختلف المؤسسات والمنظمات بقيادة الحزب لمواجهة وتهدئة الأزمات ، وكانت تبث هذه التوعيات والتوجيهات من حين لآخر في الإذاعة المسموعة والمرئية .

ثانيا : كان الرئيس يلجأ إلي تكليف بعض مسئوليه في الحزب والحكومة البرلمانية أن يقوموا بدورهم في مقابل البقاء في مراكزهم السياسية بجميع الوسائل المتوافرة لتهدئة قبائلهم المتمردة بما في ذلك الإغراء أو الرشاوي أو الوعد أو خلق الانشقاق والعداوة فيما بينهم تجنبا لخطر التوحد والتضامن بين القبائل أو العشائر المتمردة ، وهو أسلوب تقليدي موروث من الاستعمار والحكومات المدنية السابقة .

ثالثا : الترهيب الذي كان الرئيس نفسه يباشره ورجال الأمن وحرسه الخاص بمناسبات خاصة عندما كان الرئيس يلتقي مع قادة الجيش ليهدد عناصر متهمة منهم ، أو يقابل مثلا بعض رؤساء القبائل المتهمة بالتمرد والعصيان وماشابه ذلك ، وكان في بعض هذه المقابلات يقول : (أنا لن أتنازل أبدا عن الحكم ولا أحد يستطيع فوق الأرض أن يهددني أنا توليت الحكم بالقوة ولا أحد يستطيع أن ينجيني عن كرسي الحكم ألا بالندق ، فليعلم الجميع ذلك) ، وهذا أسلوب تقليدي أيضا كخطاب سلطوي أبوي وقد سماه أنصاره (أبوالعلم) (أبه غرشد باللغة الصومالية ، وفي الوقت نفسه كان الرئيس يتبع أسلوبا مناقضا لذلك في تهدئة الأزمات ، حيث كان يمارس إجراءات

قمعية وصارمة إلي أبعد الحدود حتي في ظروف لاتستدعي القسوة ، حتي يكون ذلك عبرة للآخرين ، وتطور هذا المسلك إلي أسوأ درجاته من العنف وإراقة الدماء البريئة ، وشجع هذا العناصر المؤيدة للنظام وقوات الحكومة إلي إرتكاب جائم بشعة لم يعرفها تاريخ الصومال عبر العصور ، وهذا مما ولد العنف المضاد من معارضي النظام وسلكوا نفس المسلك في صراعهم ضد نظام سياد بري وأنصاره (٦١) .

قام سياد بري بالتحريض علي قيام الحروب الأهلية بين القبائل فمثلا عام ١٩٨٢م حرض سياد بري علي قيام حرب أهلية بين قبيلة هيريونس إحدي فروع القبائل الإسحاقية وقبيلة الأوجادين والذي قتل فيها عدد كبير من الناس من كلا الطرفين ، فكانت قبيلة أوجادين تجد الدعم والمساندة من حكومة سياد بري ، بينما تجد قبيلة هير يونس الدعم من قوات المعارضة الحركة الوطنية الصومالية وبعد ثلاث سنوات من هذا الحرب اندلعت ايضا حرب أهلية أخري بين قبيلة أوجادين وقبيلة (عيد قلي) إحدي فروع القبائل الإسحاقية وكلفت هذه الحرب خسائر مادية وبشرية .

ومرة أخري اندلعت حروب أهلية بين قبيلة (هيبرجعلوا) إحدي فروع القبائل الإسحاقية وقبيلة (طلبهنتي) إحدي فروع القبائل الدارودية ، وكل هذه الحروب الأهلية كان من تدابير الحكومة العسكرية الصومالية ، حيث أحيت التنافس القبلي البائد بعد فشلها في تحقيق تقدم يذكر في المجالات التي وعدت بها ، لذا قام سياد بري لتثبيت الحكم في يديه بإشغال المجتمع بالعصبيات القبلية (٦٢) .

أعاد سياد بري بعد الحرب الإثيوبية الصومالية النظام القبلي إلي واقع الحياة الصومالية التقليدية القبلية والتي حرمها في بداية ثورته واتخاده النظام الاشتراكي مبدأ قوميا يوحد وتنصهر تحته كل القبائل الصومالية ، إلا أنه أدرك جديا موقف المجتمع الصومالي المبني علي القبلية والعصبية والترابط العشائري من جميع نواحي الحياة ، وحتي تكافلهم الاجتماعي ومساعدة بعضهم البعض عن طريق الانتماء والقربي ، وحتي المغتربون في الدول العالم يسكنون في الأحياء علي نظامهم العشائري مثل إقامتهم في داخل البلاد ، وتكون المساعدة بينهم علي أساس رابطة الدم ولس علي أساس القومية الصومالية .

لذا كان سياد بري يعقد المؤتمرات القبلية وأحيا نظام السلاطين وزعماء القبائل مرة أخري وقادهم إلي الساحة السياسية الصومالية ، فكان يعتمد علي السلاطين لتهدئة الأوضاع والاضطرابات القبلية والسخط القبلي تجاه النظام الحاكم ، فأصبح زعماء

القبائل مسيطرين علي الساحة الصومالية بعد أن ظلوا بعيدين عنها قرابة عشر سنوات ، وأصبح السلاطين وزعماء القبائل يركزون علي مصالحهم القبلية لا علي مصلحة البلاد .

السلسلة الشعرية الدالية (Deelay)

في أواخر السبعينيات عام ١٩٧٩م بدأ الشاعر الصومالي المشهور الأستاذ محمد حاش قاري بسلسلة شعرية ، وهو (هبر أول) إحدي فروع القبائل الإسحاقية ، وهو يتهم نظام الحاكم بميله إلي قبيلة معينة هي قبيلة الدارود ، واشتكي من عدم عدالة النظام ، وهي سلسلة مشهورة بالداخلية ، ومن الشرط الأساسي لكل شاعر يدخل هذه السلسلة أن يلتزم فيها بحرف الدال ، وتجاوب عدد كبير من الشعراء الصوماليين معه في ذلك ، وتمثل هذه السلسلة دور القبلية في الساحة السياسية الصومالية ، وظهرت في وقت سيطر فيه الوضع القبلي علي الحياة الصومالية ، واعتمد سياد بالنظام القبلي القديم ، وتواصلت هذه السلسلة قرابة سنة حتي أوقفها الرئيس :

١- ثم تناول هذه السلسلة مجيبا لمحمد حاش قاري الشاعر أحمد فارح (إذا جاء) وهو من قبيلة (ماريحان) إحدي فروع القبائل الدارودية ، وهو ناقد أدبي كان يذيع برنامج الأدب الصومالي ونقده في إذاعة مقديشو قال في قصيدته في ١٥ ديسمبر ١٩٨٠م .

الشجرة التي حاولت
أن تسقطه هي كبيرة السن
ولايقطعها فأس واحد
ويحرسه شبان كثيرون من الأخطار والعدو

ويقصد من ذلك أن سياد بري شخصية كبيرة ونظامه قوي لا تؤثر فيه الرياح والأقاويل وتحرسه قبيلته ، وهي قادرة علي الدفاع عنه وإليك نصه :

Damal kaad istidhi lagad
ku hamiday in uu dumo
Duq gabooday weeyo
gudin qudhi ma damaqdoo
Duul barbaari naayaa
Diraac iyo dayr
ladultaagan dheefiyo

biyo uu ku dororiyo

Dacalada uu kufidaiyo

Dibindaabo gaadhiyo

duulaan ku baxaiyo

Docawga ka dhawroo

waligoo dba daafaca

٢- ثم عاد مرة أخري محمد حاش قاري مجيبا لشعر أحمد فارح إذا جاء في ١-١-١٩٨٠م وقال في أبياته :

إذا عولج الحرج من فوقه

ولم ينزل العلاج والدواء إلي الجرائيم الداخلية

لايوجد الدواء المناسب لهذا العلاج

وإذا عادت القبلية مرة أخري

فإن اليد التي حاولت مسحها كانت محتاجة إلي سمن وزبد

ويقصد من شعره إذا قام الأطباء بعلاج الجروح ولم يصل الدواء إلي الجرح بالصورة المطلوبة فإن الجرح لايلتئم ولايشفي ، ومعناه أن سياد بري لما حرم القبلية والقبيلة لم يأت بعلاج شامل وحقيقي بل كان تضليلا ، لأنظار المجتمع الصومالي القبلي وإليك نصه :

Ducada hada Ika meelehe

Dusha boogta laga dhyao

Aan milika loo dagin

dawadeeda lama helo

Darbadii qdiil kiyoHaduu doogtay Nabarkii

Gacantii wax duugtaay

Dufan badd ubaahnayd

٣- ثم تناول بعده عبدالقادر حرس يمم شاعر الثورة ، وهو من قبيلة (ماريحان) إحدي فروع قبيلة الدارودية في ٧-١٩٨٠١م وقال في أحد أبياته:

لم يقتل عجوزة القبيلة

مامات ولم يدفن

فيه تقاليد ترفض ذلك
ولديها شعب مطيع
ويوجد نظام حاكم مرن في البلد
فيه أغاني وطبول مساعدة للنظام

ويقصد من معـاني القصيدة أن شيخ القبيلة وهو سياد بري لم يصب بأذي ولم يمت ، وعندنا تقاليد وعادات ترفض تناول مثل هذه المواضيع ، وأن النظام الحاكم في البلد نظام مرن يسع كل القبائل ويتمتع الشعب فيه بحرية تامة وأن لنظام سياد بري أشياء كثيرة تساعده بما فيها الحماس الجماهيري والتصفيق والطبول والأغاني الحماسية ولديه شعب مطيع وإليك نصه :

Duqdii Reekra lama dilin
lama doogin manadhiman
Dhaqan diidanbaa jira
Duul rumaysan baa jira
Maamul dabacsan baajira
Durbaan caawiyaa jira

٤- ثم دخل بعده الأستاذ المخضرم الشاعر الأستاذ يوسف حاج آدم في ١٤/١/١٩٨٠م وهو من الذين أسسوا التعليم النظامي الحديث في الصومال درس في السودان ، وتخرج ببخت الرضا عام ١٩٢٨م مع الأستاذ محمود أحمد علي أبوالتعليم في الصومال شقيق عبدالرحمن أحمد علي رئيس الحركة الوطنية الصومالية ، والأستاذ الشاعر يوسف حاج آدم صاحب الأغنية الشهيرة (استيقظي ياصومال) (صوماليا توسوا أسك تبرسطي) باللغة الصومالية والتي أصبحت بعد الاستقلال شعارا لجمهورية الصومال حيث نظمها عام ١٩٤٨م ، وهو من قبيلة هيريونس إحدي الفروع القبائل الإسحاقية وقال في أبياتها :

المجرم الذي كان بالأمس بلا مأوي
ويأتي بأشياء بعيدة عن المنطق
ويقوم بالتقسيم غير العدل

ويقصد ذلك أن سياد بري يبتعد عن الحقائق ويركن إلي القبلية الضيقة والعشائرية وحكمه بعيد عن التقسيم العادل للسلطة بين القبائل وإليك نصه :-

Kaw waxaa danbiile ah

Ninka shelay dibjirka ahaa

Ed maanta diide ah

karaaniga dukaankio

Hadba debaqd jjexdee

Dilaalk iyo malaalkee

٥- ثم انخرط في هذه السلسلة الشاعر ياسين أحمد نور ، وهو من قبيلة (طلبهنتي) إحدي فروع القبائل الدارودية في ١٩٨٠/١٠/١٧م ، ويقول في أبياته:

كنت أعتقد أن القبلية مأساة

ومعاناة ودودة تسيء المجتمع

متي جعلها الناس كشجرة ذات ظل وافر

في مكان خصيب وتعلوها زهور

وهو يرفض القبلية والتعصب ، وشعره جواب للشاعر أحمد فارح (إذا جاء) الذي وصف سياد بري وحكمه كشجرة ذات ظل وافر يحميها شبان وشيوخ قبائل الدارود ، ويصف القبلية أنها تؤدي إلي التخلف وأن العالم تجاوز مرحلة القبلية والعشائرية ، وهي نظريات بائدة لا وجود لها في العالم في الوقت الحاضر ، ويقول في نصه :

Dar elee gabiilkaba

Duumiyo xanunniyo

Duufiyo xumaysiyo

Dixi baan u haystee

Hadmaa damal hadhweyn

Dooliyo kuyall hawad

Kumariiman d oogoo

Ubar daahay lagadhigay

٦- وبعده تناول هذه السلسلة الشاعر محمد نور شريعو ، وهو من قبيلة (ماريجان) إحدي فروع القبائل الدارودية ، وهو من مؤيدي الثورة العسكرية ، وبدأ الشعر في ١٩٨٠/١/١٤م ويقول في أبياته :

القبيلة التي أثرتم

لماذا لم تبعدوا ألسنتكم عنها
أشياء دفنت منذ زمن بعيد
ونسي المجتمع الصومالي
لا تذكروه مرة ثانية
وابعدوا شفاهكم منها
ولاتجرحوا الدستور
ولا تثيروا جدلا من عدم

ويقصد من شعره إلي عدم التحريض وإثارة الفتنة القبلية التي تسيء المجتمع ودفنت الحكومة العسكرية ، ويصيغ شعره كتهدئة للوضع القبلي الساخن آنذاك وإليك نصه :

Qabiika aad kudusheen
Carabka maad ka
dausaan
Wax la duugay waahore
Dadwaynuhu halmaameen
Ha daydayina maantoo
Dib yaan loo xishoodoo
Hadam qina dis toorkoo
Doodaan jirin ha kieinina

٧- ثم تناول بعده محمود عبدالله سنجب في ١٩٨٠/٢/٢٠م صاحب المسرحيات الشهيرة مثل الدنيا مسرحية والناس ممثلوها). وهو من قبيلة (أوغادين) إحدي فروع القبائل الداردودية ويقول في قصيدته :

إذا كانت الحكومة امرأة
لطلقتها بثلاث طلقات
لأنها هي عين الحماقة
الناس متساوون فيها

يقصد من شعره أن الحكم ومناصب الرئاسة في هذه الحكومة والثروة والمجتمع الصومالي متساوون فيها ، وماكان ينبغي أن تكون كذلك وإليك نصه :-

Haday maanta dumar tahy

seddexdii dalaa qood

mimna uma daayeen

maxaan yeelay wadoqon

Dadku waa u simanyay

٨- ثم تناول بعده الشاعر حسن عبدالله (قني) صاحب المسرحية الشهرية حرر غرب الصومال في ١٩٨٠/٣/١م ، وهو من قبيلة (هبر أول) إحدي فروع القبائل الإسحاقية ، وهو متقن اللغة الصومالية واستخدام ألفاظها القديمة والركيكة ويقول في بعض أبياته :

القبلية ليس لها سند شرعي

يغضبها أناس شعراء إذا سمعوا

أهم مساعدو الشيخ (الرئيس)

ومعاونوه وحاشيته وظهره.

وهو يقصد أن القبلية شيء سيء وبعيدة عن المنطق السليم وضد الحضارة العالمية وضد القوانين الشرعية الدولية ، ولهذا يوجد بعض الشعراء المؤيدون للرئيس إذا سمعوا هذا الكلام يغضبون ويثورون أهم مؤيدوه أي سياد بري وقبيلته وجوره وإليه نصه :

Dugsi male qubyaaladi

qaar baa ka dida yee

Duqa maw malxiisbaa

Maw daanyo qaadbaa

٩- ومن بعده تناول الشاعر محمد إبراهيم ورسمة (هدراوي) أمير شعراء الصومال ، وصاحب المسرحيات والأغنيات والأشعار الشهيرة مثل أغنية (الأم) (هويولانتا) وهو شاعر عالمي يمثل المؤتمرات الأدبية العالمية لدي الصومال ، واتفق شعراء الصومال علي أنه أمير الشعراء في الصومال ، واعتقله سياد بري كثيرا ، ولكنه أخيرا نجا من الحبس وهاجر خارج البلد وأصبحت كلماته وأشعاره مثلا من الأمثال الصومالية يستدل بها الصوماليون في قضاياهم ، وهو صاحب الديوان الشهير (هلكران) وهو فيلسوف .. واسع الخيال .

وهو من قبيلة هيرجعلوا إحدي فروع القبائل الإسحاقية ويقول في إحدي أبياته :

إذا كانت المجاعة اختيارا

وجدارا قوي الأركان
والفقراء والمحتاجون
مستلقون علي قفاهم
أن تنتهي القبلية
وأن تهدم فلا تنتظروا
فهل يوجد ناس يرفضون القبلية ؟
والاستقرار والعيش المطمئن ؟
الذي يريد ذلك
فإنه يوجد طريق يسلك المهتدي إليها

ويقصد من شعره إذا كان المجتمع منقسمين إلي طبقات وقبائل يتمتع بعضها بامتيارات وسيطرة علي مراكز الحكم وسيادة الدولة ، وباقي القبائل محتاجون ومعدومو الحرية فلا ينتظر الشعب أن تنتهي القبلية وينسي المجتمع الصومالي ، وإليك نصه :"

Inta gaajo doortahay
Darbi tahay laxaad wayn
Dufun jecelta ururtiyo
Diga leefta taraa tee
Waxa yall daldalayaan
Danyarta iyo saboolkiyo
Digaraaro jiifan
Dadku kala sareeyaan
In qabillku dabargo,o
Ama dumo ha eegina
ma cid diidan ba jira
Tegenaanta Nolo shiyo
Darartiyo samaanana
Ninkii doonayaw taa
Daw loo maraa jira (63)

تواصلت هذه السلسلة من نهاية عام ١٩٧٩م وبداية عام ١٩٨٠م ، وأثارت ضجة كبيرة في أوساط البلد والمجتمع الصومالي ، وهزت أركان الدولة ، وشارك عدد كبير من الشعراء حوالي بضع وثلاثين شاعرا ، ولكن الباحث لم يعثر علي البقية ومن أسماء بعض المشاركين عبد ايدان فارح ، وأحمد ياسين (ديك) علي سحلوا إبراهيم قدلي ، علي سليمان بدي ، علي حسن روديلي ، والمطربة سادو علي ورسمة وأخرون .

وأخيرا تدخل الرئيس سياد بري وحرم تناولها قانويا واستماعها في أماكن تجمع القبائل ، ولذلك توقفت خلال سنة واحدةفقط . ويوجد بين الشعراء كثير من المتعلمين والمثقفين وبعضهم خريجو الجامعات ، ولكن الأثر الثقافي والتقاليد الصومالية وأثر البيئة علي أنفسهم ، أدي إلي تقوقعهم في أحضان القبلية ، بل سلكوا نفس طريق سياد بري لإذكاء القبلية بين أوساط المجتمع الصومالي وأن قبائلهم مظلومة ، وكل شاعر يدافع عن قبيلته وأحقيتها في السلطة وقيادة البلد .

هوامش الفصل الثالث :

١- د. علي الشيخ أحمد أبوبكر : الصومال وجذور المأساة الراهنة ص ٢٣ ط الأولي ١٩٩٢م ، دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت.

٢- عميد أح محمد فريد : صفحات من تاريخ الصومال مرجع سابق ص : ١٠

٣- لويجي يستالور : الثورة الصومالية ،ترجمةإبراهيم العريس ص : ٣٥ ط الأولي ١٩٧٥م ، بيروت لبنان

٤- نفس المرجع السابق ص : ٦٧

٥- د. محمد علي توريارى المجتمع المدني والتحول الديقراطي في الصومال مرجع سابق ص ٦١ - ٦٣

٦- لماذا اخترنا الاشتراكية ص : ١٣ الناشر وزارة الإعلام والإرشاد القومي اكتوبر ١٩٧٥م مقديشو

٧- د. علي الشيخ أحمد أبوبكر الصومال وجذور المأساة مرجع سابق ص : ٣٠ - ٣١

٨- نفس المرجع السابق ص : ١٢٨ - ١٢٩

٩- د. حسن مكي محمد أحمد : السياسات الثقافية للصومال الكبير مرجع سابق ص : ١٧٨

١٠- د. علي الشيخ أبوبكر : جذور المأساة ، مرجع سابق ص : ١٢٤ - ١٢٥

١١- نفس المرجع السابق ص : ١٣٥ - ١٣٦

١٢- د. محمد علي توريارى : المجتمع المدني ، مرجع سابق ص : ٦٦ - ٦٧

١٣- جاك وويز : الجيوش والسياسة ترجمة عبدالحميد عبدالله ص : ٩٨ - ٩٩ ط العربية الأولي ١٩٨٢م بيروت لبنان

١٤- عميد أ.ح محمد فريد : صفحات من تاريخ الصومال ، مرجع سابق ص : ١١٨

١٥- نفس المرجع السابق ص : ١٠٢

١٦- نفس المرجع السابق ص : ١٠٣

١٧- نفس المرجع السابق ص : ١٠٨

١٨- د. محمد علي توريارى : المجتمع المدني مرجع سابق ص : ٦٤

١٩- السياسة الدولية دورية فعلية علمية تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الإهرام أوائل يناير ابريل اكتوبر العدد ١١٢ تحت عنوان انهيار الدولة في الصومال د. نجوي أمين ص : ١٣

٢٠- لادي وشعبي جمهورية الصومال ، خطب مختارة لرئيس المجلس الأعلي للثورة اللواء : محمد سياد بري ص : ٤٠ - ٤١ الناشر وزارة الإعلام والإرشاد القومي مقديشيو اكتوبر ١٩٧٥م

٢١- نفس المرجع السابق ص : ٨٨

٢٢- د. محمد علي توريارى : المجتمع المدني ، المرجع السابق ص : ٦٨ - ٧٣

٢٣- المسح الشامل ، مرجع سابق ص : ٦٥٠ - ٦٥٢
٢٤- الحرب ضد القبلية وشرورها في بلادنا ، جمهورية الصومال ، وزارة الإعلام والإرشاد القومي ، ص : ١٣٠ ط ١٩٨٣م المطابع الحكومية مقديشيو
٢٥- أحمد برخت باح : وثائق عن الصومال والحبشة ، واريتريا ، مرجع سابق ، ص : ٣٩٤
٢٦- الحرب ضد القبلية وشرورها في بلادنا : مرجع سابق ص : ١٠ - ١١
٢٧- بلادي وشعبي مرجع سابق ص : ١٢٤
٢٨- نفس المرجع السابق ص : ١٢٣
٢٩- نفس المرجع السابق ص : ٢٠٩
٣٠- نفس المرجع السابق ص : ٢٦٢
٣١- نفس المرجع السابق ص : ٢٧١
٣٢- د. علي الشيخ أحمد : الصومال وجذور المأساة ، مرجع سابق ص : ١١٨
٣٣- خالد محمد رياض : الصومال الوعي الغائب ص : ٧٥ - ٧٧ ط الأولي ١٩٩٤م دار الأمين القاهرة .
٣٤- السياسة الدولية دورة فصلية علمية ، مرجع سابق ص : ١٢
٣٥- مجلة البحوث والدراسات العربية ص : ٢١٤ - ٢١٦ العدد ٢٦ ديسمبر ١٩٩٦م في موضوع آثار القبيلة في السياسة وآثار السياسة في القبيلة ، أحمد محمد توري ، ترجمة أحمد دربيه غالب ، وحسن محمد عول
٣٦- د. علي الشيخ أحمد ، الصومال وجذور المأساة ، مرجع سابق ص : ٤٢
٣٧- السياسة الدولية ، مرجع سابق ص : ١٦
٣٨- Louis fitzgibbon , the Betrayal of the somalia p. 54 first p. 1982
٣٩- Hussein Ali Dualeh: form barre to Aidid p. 93 first p. 1994 Neirobi Ken-
٤٠- Ibid p. 93 /ya
٤١- Ibid p. 94 - 96
٤٢- د. علي الشيخ أحمد الصومال وجذور المأساة ، مرجع سابق ص : ٢٠١ - ٢٠٣
٤٣- Hussein Ali Dualeh from Barre opcit p. 96
٤٤- د. عي الشيخ أحمد ، الصومال وجذور المأساة مرجع سابق ص : ١٩٨
٤٥- Hussein Ali Dualeh: From Barre opcite p. 97
٤٦- د. علي الشيخ أحمد : الصومال وجذور المأساة ، مرجع سابق ص : ٢٢١ - ٢٣٢
٤٧- السياسة الدولية ، مرجع سابق ص : ١٦ -١٧
٤٨- خالد رياض : الصومال الوعي الغائب مرجع سابق ص : ٧٩
٤٩- د. محمد علي توريازي : المجتمع المدني ، مرجع سابق ص : ٧٩ - ٨٣

٥٠- نفس المرجع السابق ص : ٨٤ - ٨٨
٥١- نفس المرجع السابق ص : ٨٨ - ٩٠
٥٢- نفس المرجع السابق ص : ٥٩ - ٦٠
٥٣- السياسة الدولية ، مرجع سابق ص : ١٤ - ١٥
٥٤- خالد رياض : الصومال الوعي الغائب ، مرجع سابق ص : ٨٥ - ٨٦
٥٥- نفس المرجع السابق ص : ٨٩ - ٩٠
٦٥- نفس المرجع السابق ص : ٩١ - ٩٧
٥٧- مجلة البحوث والدراسات العربية ، مرجع سابق ص : ٢١٧ - ٢١٨
٥٨- مجلة المستقبل العربي عدد ١٧٣ ، ١٩٩٣م ص : ٢٠ القاهرة يصدرها مركز ودراسات الوحدة العربية
٥٩- د. محمد علي توريارى المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الصومال ، مرجع سابق ص : ١٠٤ - ١٠٥
٦٠- نفس المرجع السابق ص : ١١٣ -١١٤
٦١- نفس المرجع السابق ص : ١٢٩ - ١٣٠
٦٢- David laitin and said S. samater
somali Nation in search of a state p. 161p. 1987 U.S.A
٦٣- محمد حاشي قاري : شريط كاسيت سجله عام ١٩٨٠م

الفصل الرابع
تفكك الجبهة الداخلية الصومالية

المبحث الأول : قيام المعارضة المسلحة علي أساس قبلي :

كانت الهزيمة في حرب الأوغادين هي التي فجرت موجة من النقد لنظام الحكم العسكري وممارساته ، وكان قادة الجيش هم أول من انتقدوا سياد بري ، فقام بإعدام عدد كبير منهم في أعقاب محاول الانقلاب الفاشلة في ابرايل ١٩٧٨م ، وفر الباقون منهم إلي نيروبي ، ثم إلي أثيوبيا مكونين أولي جبهات المعارضة لحكم سياد بري ، وهي جبهة الخلاص الديمقراطي الصومالي (SSDF) وقد شارك مع هؤلاء الضباط بعض من العناصر المدنية من (المرتين) من السياسيين السابقين وقوات رجال الإدارة والتجار وهي حركة تمثل مصالح قبيلة (المجرتين) فقط .

وفي إبريل ١٩٨١م قام عدد من المهاجرين الإسحاقيين في لندن بتكوين الحركة الوطنية الصومالية (SNM) فأصبحت ثاني حركات المعارضة التي تعتمد علي الأصل القبلي وقد منحتها اثيوبيا قاعدة في أراضيها ، وفي عام ١٩٨٢م تم التحالف بينها وبين جبهة الخلاص (SSDF)ومنذ ١٩٨٣م بدأت الحركة الوطنية الصومالية في إرسال الكوماندوز إلي داخل الصومال لتنفيذ عمليات هجومية ضد المواقع الحكومية ، وعلي الرغم من انتقادهم لسلوك سياد بري غير الإسلامي وغير الديمقراطي لكل شعب الصومال إلا أنهم ظلوا مجرد حزب للإسحاق .

ومن ناحية أخري فإن الحكومة اوقفت نمو أي شعبية لهذه الحركات بعد أن عاملت الأقاليم الموالية لهم بالحديد والنار وخاصة الإقليم الشمالي ، بل إنها فرقت في المعاملة بين قبائل الشمال بهدف إثارة الفتنة والفرقة بين صفوفهم .

ومن ناحية ثالثية فإن نظام الصومال تصالح مع ليبيا في عام ١٩٨٥م فأوقفت مساعداتها لكلتا الجبهتين ، هذا بالإضافة إلي تلقي الحكومة الصومالية دعما من الولايات المتحدة ومصر وجنوب إفريقيا .

ومن ناحية رابعة فإن جبهات المعارضة افتقرت إلي النظرية المتكاملة إلي الوصول الي السلطة ومابعدها ، وعانت من اختلافات بين أعضائها في الأفكار والاستراتيجيات العامة وتركزت عقيدتها الأساسية حول ازاحة سياد بري من الحكم .

وبالرغم مما سبق فإن حالة عدم الاستقرار السياسي قد ظلت تتصاعد وبخاصة في أعقاب حادث انقلاب سيارة بري في مايو ١٩٨٦م ، حينما اضطر إلي مغادرة البلاد للعلاج في الرياض لمدة خمسة أسابيع فاعلنت حالة الطوارىء تحسبا لإحتمالات لاستقلال الموقف وكذلك تقدم سن الرئيس سياد بري وتطلع الشعب لقيادة جديدة ، ومنذ ذلك الحادث فإن سياد بري لم يعد قادرا علي استعادة سيطرته علي السلطة بلا منازع لعدة أسباب كان أهمها احتدام الصراع علي من سيخلفه في الحكم ، فقد آثار تولي ابنه الحكم مؤقتا حفيظة العديد من آقاربه ، وصارعه علي السلطة ابن عم سياد بري عبدالرحمن جامع بري وزوج ابنته أحمد سليمان دفضلي ، وشارك في هذا الصراع وزير الدفاع محمد علي سمتر ، وفي هذا الصراع كان عنصر العشائرية قويا وفعالا ، حيث اكتسب الماريحان عداوات كثيرة وثارت شكوكهم حول متي سيتحول الحكم إلي عشيرة أخري ؟ وفي أعقاب الحادث وماتبعه من صراع علي الحكم ، عقد سياد بري عزمه علي تصفية من يمكن أن يحل محله ، فقام بإبعاد عدد من أعضاء اللجنة المركزية للحزب الواحد SRSP كما أحال عدداً من السياسيين ورجال الدين الممثلين للتيار الأصولي في المعارضة ، وكان معظم هذه العناصر من أهل الشمال ، وبعد ذلك أصبح الصراع علي السلطة محصورا داخل دائرة الرئيس الضيقة بين مايعرف باسم الدستوريين، ويقودهم محمد علي سمتر الذي تولي رئاسة الوزراء بين الأسرة الحاكمة التي تضم مؤيدي مصلح سياد بري ابن الرئيس وهكذا بدأ التحالف داخل الدائرة السحرية للسلطة في التفكك في مستوياته العليا .

وقد أدي تزايد عدم الاستقرار السياسي إلي سعي سياد بري للاتفاق مع إثيوبيا وعدم المطالبة بالأراضي الصومالية المتنازع عليها ، ولذلك وقعت الدولتان اتفاقية عم اعتداء في إبريل ١٩٨٨م وبذلك فقدت أقوي حركات المعارضة المسلحة (الحركة الوطنية الصومالية) التأييد الرسمي الإثيوبي ، لذلك شقت الحركة طريقها حربا إلي شمال الصومال في هرجيسا ، بربرا ، برعوا عيرجابوا ، وكانت النتيجة حمامات واسعة من الدم ، واشتعلت الحرب الأهلية حيث تقدمت القوات الحكومية وقصفت هرجيسا وبرعوا جوا وكل المدن الشمالية وبالمدفعية الثقيلة ، وفي غضون أيام تركت ثاني أكبر مدن الصومال حطاما بعد أن دمر أكثر من ٨٠٪ من أحيائها وفر سكانها إلي أثيوبيا ، وفي هذه الأونة أصبح الإقليم الشمالي كله بلا قانون يحكمه ، واستعاد النظام الحاكم قبضته علي المدن المحطمة ، وفرت قوات الحركة الوطنية إلي المناطق

الريفية والمناطق الجبلية المحيطة بالمدن لتزيد الحياة سوءا هناك ، ولكن المواجهة الدموية لم تقتصر علي الإقليم الشمالي ، بل امتدت إلي الجنوب بعد أن نشأت الحركة القومية الصومالية (SPM) عام ١٩٨٩م وكان أعضاء هذه الحركة إلي وقت قريب جزءً من الجيش الصومالي وهم أصلا من عناصر الأوغادين (١) ، والذين عارضوا سياسية سياد بري القبلية المصلحية بعد تنازله عن إقليم الأوغادين لإثيوبيا أدركوا أنهم تعبوا في فراغ . وقد انتشرت المظاهرات احتجاجا علي امتهان حقوق الإنسان والتضخم والبطالة وكان أشهرها مظاهرة يوم الجمعة الأسود في ١٤ يوليو ١٩٨٩م الذي تجلت فيه وحشية النظام .

وزاد من تدهور الأوضاع عملية الهروب من الجيش والانشقاق عليه في الجنوب مع تصاعد نشاط الحركة الوطنية الصومالية (SNM) (٢) .

لقد استفادت الحركة الوطنية الصومالية والجبهة الديمقراطية للخلاص الصومالي من دعم العقيد منجستو ديكتاتور إثيوبيا في ذلك الوقت ، والذي كان يرمي إلي إضعاف الصومال بتشجيع الحركات المعارضة ، وقد اتضح حينها أن نظام سياد بري يعاني من مشاكل خطيرة ، ولكن العامل الحاسم كان هو قبيلة الهاوية ، ولقد اجتمع زعماؤهم في عام ١٩٨٩م ، واختاروا إسماعيل جمعالي المعروف في أوساط حقوق الإنسان ليكون قائدهم وكانت هذه بداية الانطلاقة للمؤتمر الصومالي الموحد (USC) المكون أساسا من قبيلة الهاوية ، وبتفويض من كبار القبيلة قام جمعالي بالاتصال باللواء محمد فارح عيديد ، ودعاه للتخلي عن وظيفته الدبلوماسية وتولي تنظيم المعارضة المسلحة التي ستقوم بها قبيلة هاوية، وقد ساعدته الحركة الوطنية الصومالية في زيارته الأولي لإثيوبيا أي اللواء عيديد وتلقي دعما منها ، وبينما كانت هذه الإجراءات تتم توفي جمعالي ، واختيار المقاتلون اللواء عيديد ، بينما انقسم المدنيون في الخارج في روما وفي داخل مقديشيو حيال هذه الاختيار وظلوا علي هذا الحال .

وفي يناير ١٩٩١م ونسبة لتصاعد نشاط المعارضة المسلحة هرب الديكتاتور سياد بري من العاصمة الي معقل قبيلته المريحان في جنوب غرب البلاد ، وكانت المعارضة قد أعدت عدتها لمثل هذا الوضع لتشكيل حكومة وطنية والتي تم الاتفاق عليها في إثيوبيا بين الحركات الثلاثاء المعارضة آنذاك ، المؤتمر الصومالي الموحد (USC) بقيادة جنرال عيديد والحركة الوطنية الصومالية بقيادة عبدالرحمن أحمد علي (تور) والحركة القومية الصومالية (SPM) بقيادة أحمد عمر جيس ، حيث يكون رئيس البلاد

جنرال عيديد من أبناء كبري القبائل الصومالية الهاوية ، ورئيس الوزراء من الإسحاق أصحاب السيادة في الشمال عبدالرحمن أحمد علي (تور) ووزير الدفاع من قبيلة دارود بقيادة قبيلة أوغادين أحمد عمر جيس . ولكن قبل أن يدخل عيديد مقديشيو ويعلن عن تشكيل الحكومة ، أعلنت مجموعة من المهنيين ورجال الأعمال تعرف باسم (المانفستوا) عن اختيار واحد من أعضائها هو علي مهدي محمد ، ليكون رئيسا مؤقتا ، هذه المجموعة والتي كانت تتمتع في الغالب بدعم من الحكومة الإيطالية ومصر والولايات المتحدة الأمريكية ، قامت بانقلاب علي جبهات المعارضة ، وقد أعلن علي مهدي علي الفور تشكيل حكومة خلال أربعة أيام من سقوط سياد بري وعدم مشاورة الجبهات المعارضة ، وقد نقل عيديد هذه التطورات عبر تلفونه السيار إلي زعيم الحركة الوطنية عبدالرحمن (نور) والذي توقع انفصال الشمال (٢) .

مقارنة بين الفصائل الصومالية والفصائل الإثيوبية المعارضة :

وإذا نظرنا إلي مافي إثيوبيا وهو بلد متاخم للصومال ، وله نفس الظروف فنجد أن نجاح الجبهة الإثيوبية الشعبية الثورية الديمقراطية ، التي كانت ائتلافا بين الجبهة الشعبية لتحرير التجراي والحركة الديمقراطية الإثيوبية ، والمنظمة الديمقراطية لشعب أورومو ، وكان تنظيما نموذجيا مثاليا ، ولايمكن نسيان تلك النجاحات التي انهت المشكلات السياسية وغيرها تلك التي كانت سائدة في إثيوبيا ، ومن الواضح أن هذا النجاح يرجع إلي تخطيط سياسي وضعته الجبهة الشعبية لتحرير التكراي عام ١٩٨٥م ، وكانت الجبهة تستخدم هذا التخطيط في الأقاليم التي كانت تخضع لسيطرتها عندما كانت تحارب ضد قوات الرئيس الإثيوبي السابق منسجتو هيلامريم .

وكانت الجبهة قد مرت في أصعب أيامها في أوائل الثمانينيات ، وذلك عندما استخدمت الحكومة ضدهم الحرب الاقتصادية (حرب المجاعة) وكانت الجبهة التكرانية قد وضعت سياسة لها استراتيجيات واسعة الأفق في الأقاليم التي تخضع لسيطرتها وكانت من تلك السياسات إنشاء سوق حر وتشكيل لجان يتم انتخابها من القري ورعاية البيئة والإصلاح الاجتماعي وتطوير حقوق المرأة .

كانت قوات Tple - Eprdf تمثل حوالي ثلثي تعداد قوات التحالف الموحد ، وهذه القوات تتميز بسرعة الانقياد والانصياع للأوامر ، وكانت تلك الميزة ترجع إلي تربيتهم الأولية ، ويبدو من ذلك اختلاط العادات والتقاليد لشعب التكراي ومباديء الجبهة ، وكان قادة الجبهة قد اختاروا عيشة البادية داخل قواتهم ، وأيضا كانوا يتداخلون

ويتحدثون مع المزارعين والرعاة ، وقد انقطعوا تماما عن أي اتصال أو تلقي الأفكار من السياسيين في الخارج ، لقدسهلت لهم تلك السياسة ، بأن يفهموا فهما دقيقا كيفية ممارسة الحكم علي الشعب ، كما كانت سياسة الجبهة الموحدة تقوم علي الاختلاط بين النظام الرأسمالي الغربي وبين النظام الاجتماعي بحيث يبتديء تطبيق هذا النظام من القري وينتهي إلي قائد الجبهة وهو نظام إداري مثلث الزوايا ذو قاعدة عريضة ، وهذا النظام هو النظام الإداري السائد في إثيوبيا حاليا ، مما يهيىء لكل قومية من قوميات إثيوبيا أن تتمتع بحكم ذاتي في منطقتها . هكذا كان يمكن لأي شخص أن يعقد مقارنة بين جبهات إثيوبيا والفصائل الصومالية المعارضة من حيث التخطيطات الإدارية ليعرف مسبقا مايحدث في الصومال من انهيار سياسي ودمار ، وكان من السهل أيضا أن يتكهن المرء بكيفية بناء إثيوبيا الجديدة ، وبالإضافة إلي ذلك كان هناك سبب آخر جعل الصومال ينهار وإثيوبيا ترتفع متماسكة ، وهو وجود الروح الوطنية للرئيس الإثيوبي مانجستو هايلامريم كما يبدو أنه أنقذ البلاد من انهيار واضح مؤكد ، وذلك عندما رأي أن الموقف قد أصبح خطرا للغاية ، أخذ قرارا صائبا وهو التخلي عن الحكم وذلك للحيلولة دون وقوع مزيد من الدمار ، لأن إثيوبيا كانت في ذلك الحين متماسكة هيكليا إلي حد ما ، وكان ذلك حرصا واضحا من الرئيس منجستو هيلامريم من أن تظل إثيوبيا في الوجود بالمقارنة بالرئيس الصومالي محمد سياد بري الذي كان يحاول أن يثبت قدميه علي الأرض حتي في اللحظات الأخيرة دون أدني شعور بحياة الملايين من الأبرياء الذين يموتون من ويلات الحرب ليلا ونهارا وعدم شعوره بالدمار الشامل الذي سيحيق بالبلاد والعواقب الوخيمة من ذلك حتي في المستقبل البعيد ، والحقيقة الواضحة تشير بأن القوات الموالية لسياد بري كانت تحارب ضد الانتفاضة الشعبية حتي عندما وصلت الحرب داخل كل بيت وفي كل مدينة من المدن الصومالية ، وكانت تلك القوات تواصل دفاعها حتي عندما وصلت القوات المعارضة قصر الرئاسة ، وعندما تمكنت القوات المعارضة من طرد الرئيس سياد بري إلي خارج العاصمة مقديشيو لم يقتنع سياد بري بذلك ، وبدأ ينظم عدة مراة هجوما علي القوات التي أطاحت به ، ويبدو من ذلك مدي طمعه في السلطة مهما كانت الخسائر البشرية والمادية .

ويمكن القول بأن قوات المعارضة التي بسطت سيطرتها علي العاصمة وبقية الأقاليم ، لم تتح لها الفرصة للتشاور حول إيجاد الحل الأمثل لأنهاء المشكلة ،

والسبب في ذلك أن الحكومة المطرودة تواصل الحرب ضد تلك الفصائل التي أطاحت بها ، وأيضا هناك سبب آخر وهو وجود خلاف حاد في داخل المؤتمر الموحد الذي سيطر علي العاصمة وهناك السبب الثالث من أسباب نجاح إثيوبيا حيث كانت هناك دول كبيرة تساند إثيوبيا وتمتلك الخبرة بهدف إنقاذها من الدمار مثل الولايات المتحدة والمانيا وبريطانيا ، كما كان الإثيوبيون يقبلون نصائح تلك الجبهات (٤) . ومن ناحية أخري كانت الجبهات المعارضة الإثيوبية تقاتل نظام منجستو باسم القوميات بينما كانت المغارضة الصومالية تقاتل وتنطلق علي أساس قبلي عشائري ضيق .

تقييم الجبهات المعارضة الصومالية :

كانت هناك صفات معينة تشترك بها جميع الفصائل المعارضة وهي :

١- كل فصيل من تلك الفصائل كان ينتمي إلي قبيلة معينة ، وأدت تلك الصفة بأن لايحظي هذا الفصيل المعارض بتأييد باقي الشعب الصومالي ، وكانت داخل كل فصيل من تلك الفصائل المعارضة خلافات قبلية ، كما أصبحت قوات الفصيل الواحد منظمة علي هيئة كتائب مبنية علي فروع القبيلة ، وكان السبب الرئيسي الذي أدي إلي انقسام قوات المعارضة انتهاء الحرب الباردة والذي نتج عن انعدام إحدي القوتين العظميين اللتين كانتا تتنافسان علي الاستراتيجية الجغرافية والاقتصادية حول المناطق الحيوية في العالم ، كما كانت دول العالم والقوات المعارضة في العالم تستفيد منهما ، وكان كل جانب يستند إلي جبهة معينة من القوتين العظميين ، لذلك كان التدهور الاقتصادي الناتج عن تلك التطورات قد أدي إلي أن تبحث المعارضة الصومالية عن طرق جديدة للحصول علي مؤن لقواتها ، وأسفرت تلك السياسة عن أن يقوم كل جندي من جنود المعارضة بالحرب في المنطقة التي ينتمي عليها ، ولكن أدت تلك السياسة إلي زيادة حدة الخلافات القبلية التي كانت بين الفصائل المعارضة أو التي كانت في داخل الفصيل الواحد في ذاته ، مما أدي إلي فقدان الثقة والاحترام في داخل المعارضة ، وهذا أحد الأعمدة الرئيسة التي أدت إلي تدهور الوضع .

٢- كان في أوساط القوات المعارضة السخط والكراهية القبلية التي نتجت عن الدعايات التي كانت تستخدمها القيادة ، والجبن الذي كان يتصف به مسئولو الحكومة السابقة الذين كانوا ينتقمون من الشعب البريء عندما تقوم المعارضة بهجوم علي أهداف الحكومة ، وأسفرت تلك الظاهرة إلي خلق جو من الكراهية علي عكس ماكانت الحكومة متوقعة .

٣- لم تكن الفصائل متفقة سواء بصفة خاصة أو عامة علي هدف معين ، ولم يحددوا تخطيطا سياسيا واضحا لمستقبل الحكم في البلاد ابتداء من قواعدهم في إثيوبيا حتي عودتهم إلي البلاد وإسقاطهم النظام العسكري ، لكنهم كانوا متحدين فقط علي الإطاحة بالنظام العسكري ، كما أنهم لم يسألوا أنفسهم عماذا سيحدث بعد اسقاط النظام ؟ وكيف يكون نظامهم بعد الإطاحة بالحكومة ؟ ولم يحددوا تحديدا معقولا يتماشي مع ظروف الشعب الصومالي القبلي (٥) .

وبعد الإطاحة بالنظام القبلي السابق في شهر يناير ١٩٩١م انضم كل شخص إلي قبيلة سواء كان مقتنعا بذلك أو غير مقتنع بها ، ولذلك بدأ الشعب ينتقم بعضه من بعض بسبب اسم القبيلة التي ينتمي إليها علي غرار ماحدث في لبنان بسبب الخلافات التي نشأت بين المجتمعات أو الطوائف المختلفة ، ومنذ انفجار الحرب الأهلية في الصومال أصبح كل شخص متمسكا باسم قبيلته وقد استخدمت الحرب الأهلي كافة الأسلحة الموجودة داخل الصومال ، ومن تلك الأسلحة المدافع الثقيلة والطائرات الحربية والألغام الأرضية وكافة أنواع الذخيرة دون أدني اعتبار لحياة الأبرياء ولايوجد هناك من يتذكر الدمار الذي لحق بالبلاد والشعب والانهيار الكامل للبنية الأساسية ابتداء من عشر السنين الأخيرة التي بدأت الحكومة الموالية للرئيس السابق سياد بري تضعف يوما بعد يوم إلى يومنا هذا ، وكانت الإدارة والاقتصاد في أيدي من ليس لهم المعرفة الكافية ، لكنهم استعانوا فقط بالثورة القبلية مثل القرون الأخيرة للمملكة الرومانية عند ميلها للسقوط ، ووقوع السلطة في أيدي المعارضة قامت بتدمير القوي الإنتاجية تدمير الزراعة ومراكز الزراعة (٦) .

لم تشكل عملية الإطاحة بسياد بري نهاية المطاف للحرب الأهلية الدائرة في البلاد ، ولكنها كانت إيذانا ببداية مرحلة جديدة من الصراع الداخلي ، الذي يمكن إرجاعه إلي تفجر المشكلات التي يعتل بها جسد المجتمع الصومالي - منذ الاستقلال - والتي فشلت معه الأنظمة الوطنية في إيجاد حلول جذرية لها ، فجاءت الفصائل المعارضة لنظام سياد بري منذ السبعينيات ترسيخا للطابع القبلي والعشائري المميز للبنية الاجتماعية الصومالية ، وقد عكست هذه المعطيات حالة عدم الاندماج الوطني بايجادها مصادر متجددة للصراع الداخلي ولاسيما أن النضال المسلح الطويل ضد النظام ، أدي إلي تأكيد ثقافة العنف لدي مختلف الجماعات ، كما تسبب في تكريس الانتماءات الأولية المختلفة .

وهكذا يمكن تحديد زاوية المعالجة لتفهم التطورات المتلاحقة التي تشهدها الساحة الصومالية من خلال دراسة التركيب العرقي والسياسي والاجتماعي باعتبار أن ذلك أفضل المداخل للتعرف علي حجم المشكلة وانعكاساتها وذلك بما تفرزه من تساؤلات تتعلق بالبنية الاجتماعية والسياسية (٧) .

الصراع بين الجبهات المعارضة :

الجبهات المعارضة لحكم سياد بري كانت متفقة إلي حد ما علي إسقاط حكم سياد بري ، ولكن لم يكن لها برنامج محدد ومتفق عليه لإقامة دولة بديلة ، وكيفية المشاركة السياسية فيها بعد إسقاطه ، وعلي غياب هذا البرنامج فليس من المستغرب في مجتمع لم يتبلور بعد أن يثور نزاع مسلح بين هذه الحركات حول من سيخلف سياد بري ويحكم البلاد ، وهذه المسألة مهمة ومعقدة في آن واحد وإلي حد كبير بالنسبة للصوماليين ، وذلك لعدة أسباب :

أولها : أنه لم يكن للصوماليين تقاليد وثقافات سلطوية تاريخية علي مختلف الحقب إلا (الحير) الصومالي بين أهل البادية الذي ينظم للاستفادة المتساوية من الآبار والمياه وأماكن الرعي والشعب والحدود بين القبائل والزواج والدية والضيف ويمكن علي أساسها حسم الأمور السياسية المتنازع عليها .

ثانيا : إن الديمقراطية الرعوية الصومالية التي كثيرا مايكتب عنها علماء التاريخ بأنها تحل بعض المشاكل الرعوية بالقياس عليها يمكن افتراضا استخدامها في المجال السياسي ، لم تكن صالحة لحل أزمة حكم حديث العهد نسبيا في الصومال ، كما أن التجربة الديمقراطية في الصومال في السنوات العشرة الأولي للاستقلال (١٩٦٠ - ١٩٦٩) لم تترك وراءها مايكن الاستفادة منه ، حيث هي الأخري فشلت في تطبيقها في المجتمع الصومالي .

ثالثا : إن الرعاة أو شبه الرعاة الذين يمثلون ٨٠٪ من السكان تقريبا يكونون هم وفقراء المدن والأرياف قوة المليشيات للحركات الصومالية ، وأكثر من ٩٠٪ لايعرفون حقيقة عن الدولة شيئا وذلك لعدم وجود أي علاقة لهم بالسلطة المركزية ،، ولأن من يشارك باسمهم في السلطة سواء في الحكم المدني وحكم سياد بري ، كان يمثلهم فيها فقط للعلاقة الاجماعية ويمثل نفسه فيها لمصلحته الخاصة .

رابعا : إن أساليب القمع والإرهاب غير الإنساني والعنف المتنامي لحكم سياد بري في مواجهة معارضيه في قتل الناس عشوائيا وإعدامهم جملة بدون محاكمة وبدون

تمييز بين مسلح وغير مسلح وهتك أعراض النساء واستباحتهم من قبل قوات الحكومة ، وتهجير قبائل باكملها من أماكنها ليحل محلها آخرون علي أساس التفرقة العرقية القبلية وغيرها من الأساليب المجحفة ، كلها قد تركت آثارا سلبية لا علي الحركات والجبهات المعارضة فحسب ، بل علي الحكومات المؤقتة غير المعترف بها دوليا ، وهي التي ظهرت في الجنوب والشمال بعد سقوط حكم سياد بري ، وسلكت نفس المسلك كصورة طبق الأصل في إدارة الصراع المسلح في المناطق التي كانت تسيطر عليها ، فخذ مثلا الحكومة المؤقتة برئاسة علي مهدي الذي التجأ بدوره هو الآخر إلي القوة والعنف والاعتماد علي العناصر القبلية للدفاع عن كرسي الحكم في صراع مسلح مع معارضيه بقيادة جنرال عيديد الراحل ، بدل الاعتماد علي النظام والقانون أو علي أساليب سلمية كالحوار ، مما أدي في مواجهة نوفمبر ١٩٩٢م إلي سقوط قتلي وجرحي مابين عشرة آلاف إلي ثلاثين ألفا وفر مابين مائتين وثلثمائة ألف من ديارهم في أقل من شهر ، كما أن حكومة عقال المؤقتة آنذاك في الشمال سلكت نفس المسلك في نوفمبر ١٩٩٤م عندما التجأ عقال إلي القوة والعنف هو الآخر مستعينا بقبيلته والقبائل المتحالفة معها في مواجهة معارضيه الذين كان يترأسهم عبدالرحمن (تور) حيث قتل وجرح في صراعهم المسلح آلاف وفر الاف ، فإذا كان قادة الحكومات المؤقتة الذين كانوا ينتقدون نظام سياد بري لسلوكه المعتمد علي القوة والعنف غير الديمقراطي في مواجهة معارضيه والاعتماد علي القبلية للدفاع عن سلطته ، ثم سلكوا بعد سقوطه نفس المسلك غير الديمقراطي ضد معارضيهم ،فما حال الحركات المسلحة التي لاتحمل أدني مسئولية دولية ولايحدها قانون (٨) .

أسباب انفصال الشمال عن الجنوب :

١- إعلان حكومة مؤقتة في مقديشو بعد أربعة أيام من سقوط سياد بري ، وعدم مشاورة الشماليين حول مستقبل البلاد ، فقد أعطي هذا انطباعا سيئا للشماليين الإسحاقيين الذين كافحوا ضد النظام زمنا طويلا ، لذلك أجبر الشعب الإسحاقي الذي تلقي التعذيب والتشريد بعد استيلائهم علي المنطقة الشمالية ، وعودتهم إلى أثيوبيا فدعا هذا الحركة الوطنية الصومالية لإعلان حكومة مستقلة في الشمال وبرروا ذلك بأن الجنوب لايحترم حقهم ومشاركتهم في السلطة .

٢- الصراع بين القادة في الحركة الوطنية الصومالية بين عسكريين أي ضباط الحركة والسياسة ومستقبل الحركة .

٣- رأي الإسحاقيون الدمار الشامل لمدنهم وقراهم بعد عودتهم والقتل العشوائي الكبير الذي تعرضوا له ، وأن القبائل الصومالية كلها قد اشتركت في قتلهم ، وانهيار البنية الأساسية وقطع الأسلاك الكهربائية والتليفونية ونقل الأبواب والشبابيك من البيوت في الشمال إلي المناطق الصومالية مما زاد في حدة الغضب لدي الإسحاقيين .

٤- ضغط المغتربين الإسحاقيين في الدول العربية والغربية الذين مولوا الحركة وأبعدهم سياد بري من البلد علي الحركة بإنفصال الشمال .

٥- حديث علي مهدي محمد عبر الإذاعة BBC في خطابه الأول بعد انتخابه رئيسا مؤقتا بعد أربعة أيام من سقوط سياد بري ، فقد اختصر حديثه علي كفاح قبيلة الهاوية ، والذي بدأ نشاطه حسب حديثه من الأقاليم الوسطي وانتهي بمقديشو ، ولم يذكر الكفاح الطويل الذي قام به الإسحاقيون ضد النظام قرابة عشر سنوات ، وأن الإسحاقيين هم المؤيد والممول لحركة المؤتمر الصومالي الموحد بقيادة جنرال عيديد .

الصومال بعد رحيل سياد بري :

فالصومال بعد رحيل سياد بري أفرز واقعا لايتوافق والدروس المستفادة ، حيث سعت بعض الأطراف لفرض سيطرتها علي الحكم ، فوفقا لقرارات مؤتمر جيبوتي لمصالحة صومالية في يوليو ١٩٩١م ، استمر العمل مؤقتا بدستور ١٩٦١م ، وتكوين مجلس تشريعي مكون من ١٢٣ نائبا وفقا لعدد محافظات الجمهورية قبل ١٩٦٩م ، وأن يكون علي مهدي محمد رئيسا مؤقتا لجمهورية الصومال ، وأن يكون رئيس الوزراء من شمال الصومال ، تأكيدا علي الوحدة الوطنية ، إلا أن التشكيل الوزاري الذي شكله الرئيس المؤقت لم يحظ بموافقة بعض الفصائل الصومالية ، بالإضافة إلي احتدام الصراع المسلح داخل المؤتمر الصومالي الموحد بين الجنرال عيديد والرئيس المؤقت آنذاك علي مهدي حيث يري عيديد أنه أحق برئاسة البلاد لدوره في مطاردة قوات سياد بري في جنوب البلاد ، وبالرغم من وقف اطلاق النار بين الجانبين في مارس ١٩٩٢م إلا أن التساؤل ظل قائما حول من يحكم الصومال ؟ وكيفية توسيع الخريطة السياسية (٩) . ولب المشكلة يبدو في السياسة القبلية للفصائل القبلية الرئيسية ، فهناك لغز محير ومعادلة سياسية معقدة صاحبت ميلاد جمهورية الصومال منذ قرابة أربعة عقود ، مما سبب كثيرا من المتاعب التي أدت إلي انهيارها ، فشمال الصومال- أرض الصومال ينظر إلي قضية اقتسام المناصب بين الشمال والجنوب بوصفها مسألة ذات شقين فهناك اقتسام السلطة وتوسيع المناصب بالمناصفة ، بينما

الرؤية ليست واضحة للجنوبيين ، ويقولون لابد من اعتبار البعد الإقليمي وبالتالي البعد السكاني في هذه القضية الشائكة .

ومما يعقد الأمور أكثر ، عدم اتفاق الساسة في الصومال علي مدي أربعين عاما علي صيغة نهائية ترضي الجميع ، وهناك وجهات النظر المتباينة حول التقسيمات القبلية الرئيسية والتي أساسها اقتسام السلطة وتوسيع المناصب الرئيسية مثل رئاسة الجمهورية رئاسة الوزراء ووزارات السيادة ورئاسة البرلمان وغيرها .

ويحتدم الصراع بالذات حول منصبين رئيسيين هما رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء والقبائل المتنافسة الثلاث الرئيسية هي هاوية الإسحاقية الدارود ، فكيف يمكن تقسيم اثنين من ثلاثة ؟ ومما يزيد الطين بلة أن في داخل كل مجموعة من المجموعات الثلاث صراع مرير وخلافات حادة ، مما يجعل من الصعوبة بمكان أن تتفق حتي المجموعة الواحدة أو القبيلة الواحدة علي المنصب المخصص لها في إطار التوزيع العام للحصص أو الأسهم ، والمثال التالي سلط مزيدا من الضوء علي هذه المسألة ، فمثلا حسين عيديد وعلي مهدي وعثمان عاتو ينتمون إلي قبيلة واحدة ولايمكن أن يحصلوا علي أكثر من سهم في المعادلة المذكورة فمن يتنازل لمن ؟ (١٠) ولم يحل مجيء علي مهدي إلي السلطة الأشكال بل فاقم من تداعيات الضع ونهبت جبهات المعارضة البنوك ونهبت البنية التحتية للدولة (١١) . وتنامي عدد من العوامل التي أدت إلي تعميق التعدد القبلي والاجتماعي في المجتمع الصومالي وزاد من حدة الصراع الاجتماعي ، وقد نبعت حالة التعددية التي تفرزها حقيقة الأحداث في تعددية إقليمية شمال جنوب وتعددية قبلية فحدث معها العديد من الأزمات الخاصة بالتوزيع والمشاركة والهوية إلي جانب تأكيدها علي فشل سياسات الدمج الطائفي الداعية لاستيعاب الجماعات العرقية الأخري في إطار الجماعات العرقية الحاكمة ، وهو ماتؤكده البنية الاجتماعية السياسية الراهنة للقوي السياسية الصومالية ، من حيث تكوين الفصائل السياسية المعارضة علي أساس قبلي وعشائري ، وفشل سياسات الدمج الطائفي حتي الآن الداعية إلي تحقيق توازن مصلحي بين كافة جماعات وأقاليم الدولة مع الحفاظ في ذات الوقت علي الوحدة الإقليمية للدولة (١٢) .

الحرب الأهلية والنتائج المترتبة عليها :

حاربت الحكومة العسكرية بقواتها المسلحة القبائل التي تنتمي إلي حركات المعارضة بدون تمييز ، فمثلا قامت قوات الحكومة في النصف الأول من عام ١٩٨٠م

بهجوم علي قبيلة الماجرتين مستخدمة الطائرات ودمرت مواشيها وآبارها وبركها ، واعتدت قوات الحكومة علي أعراض النساء حيث اغتصبن ، كما حاربت قوات الحكومة بلا هوادة قبائل الإسحاق في الشمال التي تنضم إليها الحركة الوطنية الصومالية ، وأعلنت بعد هذا أن من لاينتسب إلي إسحاق وأرضه فليبتعد عنه وإلا فسيحرق جسده وسيمحي من الوجود هو ومن يقف وراءه ، كما أن الحكومة زودت لاجئين نازحين من الصومال الغربي إلي أرض إسحاق بوصفهم ضيوفا وزودتهم باسلحة ليحاربوا ضد من كانوا هم ضيوفا عليهم وشجعتهم علي احتلال منازلهم ومحلاتهم التجارية حتي أصبح كثير من الإسحاقيين لاجئين في إثيوبيا ، وضيوف إسحاق (أوغادين) حلوا محل مضيفهم الإسحاق ، وغنموا وظائفهم وأراضيهم ومرافق التعليم والخدمات الرئيسية وقدم رؤساء قبائل الإسحاق ومشائخهم شكوي عن مضايقتهم إلي الحكومة غير أن الحكومة العسكرية القبلية التي كانت متهمة بأنها تستخدم اللاجئين لتقويض الإسحاقيين رفضت أن تتدخل .

ولم تكن الحكومة تميز بين من يشاركون في القتال وغيرهم من العزل ، حيث كان العنف عشوائيا والنتيجة هي فقدان أرواح كثيرة ومعاناة شاملة ، وقد أشارت التقارير إلي قتل مدنيين عزل من السلاح في إعدامات تعسفية علي يد قوات الحكومة لا في مناطق الصراع المسلح في الشمال حيث الحركة الوطنية الصومالية فحسب ، بل امتد إلي جنوب مقديشيو حيث أعدم بدون محاكمة ٤٧ مدنيا من العزل الإسحاقيين المثقفين علي شاطيء الجزيرة في ١٦ يونيو ١٩٨٩م ، وبالرغم من أن الحكومة قامت بعمل تحقيق حول هذه القضية بعد تكرار رسائل من المنظمات المعنية بحقوق الإنسان ، فإنها لم تتخذ أية خطوة بتقديم المسئولين عن أعمال القتل هذه للعدالة (١٣) . وأسست الحكومة العسكرية في الشمال نظاما يسمي (تبيلي)Tabeele باللغة الصومالية لمراقبة البيوت والأفراد من كل عشرين بيت ، والرجل تبيلي يشتغل مع جهاز الأمن (NSS) ويسجل كل أفراد عائلة البيت الواحد فردا فردا ، وإذا سافر واحد منهم إلي مدينة أخري فعلي أفراد العائلة من البيت الواحد إبلاغ خبر سفره إلي مسئول (تبيلي) وكذلك إذا جاء ضيف من مكان آخر أو قرية أخري ، وكذلك المواليد الجدد فإن العائلة تكون ملزمة بتسجيلهم وإلا فسيحل العقاب علي أفرادها جميعا (١٤) .

مما زاد من استياء القبائل الإسحاقية علي بقية القبائل المتحالفة مع النظام العسكري وقبيلته .

أستأجر الرئيس الصومالي السابق سياد بري طاقم طيران مقاتل مرتزق من جنوب إفريقيا ، وعلي مدي أربعة أشهر كاملة كانت الطائرات السوفيتية المقاتلة من نوع ميج ١٧ وميغ ١٩ تنطلق من مطار هرجيسا العاصمة الثانية للصومال وثاني أكبر مدن الصومال لتصب حممها علي المدينة ولايبتعد المطار عن المدينة أكثر من ١٥ كيلومترا ، وكان القصف الجوي يترافق مع قصف مدفعي من التلال المحيطة بالمدينة ، ولم يتوقف التدمير للمدنية إلا حين ترك مرتزقة جنوب إفريقيا عملهم احتجاجا علي عدم استلام رواتبهم ، ولم يبق في هرجيسا عروس مدن الشمال الصومالي إلا بعض اللاجئين الإثيوبيين ، أما سكانها الخمسمائة ألف فقد هرب غالبيتهم إلي إثيوبيا واليمن وجيبوتي ، وقدر عدد القتلي والجرحي في تلك المجزرة بمائة ألف ، أما المدينة والمدن الأخري المجاورة فقد تحولت إلي أطـــلال ، وحتي شهر مارس ١٩٩١م كانت مدن أشباح ، وخلال الأعوام ١٩٨٨م إلي ١٩٩١م قامت قوات سياد بري بقيادة صهره اللواء مورقان بزرع مايزيد علي نصف مليون لغم أرضي مضاد للأفراد والعربات في هرجيسا وبرعوا وبربرا وعيرجابو ، وكل مدن الشمال ويقال إن في هرجيسا وحدها مايقارب ٢٥٠ ألف لغم مازالت تنفجر موقعة ضحايا جدوا يوميا .

أما الحركة الوطنية الصومالية ، أقدم منظمات المقاومة الصومالية ضد حكم سياد بري فقد أوشكت علي الاستيلاء علي مدن الشمال ١٩٨٨م ، وكانت تسيطر علي أجزاء واسعة من شمال الصومال حين بدأ سياد بري بتطبيق سياسة الأراضي المحروقة هناك بتدمير كل مدن الشمال ، بيد أن المقاومة لم توقف عملياتها ضد سياد بري حتي أطاحت به في عام ١٩٩١م .

أما الوحشية التي عومل بها الشماليون المنحدرون من قبيلة إسحاق فقد أوجدت كراهية شديدة في نفوس الشماليين إلي درجة أنهم رفضوا إعادة الوحدة مع بقية الصومال وأعلنوا استقلالهم في مايو ١٩٩١م في جمهورية أسموها (أرض الصومال) وهي المساحة الجغرافية التي كانت تقع تحت سيطة الاستعمار البريطاني حتي عام ١٩٦٠م (١٥) . وهذه المدة التي تصل إلي عشر سنين (١٩٨٨- ١٩٩٧م) تشير التقارير الواردة إلي أن صنف مليون شخص قد قتلوا بسبب الرصاصات الطائشة التي لاترحم الصغير ، وأن نصف مليون آخر قد ماتوا بسبب المأساة التي ترتبت علي الحرب وأن ربع مليون طفل دون سن الخامسة قد هلكوا ، كما أن ٨٠٪ من الباقين معرضون للخطر بسبب سوء التغذية ، كما أن أربعة ملايين وخمسمائة ألف شخص كانوا يطلبون

الرحمة من أيد أجنبية ، كما تم تشريد مليون شخص في الداخل ، كما لجأ مليون إلي الدول المجاورة ، وأن نصف مليون تقريبا قد هرب إلي البلدان التي لا تتاخم الصومال وذلك مابين أمريكا وهولندا ، وانجلترا والسويد ، الدنمارك ، المانيا ، استراليا ، وغيرهم في العالم الأوربي والأسيوي .

لقد تنطبق علي الشعب الصومالي الصفة التي اشار إليها ماكيفالي (إذا تقاتل الناس جميعا فإنهم مهتمون بتلك الحرب إذا لم يقوموا وقاية من هذه الحرب بتشكيل سلطة قوية) (١٦) العالم الثالث مليىء بالتقلبات السياسية السريعة منها والبطيئة التي تستمر عدة سنوات وهذه عادة ماتكون تحت غطاء سميك ، وعندما تأتي الحكومة الجديدة علي الساحة يقابلها العالم بطريقة عادية خاصة إذا استولت علي زمام الأمور واضمحلت كل محتويات ورموز الحكم السابق ، أما إذا أفلت آلة أو رمز بشري من رموز تلك الحكم فعليها أن تستعد للصراع من أجل الثبات والبحث عن أنصار .

الحرب الأهلية في الصومال كانت صورة من تلك الصور إلتي تتكرر في العالم الثالث تحت شعار النضال أو التحرير أو الثورة ، ولم يكن سياد بري هو ذلك الحاكم الوحيد الذي تعرض للظلم ، كما لم يكن ذلك الحاكم الطاغية ، لقد كان رئيسا لدولة مليئة بالصراعات ومختزنات الماضي التي تؤثر في استقراره ، وقد عبث سياد بري بتلك المختزنات وتصرف فيها فيما لايخدم مصلحة الشعب ظنا منه أنه يصلح الأمور ، وأن الحكم سيستقر فيما لو استمر في هذه السياسة ، لكن الواضح في الصومال اجتماعيا وقبليا واقتصاديا يتدهور كلما أمعن سياد بري في تطبيق سياسته التي ترمي إلي ضرب العناصر القبلية ونبش الماضي لإثارة القلاقل علي حساب الموروثات والعادات ، ولم يكن لدي الدول العربية ولا الإفريقية المجاورة صداقة تستحق النصيحة ، فكينيا وإثيوبيا تبدو علاقاتهما بالصومال مشوبة بالحذر نتيجة رواسب تاريخية وسياسية ، ولم يكن لدي جيبوتي التي لزمت الصمت عن مشروع الصومال الموحد أي مقدرة علي التدخل في الشئون الصومالية أثناء غليانه القبلي (١٧) .

دور الأمم المتحدة في الصومال :

هرب سياد بري من مقديشو في يناير ١٩٩١م، وفي تلك السنة نزح مايقارب مليون شخص لاجيء إلي البلدان المجاورة وبلدان أخري ، منهم مايقارب الثلاثمائة ألف في كينيا وكانت الخسائر في الأنفس كبيرة .

والأمم المتحدة لم تتحرك إلا في ٢٧ ديسمبر ١٩٩١م عندما أخطر الأمين العام

السابق للمنظمة الدولية بأنه ينوي القيام بمبادرة لإعادة السلام في الصومال ، وفي يناير ١٩٩٢م قام مساعد الأمين العام للأمم المتحدة للشئون السياسية بزيارة إلي الصومال ، واتخذ مجلس الأمن قراره رقم (٧٢٣) والذي يطالب فيه كل الأطراف بوقف الأعمال العدوانية ، وذلك بناء علي طلب الصومال لمناقشة الأوضاع فيها ، ولعله من الجدير بالملاحظة أن تري كيف أن مصالحات جديدة (كالنظام العالمي الجديد) ، انحرفت عن مسارها في التدخل ليس لمصلحة دولة عضو بل وبناء علي طلبها ، وكل البعثات التي أرسلتها الأمم المتحدة للصومال لم تنجح في احتواء الموقف ، وبدأت الأمم المتحدة توحي بأن السلطة في الصومال قد انهارت تماما ، وبناء علي ذلك فقد خول الأمين العام للتنسيق مع الأمناء العالميين لمنظمة الوحدة الإفريقية وجامعة الدول العربية لمعالجة الأوضاع في الصومال إضافة إلي تعيين منسق للإشراف علي توزيع المساعدات ، لم يقم المنسق بدوره بالصورة المطلوبة ، وفي خلال عامين تطور عمله بطريقة مختلة ، فأصبح يتصرف وكأنه مندوب سام ، ومجهودات الأمم المتحدة بالتضامن مع منظمة الوحدة الإفريقية والجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي تمخضت عن اتفاق لوقف إطلاق النار في مارس ١٩٩٢م ، ونتج عن ذلك خط أخضر يفصل شمال مقديشيو تحت سيطرة علي مهدي عن جنوب مقديشيو تحت سيطرة عيديد .

في مثل هذه الظروف كان من المفترض تقوية المؤسسات الصومالية خاصة الشرطة ، والتي يمكن أن تضمن التقسيم السريع والعادل لمواد الإغاثة ، ولايفترض أن يتم ذلك بصورة مركزية ، وعلي ضوء هذه الأحداث اتخذ مجلس الأمن قراره رقم (٧٤٦) القاضي بإعطاء الأولوية القصوي لضمان توزيع مواد الإغاثة ، وفي ابريل أصدر مجلس الأمن قراره رقم (٧٥١) بمراقبة وقف إطلاق النار ، ولهذا الغرض أنشأ مجموعة يونضوم UNOSOM لتتابع عمليات الأمم المتحدة في الصومال ، وقد تم تعيين الدبلوماسي الجزائري المخضرم محمد سحنون مندوبا خاصا في الصومل ، وقد تسلم مهامه في الأول من مايو ١٩٩٢م ، وصاحب هذا ايضا تعيين خمسين مراقبا غير مسلحين من عشر دول ، ولكن بحلول شهر اغسطس تغيرت طبيعة المراقبين وازداد عددهم إلي ٥٠٠ مراقب مسلح كما بدأت وحدة عسكرية في الوصول من باكستان (١٨)

وقد طرح الدكتور بطرس غالي خمس بدائل أمام مجلس الأمن للتعامل مع الأزمة الصومالية وذلك علي النحو التالي :

١- نشر ٤٢٠٠ جندي من قوة الأمم المتحدة في الصومال دون استخدام القوة مع موافقة كافة الفصائل المتناحرة .

٢- سحب العناصر المسلحة من قوة الأمم المتحدة وإعطاء المنظمات المانحة فرصا للتفاوض مع الفصائل والقبائل .

٣- قيام قوة الأمم المتحدة بإظهار القوة في مدينة مقديشيو الرئيسية وإجبار الفصائل علي التعامل مع الأمم المتحدة .

٤- تتولي مجموعة من الدول بوكالة من مجلس الأمن عملية فرض توزيع المساعدات بالقوة ، وفي هذا الصدد أشار السكرتير العام إلي أن الولايات المتحدة أبدت استعدادها لتتولي قيادة هذه المهمة .

٥- توسيع دور الأمم المتحدة في مجال الحفاظ علي السلام العالمي بتشكيل قوة ضخمة وفقا لترتيبات جديدة بعيدة عن الأسلوب التقليدي ، وقد أوضح بطرس غالي في رسالته إلي رئيس مجلس الأمن أنه لايؤيد البديلين الأول والثاني ، لأن البديل الأول يتطلب استعداد الفصائل للتعاون مع الأمم المتحدة وهو أمر ترفضه الفصائل المتحاربة ، أما البديل الخاص بسحب القوات الدولية فسوف يؤثر سلبا علي الموقف برمته ، ولذلك أوصي بطرس غالي باختيار أحد البدائل الثلاث الأخري التي تتضمن استخدام القوة بهدف وقف العنف ضد العمليات بضمان توصيل مواد الإغاثة الإنسانية (١٩) .

وفي غمرة هذه الأحداث وقعت مشاداة لها مدلولاتها ، وقد تم ذلك عندما أنزل العلم الصومالي من المطار واستبدل بعلم الأمم المتحدة ، ولقد نال الصوماليون استقلالهم في عام ١٩٦٠م ، وذلك بعد أن كانت محمية من محميات الأمم المتحدة تديرها إيطاليا ، قد استطاعت مجموعة من الصوماليين هذه المرة إرجاع استقلالهم بإرجاع علمهم مرة ثانية إلي السارية .

صرح الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك كما أشار قسم الإعلام بالمنظمة بأنه قد خلص إلي أن الأمم المتحدة يجب عليها أن تكيف مهمتها في الصومال وتوسعها ، وهذا التغيير ضروري حتي تتمكن الأمم المتحدة من تحقيق وقف فعال لإطلاق النار في إنحاء البلاد بغية الوصول إلي المصالحة الوطنية لتولي مهام الحكومة بدلا من تقويتها ، كما برز في قرارات مجلس الأمن (٧٦٧) بتاريخ ٢٧ يوليو ١٩٩٢م والذي طالب بإنشاء مناطق عمليات في الصومال ، والقرار رقم (٧٧٥) بتاريخ ٢٨ اغسطس والذي

نص ضمن أشياء أخري علي أن الوضع في الصومال يشكل تهديدا للسلام والأمن العالميين وقرار المجلس رقم (٧٩٤) بتاريخ ٣ ديسمبر يبين الأوضاع المتردية والمعقدة وغير الطبيعية في الصومال ونادي بضرورة القيام بتحرك فوري وغير عادي . من هذا التاريخ فإن الولايات المتحدة أصبحت تهيمن علي تحركات الأمم المتحدة في الصومال ، وفي نفس الوقت فإن محمد سحنون قد أجبر علي الاستقالة واستبدل بالعراقي عصمت كتاني ، ولم تمض أسابيع قليلة حتي تولي الأدميرال الأميريكي بالمعاش (هاو) منصب الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة ، ولم يحل بخاطر سكان مقديشيو أنهم يشكلون خطرا علي السلام العالمي عندما استقبلوا الجنود الأمريكيين بالزهور ، وتم تأمين المطار باعتقال العمال المحليين وربطهم كالدجاج ، وقد قام قائد قوات الأمم المتحدة الباكستاني والذي استاء من هذا التصرف حيال العمال بالعمل علي تحريرهم وإطلاق سراحهم ، وقد كان هذا مؤشرا لأشياء أخري ستأتي لاحقا .

الأمم المتحدة والسياسة الصومالية المعقدة :

السياسة الصومالية مثل السياسة في بلدان أخري كثيرة في إفريقيا معقدة بسبب اختلاط السياسة بالقبلية وليس من السهل علي السذج تناولها ، المسئولون في الأمم المتحدة والقيادة العسكريون الأمريكان ، انغمسوا وبسرعة في خضم السياسة الصومالية وبسرعة أدركوا أنه من العسير عليهم فهمها .

الصوماليون الذين رحبوا بالقوات الأمريكية والدولية أولا أحجموا عنها لاحقا وكان الجنود الأمريكيون عندما يتعرضون لمعارضة مفاجئة يردون كما دربوا علي ذلك عن طريق العنف والعنف لايولد إلا عنفا .

وقد عبر المتحدث العسكري عن امتعاضه من بروز الحس الوطني الصومالي وخاصة مما يصدر من اللواء عيديد، وقد كان ردهم كما فعلوا ذلك مع صدام حسين مع الفارق بين الحالتين أن جعلوه رمزا ومصدرا للشر ، وعيديد لم يكن يقف ضد أمريكا لكنه مع بلده الصومال.

أعيد فتح الميناء والمطار بواسطة الأمم المتحدة وعادت قوافل الإغاثة للتحرك ، وذلك عندما كانت عملية (إعادة الأمل) في أوجها ، والزعماء الصوماليون لم يجدوا أي مصادر للصرف علي مليشياتهم ، لذلك أصبحت السيطرة علي المليشيات عسيرة ونتج عن ذلك ظهور النهب المسلح .

يعود الفضل لوقف حدة المجاعة في جنوب الصومال لمجهودات المجتمعات

والحكومات في العالمين العربي الإسلامي والغربي التي دعمت نشاط منظمات الإغاثة ، ولكن بعد معاناة قاسية . والفضل يعود أيضا للموظفين السابقين للأمم المتحدة الذين أسهموا في وقف إطلاق النار علي طول الخط الأخضر ، مما سهل إقامة مراكز توزيع الغذاء علما بأن الصوماليين لايمكن أن يقبلوا بأي شكل من الأشكال الاستعمار ، كما كان من المطلوب ترك الحرية للصوماليين لاختيار قادتهم .

إن الإدارة الأمريكية تدعي كما ورد في تقرير للكونغرس عن ١٣ اكتوبر ١٩٩٣م بأن مهمة القوات العسكرية الأمريكية في الصومال كانت أساسا المساعدة في توفير الجو الآمن والذي يسهل انسياب المساعدات الإنسانية ، ولكن التاريخ كشف الضغوط القوية التي أدت إلي التدخل غير الإنساني وغير المعهود من قبل الجيش الأمريكي الذي كان بسبب السياسة الداخلية للرئاسة الأمريكية وليس بسبب حب الغير ومحاولة إنقاذ الآخرين . السبب الرئيسي كان الإحباط الذي خيم علي عملية المساعدات والإغاثات وماتبعها من أوجه الإحسان ، إضافة إلي هذا كان التخوف بنتاجون من تقليص ميزانيته القديمة والمعدة علي أساس الحرب الباردة ، بجانب هذا كان هناك التنافس بين مشاة المرتفعات ومشاة البحرية ، الذين لم يجدوا فرصة إنزال علي الشاطيء في عملية عاصفة الصحراء ، فخلقوا هذا الإنزال غير الضروري علي شاطيء مقديشيو والذي لم يقابل بالمقاومة وإنما قوبل بزفة إعلامية كبري (٢٠) .

تدرجت قوات الأمم المتحدة بقيادة أمريكا بين ثلاثة خيارات استعملت كل واحدة منها في فترة أو جمعت بينها في فترة أخري ، في البداية حاولت أن تكسب أبرز التجمعات القبلية لصالحها وقامت في هذه المرحلة علي مهادنة عيديد وسمحت له بالاحتفاظ بدوره الأول في المنطقة التي كان يسيطر عليها ، ولم تتمهل جماعة سياد بري حيث سمحت لهم بأن يستعيدوا بعض النفوذ والقوة ، وفي الوقت نفسه كانت علي صلة مع علي مهدي وتتعامل معه بحدود ماكان يري في نفسه رئيسا مؤقتا للبلاد دون الاعتراف له بهذه الصفة ، وتعتبر هذه المرحلة مرحلة السعي لإقامة نوع من المشاركة في السلطة بينها وبين كل زعيم قبيلة في منطقة غلبة قبيلته .

انتقلت القوات الأمريكية إلي ممارسة دور جديد يهدف إلي فرض سيطرتها علي البلاد كاملة من خلال قصقصة أجنحة الزعماء القبليين بما يجعلهم غير قادرين علي التحليق بمفردهم ، ولابد من القول بأن الأمم المتحدة ومعها القوات الأمريكية ، تحركت في بعض الوقت نحو إقامة وفاق صومالي تنبثق عنه حكومة انتقالية ، ولكنها سرعان

ماتخلت عن هذا الخيار ، وتمسكت بالخيار الثاني وهو الذي يقوم علي العمل لفرض سيطرة القوات الدولية علي بلد مثل الصومال .

وفي هذه المرحلة غاب المشروع السياسي الذي كان من المفترض أن تحمله الأمم المتحدة واقتصر الأمر علي مشروع أمني وآخر تمويني ، الأمني يعني الصدام بالبنية القبلية المحلية ، كما يعني بروز التفاوض في النظرة وتحم التبعات بين القوات المشاركة تحت راية الأمم المتحدة والرفض الإيطالي للدور الذي قامت به الأمم المتحدة والانفصال النسبي لتحرك القوات الإيطالية عن القيادة الدولية في مقديشيو (٢١) .

الحرب بين عيديد وقوات الأمم المتحدة في الصومال :

داهمت القوات الباكستانية التابعة للأمم المتحدة استديوهات راديو مقديشيو ، ولقد كان رد فعل الصوماليين الفوري هو التظاهر السلمي ، فردّت القوات الباكستانية بإطلاق النار فقتلت عددا من الصوماليين وأصابت آخرين بجروح ، وهذا العنف تطور بشكل أدي إلي مقتل ٢٣ من القوات الباكستانية ، صحفي موثوق به ذكر بأنه كان مع عيديد عند وقوع الحادث ولم يعلم به أي عيديد ناهيك عن أنه أمر به ، وقتل أيضا في هذا الحادث ٧٥ صوماليا ، كما جرح ٢٠٠ ، وعندما علم عيديد بالأخبار طلب في الإذاعة من الجميع التزام الهدوء وضبط النفس تماما علي عكس ما أشيع . لقد أعلنت اليونصوم أن قواتها لم تداهم الإذاعة للإستيلاء عليها ، وإنما كان ذلك ضمن عملية للبحث عن الأسلحة ، وأن اللواء عيديد قد أخطر بذلك في وقت سابق ، ولكنه لم يبد أي اعتراض ، وفي السادس من يوليو ١٩٩٣م أصدر مجلس الأمن قراره رقم (٨٣٧) والذي حمل عيديد مسئولية قتل قوات حفظ السلام ، المهم أن هذا القرار لم يشر إلي قتلي وجرحي من الصوماليين ، وقد أصدر هذا القرار بناء علي رؤية جانب واحد ، ولم يكن هناك تحقيق محايد ، كما طالب عيديد بذلك ، والواضح أن هذا القرار متحيز وعنصري ، وكانت النتيجة أن الوضع تطور بشكل كبير من جانب الطرفين . ماقامت به الأمم المتحدة حيال هذا هو أن تطلب إلقاء القبض ومحاكمة الشخص الذي اختير ليخلف الدكتاتور وليس الديكتاتور نفسه والذي يعيش مرتاحا في الخارج آنذاك .

لقد أرسل اللوا عيديد خطابا إلي اجتماع قمة منظمة الوحدة الإفريقية في يونيو طالبا منهم مشاركة أوسع ومحذرا في الوقت نفسه من مخاطر إساءة استخدام الأمم المتحدة سلطتها في إفريقيا (٢٢) .

تحولت المهمة الأصلية للأمم المتحدة في الصومال ، واتجهت اتجاها جديدا تمثل

بصورة أساية في تمحور العملية علي الصراع ضد اللواء عيديد ومايمثله في الصومال وماله من علاقات إقليمية ، والنتيجة من هذا التمحور تحولت قوات الأمم المتحدة والقوات الأمريكية إلي قوات شرطة تلاحق اللواء الفار المتمرد وتحاول اعتقاله لتقديمه للمحاكمة أو اغتياله ، وهذا لايعني فقط الابتعاد عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلي وقوع كارثة المجاعة في الصومال ، بل لبروز الصراع بين الأمم المتحدة وقبيلة عيديد (هبرقدر) . لقد وضعت الأمم المتحدة مبلغا قميته ٢٥ ألف دولار للذي يساعد في القبض علي عيديد أو يشير إلي مكان اختبائه ، وذلك لأن عيديد متهم بأنهم مسئول عن الكمين الذي وقع فيه عدد من الجنود الباكستانيين عندما كانوا في دورية مداهمة في المنطقة الواقعة تحت سيطرة أنصار عيديد ، منذ ١٧ يونيو ١٩٩٣م يوم الهجوم الكبير علي مقر عيديد في جنوب مقديشيو ، وهذا الهجوم الأخير تمارس فيه قوات الأمم المتحدة بما فيها الأمريكية نوعا من حرب العصابات في المدن ، وقد طاردته قوات الأمم المتحدة في معظم أحياء المدينة مستهدفة اغتياله بالقصف الجوي عدة مرات دون نجاح ، وهكذا تحولت بعض أحياء العاصمة التي تسكنها قبيلة (هبرقدر) القبيلة التي ينتمي إليها اللواء عيديد تحولت إلي مناطق محرم دخولها علي جنود الأمم المتحدة ، كما أصبحت هذه الأحياء والأحياء الأخري المجاورة ميدانا للقارات الجوية شبه اليومية الأمر الذي أدي إلى إخلائها جزئيا أو كليا من سكانها علي الأقل في أوقات اشتداد التوتر .

اتبع عيديد أسلوب إطلاق التظاهرات ، وذلك لإبقاء التوتر مع القوات الأمريكية عاليا ، الأمر الذي ساهم في تعبئة قبيلته من جهة لأن القبائل الصومالية الأخري القاطنة في مقديشو لم تشترك في الحرب وإرباك قوات الأمم المتحدة ووضع القوات الأمريكية في حالة استنفار تستنزف طاقاتها ، وعندما دمرت الطائرات الأمريكية مقر عيديد في مقديشو كان لدي الأمريكيين والأمم المتحدة تقرير يقول إن عدد المقاتلين معه قليل جدا لايصل إلي ٢٠٠ مقاتل معظمهم من الفتية المتعطلين الذين يتبعونه فقط لأنه يدفع لهم ويؤمن مايحتاجونه من (قات) وكذلك برز تقرير من القوات الأمريكية يقول إن معظم مستودعات الأسلحة التي يمتلكها عيديد قد دمرت ، ولم يمض وقت كثير حتي بدأت تظهر تقديرات متناقضة تتحدث عن قدرته علي تطويع عناصر جديدة في صفوف قواته ، وعلي قدرته علي الحصول علي أسلحة جديدة ، وأنه يمتلك شبكة واسعة من الاتصالات والطرقات تؤمن له الأسلحة المختلفة من أسواق إثيوبيا ، وحتي وصولها إلي أحد مقراتها السرية الكثيرة في مقديشو ، وقد جاءت إعادة تقدير

الوضع لعيديد نتيجة للخسائر التي أوقعها في القوات الأمريكية والتي بلغت في مجملها سقوط ١٨ قتيلا وسبعين جريحا ، وهذه العملية أحدثت إنقساماً في الرأي العام الأمريكي حول جدوي عملية (إعادة الأمل) في الصومال ، وقد ارتفع صوت برلمانيين أمريكيين يطالبون بالإنسحاب من الصومال وتركها لشأنها وإعادة القوة الموجودة فيها ، وأظهرت استطلاعات الرأي أن الأمريكيين بأكثريتهم يؤيدون انسحابا فوريا من الصومال وأن نسبة عالية منهم تؤيد الإنسحاب حتي لو أدي إلي عودة الفوضي (٢٣) .

يقول المثل الصومالي (الذي ينقذ الشاة من الأسد إذا هجم عليها شخص لايعرف الأسد نفسه وباللغة الصومالية (لباح نن آن أغون بالح كرته) (Lixbaax nin aan aqoon baa lax karita) أمريكا لم تكن علي يقين تام عندما حاولت قتل اللواء عيديد الذي تسانده قبيلته (هبر قدر) والمتخصص في حرب الشوارع ووسط مدينته التي ترعرع فيها ، ولذلك هزمهم وأجبرهم علي الانسحاب الفوري .

تقييم جنرال عيديد :

في ١٩٦٩م دار همس في مقديشو أن قائد الجيش الجنرال محمد سياد بري وعدد من رفاقه الضباط يخططون لانقلاب عسكري ، وكان هناك اعتقاد يقال إن سجلات المخابرات السوفيتية (KGB) قد أكدت بأن سياد بري هو مرشح الاتحاد السوفيتي ، ولكن كان هناك اعتقاد بأن المخابرات الأمريكية CIA لها أنصارها وسط الانقلابيين أيضا ، وفي هذا الجو قتل الرئيس الصوالي عبدالرشيد ، وكان هناك عقيد في الجيش حذر السلطات من حدوث انقلاب .

لم تأخذ السلطات تحذير العقيد مأخذ الجد وبعد أيام قليلة وفي عام ١٩٦٩م أعلنت الثورة البيضاء المهتدية بالاشتراكية العلمية ، وأعيد تسمية البلاد فأضبحت جمهورية الصومال الديمقراطية بدلا من جمهورية الصومال ، لم يكن استيراد أفكارغربية لتجد أرضا خصبا في بلد مثل الصومال له جذوره الإسلامية العرقية ، أما العقيد الذي تحدث بأمر الانقلاب ، فقد صدر قرار بنقله للخارج ليكون سفيرا في إحدي السفارات الصومالية في إفريقيا الغربية ، ولكنه رفض هذا القرار فسجن لمدة ست سنوات ، واسم هذا العقيد هو محمد فارح عيديد ، جاء من وسط الصومال بالقرب من مدينة قالعيكو وليس من جنوب مقديشو وتدرب في جهاز السلطة الإدارية أولا أيام الإستعمار ثم في الجيش الوطني وهو من مؤسسي الجيش الصومالي ، ولقد درس في إيطاليا ثم في الاتحاد السوفيتي وتخصص أخيرا في الاستراتيجية الحربية وحرب الشوارع ،

وبعد إطلاق سراحه من السجن كان بدون عمل لمدة سنتين ، ثم أصبح مديرا بالشركات الصومالية العامة بعد تأميمها ، وقد برزت مقدراته العسكرية ، مما أدي إلي ترقيته في وقت لاحق إلي لواء وتعيينه مساعدا للرئيس للشئون العسكرية ، وفي وقت لاحق تم تعيينه سفيرا في الهند (٢٤) .

احتج عيديد في مرات عديدة علي التدخل الأجنبي في شئون الصومال الداخلية والذي كان مقصودا ويهدف إلي تأخير سقوط الدكتاتور ورفاقه كاللواء مورقان ، ويري عيديد أن ذلك كان تعويقا لإحياء المؤسسات الصومالية والتي كانت ستفرز السيادة الصومالية . لقد كان عيديد معوقا للسلام ولكنه من جهة ثانية شارك قبل وبعد (إعادة الأمل) في جهود تحقيق السلام والمصالحة ، ولكي نتمكن من تقييم دوره في الأحداث علينا أولا أن نقيم الأسباب التي أدت إلي المجاعة البشعة في وسط الصومال والتي هزت العالم . لقد أدت هزيمة قوات الديكتاتور بري إلي تخريب الريف الصومالي خاصة المناطق الزراعية حيث ينتج الغذاء ، ولقد أدي الجفاف الشديد المتوالي إلي تفاقم الأزمة ، ولكن كان للشهور ستة عشر والتي أخذتها قوات التحالف الوطني الصومالي بقيادة اللواء عيديد لإخلاء سياد بري لمناطق بكول وجيدو وأعالي جوبا الأثر الأكبر في تأزم الموقف ، ولقد اعترفت قيادة التحالف الوطني الصومالي بعدم مقدرتها علي تنظيم إغاثة عاجلة بالمستوي المطلوب ، ولكن اللواء عيديد أقام مقرا مؤقتا لقيادته في أسوأ المناطق التي أصابتها المجاعة لمدة ستة أشهر .

اللواء عيديد كان وطنيا صلبا وحتي عنيدا ، ولكنه كان واثقا من نفسه وكان رجلا متدينا يحاول أن يلبي رغبات الذين اختاروه زعيما وهذا قد يكون منبع شعبيته. المهتمون بدراسة التاريخ قد يلاحظون وجه الشبه بينه وبين الزعيم الوطني لمدة عشرين عاما في بداية هذا القرن السيد محمد عبدالله حسن ، الذي كانت تحركه القيم الإسلامية ، والذي قاتله البريطانيون بشراسة ، ولكن لم يتمكنوا من القضاء أو القبض عليه ، وقد أطلق عليه البريطانيون لقب (الملا المجنون) وقد توفي السيد بصورة طبيعية في (ايمي) بإقليم الأغادين في عام ١٩٢٠م ، ولو كان موجودا هذه الأيام كان سيطلق عليه لقب أمير حرب War Lrod (٢٥) . كان اللواء عيديد الشخصية الوحيدة من رؤساء الفصائل الصومالية الذي أصر أن تكون الشئون الصومالية داخلية دون تدخل الولايات المتحدة والغرب ويرفض بشدة أمريكا والغرب وكان يسير بسياسة واضحة المعالم عكس الفصائل الصومالية الأخري المرتبطة بالغرب والدول المجاورة

ولهذا وصفته الدعاية الإعلامية الغربية بأنه مجرم حرب وعنيد ورافض للسلام وأخيرا تم اغتياله . اللواء عيديد استطاع تكوين تحالف مع عدد من القبائل من أحد عشر من الأقاليم الثمانية عشر التي تقسمها البلاد تحت اسم التحالف الوطني الصومالي ، وقد تم اختيار اللواء عيديد رئيسا له ، ولقد كان هذه كافيا لإثارة البغضاء والخوف عند الكثيرين من قبيلة الدارود والذين تعرضوا للاضطهاد من قبل مليشيات عيديد ، لقد كان أعداء عيديد هم السبب المحرك وراء الانطباع بأنه إرهابي وأنه مجرم عالمي ذو صلات مشبوهة ، ولكن وبكل تجرد فإن هذه الاتهامات لاسند لها إضافة إلي أنها تحتاج لقدر من الموضوعية في التعامل معها وقل مانجد ذلك (٢٦) .

المبحث الثاني : الصومال والدولة الحديثة :

لما جاء المستعمرون الأوربيون إلي أرض الوطن اضطروا أن يستخدموا النظام الذي كان سائدا آنذاك وهو النظام القبلي ، حيث كانت قراراتهم تنفذ عن طريق السلاطين مما أدي إلي تقوية مركز سلاطين القبائل ، وذلك بحصولهم علي سلطات واسعة لم تكن في أيديهم من قبل ، أما المجتمع الصومالي الذي كان تحت الحكم الإثيوبي فكانت طريقة التعامل بينه وبين الإثيوبيين عن طريق وكيل تعينه السلطات الإثيوبية (بلابات) عندما كانت اليد العليا للحكومة المركزية الأمهرية وأصبحت تلك الحكومة غير قادرة علي التأثير في المجتمع الصومالي البدوي لوجود فرق شاسع بين المناخين الصومالي والإثيوبي ، حيث إن المناخ السائد في المناطق التي تسكنها القبائل الصومالية صالح لتربية المواشي بينما المناخ الإثيوبي صالح للزراعة .

إن تركيز السلطات بيد سلطان القبيلة والتي كانت تساندها الدول الاستعمارية كان أول حكم أثر علي المجتمع الصومالي مباشرة مما سبب تفاعل القبيلة مع السياسة

يقول خبراء السياسة وعلم الاجتماع إن التغييرات السريعة المتتالية التي سببتها الدول الإستعمارية والدول العربية المجاورة هو الذي أثار تعبئة المجتمع الإفريقي .

بينما كان المجتمع الصومالي مجتمع رحل لم يسبق له حكم مركزي ، كان الدخيل الأجنبي الاستعماري أول من حاول إنشاء نظام مركزي يحكم عدة قبائل لاتنتمي إلي قيادة موحدة في آن واحد ، ويمكن أن نقول إن القبلية رد فعل ينتج من التركيب السياسي المعقد أكثر من أن يكون مرحلة سياسية بدائية ، هذا الحكم الذي جمع بين عدة قبائل مختلفة أنشأ تصرفات جديدة لم تكن مألوفة لدي القادة ، وذلك بعد ظهور

قبائل أخري ليست تلك القبائل التي تخضع لسلطته وتتبع عرفه ، ومن تلك العادات والأعراف ساء استعمال السلطة وتعيين بعض القادة الذين لايصلحون لتحمل المسئولية في مناصب عليا ، وعندما وجهت إليهم انتقادات استخدموا القبلية واتخذوها ذريعة لحماية مناصبهم مما جعل السلطة تفلت من أيديهم .

إن القبلية المعقدة والمتشابكة مع السياسة نتجت من ذلك النظام الدخيل الجديد ، بالإضافة إلي ذلك كان هناك جيل يستخدمه الاستعمار ضد الشعب الصومالي يستهدف تقسيم الوطن ثم الحكم عليه وذلك وفقا للسياسة المعروفة فرق تسد (٢٧) .

ذاقت معظم الدول الإفريقية بمن فيها الصومال طعم الحرية في نهاية الحرب العالمية الثانية عندما عاد الذين اشتركوا في الحرب العالمية إلي أوطانهم ، وعرفوا معني الوطنية، وما دام الشعب الصومالي لم يشهد نظام حكم صومالي قبل الاستعمار وحين لم يكن هناك كفاح شعبي استمر فترة طويلة يطالب بالحرية ، فإنه يمكن القول بأن الصوماليين أسسوا نظاما مركزيا رغم عدم بلوغ النضج السياسي الكامل وعدم وجود الكفاءة اللازمة للحفاظ علي تلك الدولة ، ويبدو أن تلك المرحلة الطفولية للسياسة الصومالية قد أدت إلي زيادة تداخل بين القبائل أي القبلية والسياسة ، مما أسفر بدوره عن اثارة العاطفة القبلية والطمع القبلي في السلطة .

في ذلك الوقت عندما أسست أول دولة صومالية أصبح الوضع يزداد سوءا مما أدي إلي إضعاف حماس الوحدة والروح الوطنية ، وبلغت العاطفة القبلية ذروتها .

أصابت الشعب الصومالي الذي كان متحمسا للوحدة الوطنية خيبة أمل كان سببها الأول القبلية التي لم يتوقعها وعدم وجود خبرة لمقابلة المخاطر التي قد تواجهه ، مما جعل بعض العناصر التي أخذت دورا مهما في المطالبة بالحرية والمتحمسة للوحدة تبتعد عن الساحة السياسية وقيادة الوطن .

وتتعلق تلك المشكلة بجميع القادة الأفارقة ، حيث إن التحديات القبلية أضاعت حلم كثير من القادة الأفارقة الذين كانوا يحلمون بوحدة العالم الحديث في القارة السوداء والذين يرغبون في توحيد إفريقيا مثل جومو كينياتا في كينيا وكومي نكروما في غانا ، وغاندي اسكيو في نيجيريا ولميني جيني في سنغال وسيكي توري في غينيا (٢٨) .

ومن المؤكد أن رحيل الاستعمار جاء في وقت لم تنضج فيه المؤسسات الاجتماعية المدنية ولم ترسخ في المجتمع الصومالي وبذلك فإنها لاتستطيع أن تساعد علي تحقيق الاستقرار أو تدعيم الوحدة الوطنية (٢٩) وحمل الصومال في داخله تناقضات

عرقية وقبلية وإقليمية كثيرة ، وقد أثبتت التجربة أنها أقيمت أي الدولة الصومالية الأولي علي براكين متفجرة من التناقضات الداخلية والحدودية الإقليمية ، وأن إقامة دولة مستقرة مستقلة علي تلك الأسس هو بمثابة البناء علي سعال متحركة (٣٠) .

يقول د. علي مزروعي في فكرة له تحت مناطق إفريقيا المنهارة (إن معظم إفريقيا تعاني من وطأة التدهور والتحلل وحتي درجة الحداثة التي تم تحقيقها في فترة الاستعمار قد تراجعت ، وإن الأنهيار المتتابع للدول الإفريقية الواحدة تلو الأخري في التسعينيات يستدعي حلا غير متوقع وهو إعادة الاستعمار ، فبينما نجح الأفارقة في التوحد من أجل الحرية الوطنية فقد فشلوا فشلا ذريعا في التنمية الاقتصادية والاستقرار السياسي ، وقد كانت الحروب والخراب سمة عهد مابعد الاستعمار لعديد من الأفارقة ، وكانت النتيجة أن أصبح الاستعمار الخارجي تحت راية الإنسانية ممكنة ، وفي بلد مثل الصومال وليبيريا أدي انهيار السلطة المركزي إلي التدخل لكبح جماح الفوضي ، كما قال براين أتورد مدير هيئة المعونة الأمريكية إن سمة الاستعمار سيكون مختلفا هذه المرة وعلي شاكلة نظام الوصاية ، كالذي طبقته الأمم المتحدة في الكنغو عام ١٩٦٠م ، عندما انهار النظام برحيل البلجيك ، ويمكن تطبيق هذا النظام لأنه عالمي وأقل غرابة من الشكل السابق .

وإدارة مناطق الوصاية يمكن أن تأتي من إفريقيا أو آسيا وبقية عضوية الأمم المتحدة ومسئولية الإنسان الأبيض ، ويمكن أن تكون مسئولية الإنسانية المشتركة ، وفي القرن الحادي والعشرين ، يمكن لإثيوبيا التي من المفترض أن تكون أكثر استقرارا من الآن أن تدير الصومال نيابة عن الأمم المتحدة ، وقد كانت إثيوبيا حسب كلامه من قبل امبراطورية سوداء ضمت إليها مجتمعات مجاورة فلماذا لاتقوم إثيوبيا بلعب دورها التاريخي مرة أخري بدعم من الشرعية الدولية) (٣١) .

تلقت فكرة مزروعي عن الاستعمار الجديد ردود أفعال من قبل المفكرين الأفارقة ، ولو أن فكرته وبشييء من المعقولية تنطبق علي بعض البلدان الإفريقية وعلي رأسها الصومال إلا أنها بعيدة عن الواقع ، وأيضا فكرة إن إثيوبيا كانت تدير شئون مجتمعات مجاورة لها بعيدة عن الحقيقة أيضا ، إلا بعض المناطق التي وهبها لها الاستعمار الأوربي عند تقسيمه لإفريقيا .

• تقول إحدي القصص الصومالية الشفوية (إن قردا أعمش أهديت له نظارة فأراد أن يلبس النظارة فوضعها في رأسه فلم ير شيئا ووضعها في أنفه ويده وكل أعضاء

جمسه فلم ير شيئا ، بعد ذلك رماها وداسها برجليه وكسرها) حينما حصلت الصومال علي الاستقلال من الاستعمار البريطاني والإيطالي كانت متحمسة للاستقلال التام والوحدة الكبري لجميع الأراضي الصومالية فلم تستطع أن تتصرف وتطرح جانبا من عاداتها القبلية ، ولم تهيء نفسها بوصفها دولة حديثة ولم تحسن فهم فكرة الدولة وفهم مقاصدها .

إن التطورات الجارية علي الساحة الصومالية تسير جميعها في اتجاه انهيار نظام الدولة ، كما أنها تكشف عن الدور السلبي الذي يمكن أن تلعبه الصراعات القبلية من كونها مصدرا للصراع الاجتماعي والقبلي والسياسي ، الأمر الذي يجب معه طرح العديد من الأفكار المعبرة عن توازن مصلحي لكافة الجماعات مع الأخذ في الاعتبار أن تشتمل هذه الأفكار علي عملية إعادة توسيع السلطة السياسية بما يتوافق مع الواقع العملي والوزن النسبي لكل قبيلة ، بالإضافة إلي ضرورة تضييق الفجوة بين المستويات المختلفة لتعددية الديمقراطية والتعددية العرقية ، بمعني أن يكون علاج التقسيمات الاجتماعية القبلية في الصومال من خلال صيغة محايدة تجعل من الدولة بوتقة الصهر للنزاعات العرقية المختلفة (٣٢) .

المبحث الثالث : اختلاط القبلية بالسياسة

هناك نظريات مختلفة تتعلق بكيفية نشأة القبلية في السياسة وكيفية تأثير السياسة في القبلية ، يري بعض العلماء أن القبلية شعور طائفي يتماشي مع المستوي القبلي ، وهو المستوي الثاني لمرحلة تطور السياسة ، ويري البعض الآخر نقيض ذلك حيث يقول إن نشوء دولة مركزية في المجتمع لم يسبق له حكم من دولة مركزية بسبب تداعيات القبيلة ، مما يثير عاطفة قبيلة أخري ، والقادة الأفارقة يرون أن القبلية هي التي دمرت أحلامهم التي كانت مؤسسة علي وحدة القارة والشعوب الإفريقية ، وبناء عليه انتقدوا القبلية بحماس شديد .

ويري المحللون السياسيون اليساريون أن القبلية هي الوسيلة التي تؤدي إلي نمو الطبقات حسب الظروف السائدة . أما المفكرون الذين يهتمون بالتنمية الاقصادية فيشعرون أن القبلية عقبة تقف أمام التنمية الاقتصادية .

وأما الصحفيون فيصفونها بصفات متشددة وينتقدونها انتقادا لاذعا ، والسياسيون يندهشون من قوتها ويرون احتمال عدم انتهائها .

إن القادة الأفارقة الذين حضروا المؤتمر الإفريقي الذي عقد في أكرا عاصمة غانا والذي حضره جميع الرؤساء الأفارقة عام ١٩٥٨م ، وصفوا القبلية بأنها عادة سيئة وعقبة خطيرة تقف ضد الحرية والوحدة وتطور السياسة الإفريقية ، ولقد نشرت صحيفة أمريكية أسبوعية أن القبلية دمرت تدميرا حقيقيا حلم تطور إفريقيا السوداء .

إن قوة القبلية في إفريقيا وصلت إلي مرحلة أصبحت معها دول منظمة الوحدة الإفريقية منقسمة إلي تحالفات قبلية مبنية علي العرق الزنجي وغيره ونشأ عنها بذلك خلافات بين الدول الأعضاء .

إن القبلية في الصومال سلطة بدائية ، والقبلية في الصومال قبل الاستعمار كانت السلطة المركزية التي تجمع الأفراد وتكونهم تحت مظلة قوانين عرفية غير مكتوبة خاصة لكل قبيلة ، حيث كانت تلك القوانين تعتمد في معظم الأحيان علي خبرة موروثة من تجارب عملية ، وإن لم توجد سلطة تنفيذية تنفذ ماتم الاتفاق عليه ، إلا أن شخصية الفرد الصومالي التي اكتسبها من البيئة التي يعيش فيها والعادات مثل الرجولة والشهامة والشجاعة والكرم كانت هي التي تجبر الشرطة لتنفيذ قراراتها ، وبناء عليه فإن القبلية في الصومال كان لها حكم قضائي ولم يكن لديها سلطة تشريعية في الوقت الذي تتكون فيه الدول الحديثة من هذه السلطات الثلاث .

لم يكن لمجلس القضاء القبلي أعضاء دائمون معروفون وإنما كان لأي شخص حق الدخول في عضوية المجلس إذا بلغ سن الأربعين ، ولم تكن هناك شروط معينة مكتوبة لاختيار مجلس القضاء إلا العدالة والنزاهة والفصاحة وغيرها .

المنصب الوحيد الذي يدوم كانت منصب الرئاسة المعترف به من قبل المجالس القبلية وأعضاء المجالس مثل السلطان الملك ، الأوجاس ، الجراد ، الملاق ومنصب أدني من تلك المناصب وهو (العاقل) وهو شيخ القبيلة (٣٣) .

وينقسم الشعب الصومالي إلي قبائل تنقسم بدورها إلي عشائر ، ويبلغ الترابط حده الأقصي بين أفراد البيت الواحد ويقل تدريجيا كلما ابتعدنا عن أفراد البيت الواحد ، ويقل تدريجيا كلما ابتعدنا عن أدق الوحدة الفرعية في شجرة النسب باتجاه الجد الأكبر ، وهكذا يتكتل أفراد فخذ واحد في مواجهة أفراد أفخاذ أخرين من نفس العشيرة ، وهكذا وصولا إلي القبيلة .

هذا وقد استندت الحكومات المتعاقبة في الصومال ، بدرجات متفاوتة علي أسس قبلية أو عشائرية ، رغم تظاهرها بالوطنية والوحدة والقومية ، وكانت الحكومات تنادي

علنا بعدم الخلط بين القبلية والسياسة إلي أن ذهب سياد بري بإعلان دفن القبلية وحرم التحدث عن القبيلة ولو علي سبيل المزاح كما سبق (٢٤) .

وكتب تاريخ الصومال مليئة بشواهد والأحداث ذات الطابع القبلي ، ووجود القبلية في الصومال ليست فكرا مستوردا ، وإنما هي أصيلة تغور في أعماق التكوين الذاتي للصوماليين جميعا (٢٥) .

والصومال ليس موطنا لفئات سكانية متغايرة ، فالعنصر الصومالي للقبائل الرئيسية في الخريطة الصومالية القبلية هو سيد الموقف ، لذلك تصبح مسألة النفوذ خاصة للمشاركة القبلية دون الفئوية ، ولايوجد بالقبائل الصغيرة والعناصر الأجنبية مكان في القمة ، إذ علي الأجانب أن يحترموا حق الضيافة وألا يرتفعوا بآمالهم نحو الزعامة ، وهكذا عرفت القبائل الصغيرة موقعها تماما ، فاختصوا أنفسهم بأعمال مساعدة ليست حكرا علي أحد ، لذلك اشتغلت القبائل الصغيرة التي تمثل الأقلية في الصومال بالتجارة والزراعة والصناعات التقليدية وأعمال أخري بعيدة كل البعد عن السياسة (٢٦) . قال بعض علماء السلالات الأوربية مثل أنريكو Inrico وأم لويس إذا أردت أن تفهم السياسة الصومالية فلابد أن تفهم قبلها النظام العشائري والقرابة في الصومال (٢٧) . كما قال المفكر الجزائري مالك بن نبي نظرية القابلية للاستعمار في إفريقيا في كتابه (شروط النهضة) فإن الشعب الصومالي له قابلية حتي الآن للاستعمار الخارجي .

تدخل القبلية في المرتبة الأولي ، بل الرئيسية لانهيار الصومال ، والثانية قادة الفصائل وسوء استخدامهم للسلطة بصورة غير شرعية ، وعدم فهم مقاصد ومرامي البيئة الصومالية ، والجدير بالذكر أنه لاتوجد جهة أو جماعة أو شخص معين تتفق عليه الأمة الصومالية بأنه مسئول عن الانهيار الصومالي الذي حدث في الصومال ، مما أسفر عن ادعاء كل شخص بأنه بريء من هذه التهمة وحتي سياد بري يعتقد البعض أنه ليس مسئولا عن ذلك الانهيار ، إن المقولة التي قالها الرئيس الغاني جيروجون رولنجر رغم أنها كانت موجهة إلي شعب غانا إلا أنها كانت تنطبق علي الشعب الصومالي في وصفه الحالي قال الرئيس رولنجر (إذا كسر طفل كوبا يقول لأمه أنا لم أكسره لكنه انكسر) .

وقادة الفصائل الذين يمارسون القبلية ويستخدمنها سلاحا يمثلون في المرتبة الإجتماعية تلك المكانة التي كانت تمثلها الكنيسة في المجتمع الأوربي في القرنين

السادس عشر والسابع عشر حيث كانت الكنيسة تقوم بإعدام شنقا أو إساءة سمعة كل شخص في المجتمع لايطيع أوامرها ، وذلك حتي ولو اخترع علما حديثا من الممكن أن ينتفع به الناس ، وذلك كي لايحدث عصيان علي الكنيسة أو ظهور عناصر منفتحة تنافس الكنسية وتجادلها ، وكما نعلم جميعا فإنهم قد أحرقوا العالم الكبير جاليلو الذي ينتفع بعلمه حتي يومنا هذا ويصل المجتمع بعد هذا إلي مرحلة اليأس وهي التي أشار اليها الفيلسوف Durkheim بأنها تؤدي إلي الاقتتال الإيثاري الإنتحاري Al-ruistic-Suicide (٣٨) .

الأسباب الخارجية لإنهيار الصومال :

١- الدول المجاورة : إن هدف استعادة الوحدة الصومالية كان هدفا واقعيا بعد استقلال الصومال وطموحات الصومال الكبير وتعززه في ذلك وحدة التاريخ واللغة والمذهب التي جمعت الصومال الكبير علي مدار التاريخ ، ، فلا يوجه في إفريقيا جنوب الصحراء دولة واحدة موحدة لغويا سوي الصومال ، فنزاعات الحدود بين جيرانها كانت نتيجة طبيعية للتقسيم الاستعماري ، واستمرت هذه النزاعات بعد حصول الصومال علي استقلالها وأيضا استقلال البلدان المجاورة لها .

ومن أجل استعادة الصومال أراضيها الضائعة ، فقد خاضت ثلاثة حروب ضد إثيوبيا ١٩٦١ - ١٩٧٧م ، وأيضا حرب مع كينيا في الستينيات تمثلت في القيام بعملية فدائية داخل إقليم انفدي ويعد النزاع الصومالي الإثيوبي أخطر تلك النزاعات فإثيوبيا كانت تتطلع منذ عهد هيلاسلاسي وعهد منليك الثاني بأن تكون امبراطورية في شرق إفريقيا وفي ابريل ١٩٧٨م عقدت إثيوبيا مع كينيا عدة اتفاقيات لإقرار السلام كان أهمها أن تتخلي الصومال عن مطالبها في كينيا وإثيوبيا وجيبوتي وإعلان الصومال قبولها لمباديء الوحدة الإفريقية والأمم المتحدة والتزامها بمبدأ عدم التدخل .

وبالنسبة لصومال كينيا فقد طالبوا بالانضمام للجمورية الصومالية منذ اعلان قيامها ، غير أن هذه المطالب المشروعة كانت تجد مقاومة عنيفة ليس فقط من حكومة نيروبي ، بل وأيضا من الأحزاب المتصارعة في كينيا ، حيث لايوافق أي منها علي اقتطاع نحو خمس مساحة كينيا والذي يكون المنطقة الشمالية (٣٩) .

أما السياسة الحالية في منطق القرن الإفريقي بعد انهيار الصومال ، فتقوم حكومة كينيا باعادة وتسليح وتدريب قوات الدارود بقيادة مورقان صهر سياد بري ، وقد استطاع مورقان إعادة تجميع قواته في كيسمايو لمساندة كينيا والأمم المتحدة ، ومتي

ما كان في حاجة إلي إمدادات وإلي مواصلات بالهيلوكوبتر من وإلي كينيا يجدها باستمرار (٤٠) . كما تقوم إثيوبيا تسليح قوات عائلة سياد بري ضد عيديد وحكومة عقال الانفصالية في الشمال .

٢- البعد الدولي لانهيار الصومال : تحتل منطقة القرن الإفريقي أهمية كبري للمصالح الأمنيـة والاقتصادية بالنسبة للقوي الاستعمارية بريطانيا ، وايطاليا ، وفرنسا ، ثم أصبحت ساحة للصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق ، ولقد لعب السوفيت دورا أساسيا في تحريك عوامل الصراع في المنطقة ، وقام بتسليم الأنظمة القائمة آنذاك في المنطقة بهدف طرد النفوذ الأوربي الأمريكي وتنفيذ المصالح القومية العليا للاتحاد السوفيتي كدولة عظمي لها استراتيجيتها في مواجهة القوي العظمي الأمريكية ، وفي ظل تطور هذه المنافسة الدولية ، دخل السوفيت مع الأمريكيين في صراع شديد دار حول السيطرة علي مصادر الطاقة والمواد الخام ومعابر البترول ومضايقها العالمية ، وفي ظل هذا الصراع أيضا تعمقت جذور العنف وامتدت بين إفريقيا وآسيا وتركزت في حلقة الوصل بين القارتين . وكانت الصومال من الدول التي تحتل جزءا أساسيا في القرن الإفريقي ذي الأهمية الإستراتيجية الدولية ، وهو القرن الذي طالما انفرد الاستعمار الغربي باحتكار مواقعه وثرواته ومراكزه دون منافسة سوفيتية ، وهذا القرن أيضا الذي يطل مباشرة علي حقوق إنتاج البترول الضخمة في الجزيرة العربية والخليج وإيران ، كما يطل في نفس الوقت علي خطوط نقله ومروره إلي الغرب الصناعي المنافس عبر خليج عدن إلي مضيق باب المندب فالبحر الأحمر والبحر المتوسط .

إذا كان العامل الخارجي ليس المسئول الرئيسي عن انهيار الصومال فإنه يستحيل تجاهل ثلاثين عاما من التنافس الدولي والتدخل الأجنبي (٤١) واخرها التدخل الأمريكي والدول المتعددة الجنسيات تحت غطاء(إعادة الأمل).

المبحث الرابع : المصالحات الوطنية :

إن الحرب القبلية الصومالية لم تتوقف في يوم من الأيام ، مع أنها كانت تقع سابقا بسبب الماء والمرعي ، وكانت أحيانا تتسم بالعنف والدموية ، إلا أن سيادة أحكام الشريعة الإسلامية والأعراف القبلية وتوسط أهل الخير كان يؤدي إلي حصرها في نطاق ضيق والحد من شموليتها وعنفوانها إلي أن تفجرت الحرب الأهلية الراهنة في

الصومال ، فلم يعد هناك وسيط خير يستطيع جلب الأطراف المتناحرة إلي مائدة الصلح، فالجميع مشترك في الحرب الدموية ، وقد كانت بعض الأطراف تظن أنه مايزال في وسعها أن تتوصل إلي حل سلمي يرضي الجميع عن طريق دفع الديات ، إلا أن العنف المعارض وتناقض المصالح المختلفة ورفض بعض القبائل الكبيرة المشاركة في مفاوضات جيبوتي والتصديق علي الاتفاقيتين المعروفتين بجيبوتي الأولي والثانية ، إدي إلي تولد قناعة راسخة بأن الصوماليين غير قادرين علي مبدأ حل مشاكلهم وحدهم ، ، ولذلك لابد من حل يأتي من الخارج ، فوافق كل الأطراف علي مبدأ طلب التدخل الخارجي ماعدا المؤتمر الصومالي الموحد الذي كان يترأسه آنذاك اللواء عيديد الذي أصر علي رفض تدخل أي قوات غير الصومالية لحل النزاع ، وكذلك سلكت الجمهورية الأنفصالية جمهورية أرض الصومال نفس المسلك برفضها التدخل الخارجي .

ويري بعض الصوماليين أن كون الصومال دولة إفريقية زاد في قسوة الكارثة التي يتعرض لها أبناؤها ، فليس هناك ذرة شك في أن الصومال ماكانت ستترك وحدها لو لم تكن دولة إفريقية ، ويسود في الصومال شعور عام بأن العالم كله وبخاصة الوطن العربي والعالم الإسلامي قد هجره ، كذلك لم تقدم الدول الغربية أي شيء يذكر غير الجعجعة والطحن الفارغ (٤٢) .

حققت اجتماعات المصالحة في أديس أبابا تقدما كبيرا في مارس ١٩٩٣م لكن موظفي الأمم المتحدة عمدوا إلي اختيار شخصيات صومالية لا تمتلك قوي شعبية ، فبعض هؤلاء سفراء سابقون مطعون فيهم ، جاءوا يمثلون المثقفين ، وبعد الرجوع إلي مقديشيو عمد عيديد إلي تنفيذ ماتم التوصل إليه في أديس أبابا بما في ذلك تسليم الأسلحة الثقيلة .

تقرير لجنة وقف إطلاق النار ونزع الأسلحة نص علي أن وقف إطلاق النار ونزع السلاح سيتم بواسطة الصوماليين ، وهو حل صومالي للمشكلة الصومالية ، ويونصوم ستراقب وقف أطلاق النار ونزع السلام لضمان التزام كل الأطراف .

هذا لم يتم تحقيقه لأن الأمين العام كانت له خطط أخري ، والأمين العام آنذاك كان لايمتلك شعبية في الصومال ، والصوماليون مثل الأفارقة لهم ذاكرة لا تمحي ، فقد تذكروا علاقته الحميمة كوزير دولة بخارجية مصر بسياد بري ، وفي زيارة له في الصومال في يناير ١٩٩٣م رمته الجماهير الصومالية بالحجارة مما استدعي القوات الأمريكية للتدخل لحمايته ، وقد وجه اللوم في ذلك للواء عيديد .

وحاول موظفو الأمم المتحدة السيطرة علي القيادة الصومالية الجديدة الناشئة ، وقد عمدوا في هذا المجال إلى استبعاد أنصار التحالف الوطني من كل الاتفاقيات المحلية كما حدث في كيسمايو وتسليم المدينة إلي صهر سياد بري اللواء مورقان ، وفي بداية مايو عام ١٩٩٣م ، تمكن اللواء عيديد من التوصل إلي مصالحة مع مجموعتين الأولي حركة الخلاص الديمقراطي الصومالي والاتحاد الوطني الديمقراطي الصومالي الذي يمثل سكان منطقة الأنهار قبائل راحنوين ، ولقد عقد عيديد اجتماعا ناجحا لبحث السلام في الفترة مابين ٢٨ - ٤ يوليو ، وقد سحب ممثلو الأمم المتحدة موافقتهم الأولي علي حضور ودعم ذلك الاجتماع ، ويبدو أنهم كانوا يريدون رئاسة الجلسة الافتتاحية ، ويتضح من هذا أن الصراع كان منصبا حول قيادة عملية تحقيق السلام ، وقد أعلن راديو مقديشيو التابع للواء عيديد بنتائج المؤتمر في الرابع من يوليو ١٩٩٣م ، وفي هذا الأثناء وافق عيديد علي النظر في أمر بعض التعليقات الإذاعية التي احتج الأمريكان بشأنها (٤٣) .

مؤتمر سودري : .

اجتمع الصوماليون أي قادة الفصائل في مؤتمرات كثيرة بعد مؤتمر المصالحة في أديس أبابا ١٩٩٣م والذي باء بالفشل بسبب التدخل الأمريكي ، ومن هذه المؤتمرات مؤتمرا نيروبي عام ١٩٩٤م ، ومؤتمر نيروبي الثاني ١٩٩٥م ، ولم تخرج جميع هذه المؤتمرات نتائج ملموسة بسبب الخلاف الحاد بين الفصائل وانعقاده خارج الصومال والتدخل الأجنبي .

وفي ٢٢ نوفمبر ١٩٩٦م إلي بداية عام ١٩٩٧م استضافت اثيوبيا المسئولة عن ملف الصومال مؤتمر سمته مؤتمر سودري نسبة إلي المدنية ، وحضر هذه المؤتمر تحالف علي مهدي ، وكُوّن هذا المؤتمر بمجلس سمي بمجلس الإنقاذ المكون من ٤١ عضوا يمثلون جميع الفصائل بزعمهم ويتفرع عنه ١١ عضوا تنفيذيا يختاره رؤساء يتناوُبون في الرئاسة بالتساوي ، وصنف هذا المؤتمر عدد المشاركين في المجلس علي أساس قبلي ، علي أن يعقد بعد ستة أشهر مؤتمر صلح كبير في مدينة بوصاصو ، ولكن الفصائل الصومالية لم تشارك كلية في هذه المؤتمر ، وعلي سبيل المثال غاب عن هذا المؤتمر تحالف حسين عيديد ورئيس جمهورية أرض الصومال محمد إبراهيم عقال اللذين لهما الثقل السياسي في منطقة الصومال ، ووصف حسين عيديد ومحمد عقال هذا المؤتمر بأنه لن يلبى احتياجات الصومال ، واتهما إثيوبيا بالتدخل في شئون

الصومال الداخلية ، ورفضا الاشتراك في مؤتمر بوصاصو ، وقامت إثيوبيا بعد ذلك بتدريب وتسليح بعض الفصائل الموقعة علي الاتفاقية ، مما زاد في شكوك حسين عيديد ومحمد إبراهيم عقال وتنديدهما بإثيوبيا للتدخل السافر في الشئون الصومالية ، ووعدت بعض دول الخليج بإيجاد التمويل اللازم لانعقاد المؤتمر مثل حكومة قطر ،ولكن الحكومة المصرية التي لديها مصالح في المنطقة وصاحبة الإرث الثقافي في الصومال شكت في هذا المؤتمر الذي تديره إثيوبيا وأيدت موقف حسين عيديد ومحمد إبراهيم عقال (٤٤)

أسباب فشل مؤتمر سودري :

١- غياب تحالف حسين عيديد ومحمد إبراهيم عقال من الاتفاقية

٢- تذبذب علي مهدي ، والذي رأي أن هذا المؤتمر خطر علي مصالح قبيلة الهاوية ، وأن العاصمة ستتحول من مقديسو إذا انعقد هذا المؤتمر في بوصاصو.

٣- تصالح عثمان عاتو مع حسين عيديد واتفقا علي أن يعقد المؤتمر في مقديشيو

٤- أوقفت الدول العربية التمويل بسبب الدعاية المصرية

٥- بروز خلاف بين مجلس الإنقاذ نفسه

اتفاقية القاهرة :

قامت الحكومة المصرية باستضافة الفصائل الصومالية المتناحرة جميعها ، فصيل عيديد ومجلس الإنقاذ ، أي فصيل علي مهدي في ١٩٩٧/١١/١٦م ، ذلك نتيجة للتنافس الدولي في الإقليم الذي تقوده إثيوبيا بدعم الولايات المتحدة والحكومة المصرية بمساندة الدول العربية وجامعة الدول العربية .

افتتح الجلسة وزير الخارجية المصري عمرو موسي وحث الصوماليين أن يطرحوا جانبا من خلافاتهم ، وبعد انتهاء الافتتاحية باشر المؤتمرون أعمالهم بصورة غير طبيعية تختلف عن المؤتمرات السابقة كما وصفها مراقون للشئون الصومالية .

عرض فصيل عيديد تقسيم السلطة علي أساس حزبي وعرض فصيل علي مهدي أن يكون التقسيم علي أساس قبلي أثني ، ولكن أخيرا عملوا دمجا بين الفكرتين ومالت الفكرة الأقوي أن يكون التقسيم علي أساس قبلي وإقليمي ، وبعد مداولات كثيرة وتوقف وعدم تنازل كل من الطرفين وتدخل الحكومة المصرية عدة مرات لمواصلة المؤتمر توصل المؤتمرون علي أيكون ذلك شكل الدولة برئيس ومجلس رئاسي يتكون من ثلاثة عشر عضوا من جميع القبائل ومتساون في السلطة ورئيس وزراء ، ولكن اختلف في أمر تعيينه علي أن يتم خلال المؤتمر أم في مؤتمر الصمالحة القادمة ، وأخيرا

اتفقوا علي أن يعين في المؤتمر القادم ، واتفقوا أيضا أن يعقد المؤتمر القادم في بيداوا بعد مداولات كثيرة ومخالفات حادة واتفق المؤتمرون أيضا في ٣/١٢/ ١٩٩٧م أن يكون عدد المشاركين في المؤتمر أي نواب القبائل الصومالية ٤٦٥ عضوا (٤٥) حاولت السفارة الإثيوبية في القاهرة التعرف علي كيفية المؤتمر والتدخل فيه وحاول كذلك مسئولون ايطاليون ، ولكن الحكومة المصرية نقلت المؤتمر من فندق مريديان إلي فنادق عسكرية وابعدت الصحافة والدبلوماسيين الأجانب الآخرين ، وفي ٢٩ نوفمبر وقعت جميع الفصائل الصومالية الاتفاقية ماعدا مندوبي حركة الخلاص الصومالي والذين ذكروا أنهم سيستشيرون مؤيديهم ، ولكن أخيرا وقع رئيس الحركة ورفض التوقيع عبدالله يوسف الممثل الثاني لحركة الخلاص الصمالي ، وخرج عن المؤتمر هو والرئيس فصيل SPM آدم عبدالله قبيو واتهمها مصر بالانحياز نحو حسين عيديد ووصلا إلي اديس ابابا ، وقد نجحت إثيوبيا باستمالتهما لتحقيق شيء من أهدافها وأغرتهما بالسلاح لسحب مركز الثقل من القاهرة

أسباب فشل اتفاقية القاهرة :

١- قامت اثيوبيا باستمالة بعض الفصائل وتبادلت مع مصر الاتهامات مدعية أنها المسئولة الوحيدة عن ملف الصومال .

٢- عندما اجتمع مجلس الإنقاذ بقيادة عبدالله يوسف وآدم قبيو في أديس ابابا عرضا شروطا جديدة وليست من ضمن اتفاقية القاهرة لعرقلة المؤتمر واتفاقياته ، ومن هذه الشروط سحب عيديد قواته من بيدوا قبل شهر من بداية المؤتمر المزمع عقده في بيدوا ، وأن يكف حسين عيديد عن إدعائه أنه رئيس جمهورية الصومال .

٣- عدم استقرار منطقة بيدوا بسبب الحروب المتواصلة بين حسين عيديد وقبائل الرحنوين .

٤- رفض رئيس جمهورية أرض الصومال جميع بنود اتفاقية القاهرة ، ووصفها بأنها تخص أهل الجنوب وحدهم .

٥- اشتداد الخلاف في داخل مجلس الإنقاذ .

٦- فقدان التمويل اللازم للمؤتمر .

٧- عدم الثقة المتبادلة بين قادة الفصائل الصومالية .

٨- رفض حسين عيديد إخلاء بيداو إلا أن تشكل الفصائل المتفقة في القاهرة جيوش حمي السلام والأمن في المنطقة .

مقارنة بين الصلح القديم لدي الصومال في البادية والصلح الحديث :

كان الصوماليون القدماء في البادية وحتي الآن في البادية الصومالية وخاصة السلاطين والملوك والأوجاس والجراد والملاق والوبر يقومون بالصلح بين القبائل الصومالية الرعاة بدون قوات شرطة ، بل كان التنفيذ يتم بالشوري والاحترام المتبادل ، والاعتقاد الراسخ لدي عامة الصوماليين أن دعاء السلطان علي شخص ما ، يؤدي إلى هلاكه والأمراض المزمنة ، وكان السلطان يتفادي تحريض قبيلته علي الحرب غالبا (٤٦) .

ومن الناحية الثانية كان الصوماليون القدماء يحترمون العلم والعلماء ، لذلك كان العلماء التقليديون من العناصر الأساسية في إقامة الصلح بين القبائل الصومالية ، وإذا قامت حرب بين قبيلتين كانوا يلبسون ملابس بيضاء ويتقلدون بالكتب ويقفون بين القبيلتين المتحاربتين وينصحون بالكف عن الحرب والاحتراب وإلا يدعون علي القبيلة التي ترفض السلام وأحيانا كثيرة كانت تتوقف الحرب بسببهم .

كيفية الصلح :

إذا وصلت القبيلتان إلي الصلح وتم الاتفاق فتعد كل قبيلة قتلاها في الحرب ، فإذا تساوي عدد المقتولين ، فإن كلا الطرفين يتبادلان الزواج والعيش الكريم والصلح وعدم تكرار هذه الحادثة ، وأما إذا ادعت قبيلة أن عدد قتلاها أكثر من القبيلة الأخري تدفع الأخري الدية ويتم السلام بعدها (٤٧) .

الأماكن التي يرتكب فيها القتل والنهب الفاحش ، فإن الصوماليين كانوا لايسكنونها ويفرون منها مثل الأماكن التي هلك فيها عاد وثمود والتي أمر الرسول صلي الله عليه وسلم اصحابه في إحدي غزواته بتجاوزها بسرعة ، وكان الصوماليون يتطيرون من مثل هذه الأماكن ويقول الشاعر الصومالي عبدي جهير يصف أحد الأماكن التي فعل فيها النهب والقتل الشنيع يقول في أحد أبياته :

لايقرأ القرآن الطلاب فيك
ولايفرح فيك العرس
ولايمرح فيك الإبل ذات الرخاء والغنم
هل هناك ثمة مستقبل لهذا المكان ؟
أقتل فيها علماء أشراف ؟
أم قتل فيها أيتام ؟ (٤٨)

وإليك نصه :

Ar do kaama bulaanto

Aroos kaama eiyaaro

Isu - reemaha geeliyo

Adhi kaama dareero

Meeshu aayo la, aa

Ma wadaado Ashraafiyo

Agoon baa lagu laayey

التقاليد الصومالية القديمة تحرض علي الاحتراب ونهب الإبل ، حيث كان يكتسب المقاتل والمحارب الصفات الحميدة في أوساط القبيلة ، بينما يتصف المصلح بالصفات الذميمة مثل الجبن والخوف والكسل ، وإذا رأي الأب من أحد أبنائه اللين كان يرسله إلي هرر لتعلّم العلم الديني (٤٩) :

إذن ماهي المعوقات الرئيسة أمام المصالحات الوطنية ؟

يتضح من خلال المقارنة بين النظام الصومالي القبلي القديم والنظام الصلحي الحديث أن الأمـــة الصومالية أمة حرب وكما يقول المثل الصومالي Dagaal gon- dahaaguu ka dhashaa أي أن الحرب تنشأ بين قدميك يعني لابد أن تكون مستعدا للحرب في أي وقت . ومن الأسباب التي تقف أمام المصالحات الوطنية المتكررة في الساحة الصومالية :

١- الثأر والانتقام بين القبائل الصومالية .

٢- العلماء الصوماليون التقليديون ليسوا سياسيين لإيقاف الحروب كما وصفها لويس في كتابه Modern History of Somaia لذلك يستخدمها الساسة لأغراضهم السياسية .

٣- السلاطين القدماء كانوا يرعون التقاليد والعادات الصومالية ، أما السلاطين في الوقت الحالي فجلهم متعلمون فبعضهم خريجو جامعات فاختلط دورهم بالدور السياسي وتم التحالف بينهم وبين السياسيين في القبيلة مما أضاع دورهم في إيقاف الحروب وجلب المصالحة .

٤- اختلاط البدو والحضر الحياة المدنية والحياة البدوية إذ يقل تماما وجود شخص يخلو من أفكار البادية .

٥- تنافس قادة الفصائل عبر الزمن منذ الاستقلال وقبله حتي اليوم .
٦- الخوف من المستقبل إذ تري كل قبيلة أنها إذا تنازلت عن موقعها واستولت قبيلة أخري علي السلطة ، فإنها تسير نفس مسار القبيلة السابقة في الحكم وتهمش دور القبائل الأخري في السلطة .
٧- يوجد في داخل الفصائل مجرمو الحرب والذين أهلكوا وخربوا البلاد .

المبحث الخامس : كيف يحكم الصومال ؟

تقوم صيغة الحكم في دولة جيبوتي منذ الاستقلال علي أساس قبلي عرقي يعطي السيطرة السياسية لقبائل العيسي المنتشرة في شمال الصومال وإثيوبيا علي قبائل العفر التي تمتد فروعها في كل من ارتريا واثيوبيا ، فرئيس الجمهورية من العيسي ورئيس الوزراء من العفر ، ولكن سلطاته محدودة (٥٠) وكل المناصب وزعت علي أساس قبلي حتي البرلمان بين العفر والعيسي والقبائل الصومالية القاطنة في جيبوتي مثل الإسحاق والجدبورسي والجالية اليمنية ، ولو أن هذا يسير بمعاونة الحكومة الفرنسية ودعمها لميزانية الحكومة ، إلا أن هذا النظام معرض من حين لآخر لبركان قبلي ، ويعتبره بعض المراقبين السياسيين مستقرا بسبب التفاهم القبلي بين القبائل وقناعة كل قبيلة بحصتها من السلطة ، فهل يمكن تطبيق مثل هذا النظام في الصومال ؟ وهل تقتنع كل قبيلة بما حدد لها من مناصب ؟

سيجيب الباحث عن هذه السؤالين وأسئلة أخري من خلال هذا المبحث .

الفهم في دراسة القبائل الصومالية شيء صعب معقد للغاية وذلك بسبب اختلاط النظام السياسي الحديث بالنظام القبلي الصومالي والتقاليد الصومالية والأعراف المتبعةبين القبائل .

استطاع سياد بري أن يقود الصومال لمدي ٢١ عاما بيد من حديد تسانده قبيلته وقبائل متحالفة أخري ، إضافة إلي ذلك أنه اكتسب الشرعية الدولية ، حيث وجد المساندة الاقتصادية والعسكرية عن طريق الدول العربية والدول الغربية والشرقية ، وكل المنظمات الدولية وغير الحكومية ، فاستخدم القمع والقهر ضد القبائل المعارضة قبيلة تلو أخري حتي كثرت القبائل المعارضة لنظامه ، ومن العادات الرئيسية بين القبائل الصومالية إذا هزمت قبيلة ما في الحرب ولم تأخذ بثأرها بعد هزيمتهاتفقد شرفها بين القبائل ، ويكون ذلك عارا عليها ولاتحترمها القبائل الأخري ولايتزوج من

بنائها ولايسمح لهم بالزواج من بنات القبائل الأخري إلا بعد إزالة هذا العار الذي لحق بهم في المعركة .

فمثلا القبيلة الإسحاقية عندما تحالفت القبائل الصومالية ضدها بقيادة قبيلة الدارود بزعم القبيلة الإسحاقية تحت مظلة الحكم العسكري قامت قبيلة دارود تحكم الحكم العسكري بالتطهير العرقي وتشتيت القبائل الإسحاقية ، وفي هذا الجو عزمت قبيلة إسحاق فيما بينها علي إزالة هذا العار وقامت بهجوم متواصل ضد الحكم العسكري القبلي وقبائله المتحالفة معه ، وترك الشبان المدارس الحكومية ، وفي كل مرة كان يحصل فيها اضطهاد في الشمال كان ينضم إلي الحركة الوطنية الصومالية آلاف من طلبة لمدارس الصومالية والجامعة الوطنية ، وحتي الشيوخ والنساء ساندوا الحركة الوطنية الصومالية وقام تجار قبيلة الإسحاق والذين يسيطرون علي تجارة الصومال وتجارة دول شرق إفريقيا والمصدرين الأساسيين للمواشي إلي دول الخليج بتحويل تجارتهم إلي الدول المجاورة ، عندما قام سياد بري بإغلاق ميناء بربرا الرئيس أواخر عام ١٩٨٤م واستيلائه علي كل ممتلكات قبيلة الإسحاق من عربات وبضائع أخري .

تحول الصومال إلي بلد فقير وارتفع سعر العملة الأجنبية وزاد غلاء المعيشة بسبب التنافس بين قبيلة الدارود الممسكة بمقاليد الحكم وقبيلة الإسحاق ، والتي قامت بحصار تجاري ضد الحكومة العسكرية الدارودية ، إضافة إلي ذلك قام التجار الإسحاقيون المقيمون بالدول العربية والذين يتمتعون بالجنسية السعودية والدخول المسبق في دول الخليج والدول الأوربية بدعم ومساندة الحركة الوطنية الصومالية اقتصاديا وماديا ومعنويا والدعاية الإعلامية ، وقبل بدء الدعم كان سياد بري يتهم أي تاجر من قبيلة الإسحاق بالتواطوء مع الحركة الوطنية الصومالية مما أدي إلي عصيان قبلي واضح وأخيرا أجبر قبيلة الإسحاق علي القيام بثورة عارمة لاستعادة مركز نفوذها في السياسة القبلية في الصومال ، إضافة إلي ذلك ساند البدو الرعاة من قبيلة الإسحاق في القري والبوادي والمناطق الحدودية بين أثيوبيا والصومال الحركة الوطنية الصومالية بالمواشي والإيواء والاشتراك في الحروب كما سلحت الحركة الوطنية الصومالية رعاة الإسحاقيين بالسلاح للدفاع عن أنفسهم ضد القبائل الدارودية التي تساندها الحكومة ، وكانت القبيلة الإسحاقية باقتصادها القوي حررت المناطق الشمالية من الحكم العسكري القبلي بعد تسع سنوات من كفاح طويل ، واستعادت

هذه القبيلة شرفها التقليدي ، في أوساط القبائل الصومالية الأخري وأزالت العار عن نفسها . فالقبائل الصومالية مثل قبائل الجاهلية العربية قبل الإسلام فرعاية السمعة وشرف القبيلة في الصومال شيء أساسي في الحياة اليومية ، وتري القبيلة الإسحاقية أن لها الحق في رئاسة الوزراء لكونها بادئة الوحدة القومية وتضحيتها الكبيرة حول الوحدة وتنازلها عن العاصمة وتقسيم المقاعد البرلمانية بالتساوي ايضا ، ولأنها تمثل الأكثرية في الشمال ، وأنها عانت من الحكومات المتعاقبة سوء الإدارة والتصرفات غير السلمية مما أدي إلي تدمير القبيلة وكل مؤسساتها الاقتصادية والمدنية .

ويري الإسحاقيون أن إقامة معرض لملكات الجمال في هرجيسيا عام ١٩٨٦م يعطي دلالة علي عبث سياد بري بالمشاعر الدينية للإسحاقيين (٥١) .

أعلنت الحركة الوطنية الصومالية بمساندةقبيلة الإسحاق حكومة انفصالية في المناطق الشمالية بعد الاستيلاء عليها من قوات الرئيس السابق محمد سياد بري ، وعادت إلي ماكانت عليه قبل الاستقلال (جمهورية أرض الصومال) ، فرغم الهدوء والاستقرار النسبي في جمهورية أرض الصومال ، فقد نشبت معارك مسلحة في كل من بربرا وبرعوا وهرجيسيا بين مختلف فروع قبيلة الإسحاق (هبر أول جرحجس ، هبر جعلوا ، هبر يونس) كلتا حكومتي عبدالرحمن (تور) وحكومة محمد إبراهيم عقال ، حيث دار الصراع حول خطط الحكومة في نزع سلاح المليشيات العسكرية بهدف تكوين جيش وطني وقوات أمن (٥٢) بتدخل مجلس الشيوخ للإسحاقيين الذي كون عام ١٩٨٩م من حين لآخر لإيقاف الحروب ونجح فعليا في إيقاف الحروب وتكوين جيش موحد للجمهورية الانفصالية.

ويعود ذلك الهدوء الذي يشهده الشمال إلي أن يتفق الأسحاقيون بفصائلهم العشائرية والقبلية علي أنه بالإمكان التعايش تحت مظلة واحدة (٥٣) إضافة إلي ذلك تحترم القبيلة الإسحاقية (الحير الصومالي) القديم والقربي الرحمية .

وتمتلك حكومة محمد إبراهيم عقال الآن في جمهورية أرض الصومال أسلحة ثقيلة وجنود ا مسلحين بخبرة قتالية عالية لاتقل عن عشر سنوات ولايقل عدد الجنود المسلحين في هذه المنطقة عن سبعة آلاف جندي تسيطر علي الوضع في شمال الصومال ، ولو أن المنطقة في قبضة عقال إلا أنه توجد مناطق توتر مثل برعوا بسبب التنافس التقليدي بين قبيلة هبريونس وقبيلة هبرجعلو إحدي فروع قبيلة الإسحاق ، والتي تكون دائما معرضة لانفجار قبلي ، إضافة إلي ذلك فهناك مناطق بسيطة بعيدة

عن سلطة عقال ، ولكنها تخضع لنظام الشرطة المحلية والعرف القبلي ، وتفادي عقال إثارة مشاعرهم القبية ، وهناك أيضا مناطق يقطنها جزء من قبيلة الدارود التابع لعقال والتي يؤيد بعضها عقال وآخر يعارضه وهي مناطق طلبهنتي وورسنجلي أحد فروع قبيلة الدارود ، إلا أن عقال يبدو أنه يتمتع بتأييد ما في هذه المناطق بسبب إغداقه المال للشيوخ وسلاطين القبائل بحنكته السياسية وخبرته الواسعة في شئون القبائل .

مجلس الشيوخ في جمهورية الصومال (قورتي) Guurti

أسس مجلس الشيوخ عام ١٩٨٩م ، وكان أعضاؤه آنذاك ٩٥ عضوا ، حيث أسس في إثيوبيا ، ولكن بعد استيلاء الحركة الوطنية الصومالية علي مناطق الشمال عام ١٩٩١م ، وسعت الحركة المجلس ليضم القبائل غير الإسحاقية القاطنة مع الإسحاقيين في المنطقة مثل جدبورس ، عيسي ، طلبهنتي وورسنجلي ، وبلغ أعضاؤه ١٥٠ عضوا وزعت علي القبائل حسب الكثافة العددية لكل قبيلة ، وهو أعلي سلطة في الهرم السياسي لجمهورية أرض الصومال ، وهو الذي انقذ هذه المنطقة من الحروب القاسية ، ولو أن معارضي عقال يتهمونه بالسيطرة علي مجلس الشيوخ إلا أن هذا المجلس يتمتع بسمعة طيبة لدي القبائل المختلفة في المنطقة .

مهام المجلس :

١- حفظ السلام وحل المشاكل بين القبائل

٢- وضع القوانين (الحير) القبلية متبعا التقاليد والعادات الصومالية والشريعة الإسلامية .

٣- دعم الحكومة خاصة في أمور الدفاع والاقتصاد والأمن والأمور الاجتماعية .

٤- الدخول في الأمور السياسية ، وحل الخلافات السياسية ، وإذا حصلت ظروف قاسية ولم تستطع الهيئات الحكومية مباشرة تنفيذ أعمالها يدعو المجلس إلي مؤتمر صلح كبير يضم جميع القبائل .

٥- إذا صدر قرار أو قانون من البرلمان فلابد أن يمر علي مجلس الشيوخ (٥٤) .

شجرة النسب لقبيلة الاسحاق

شيخ إسحاق

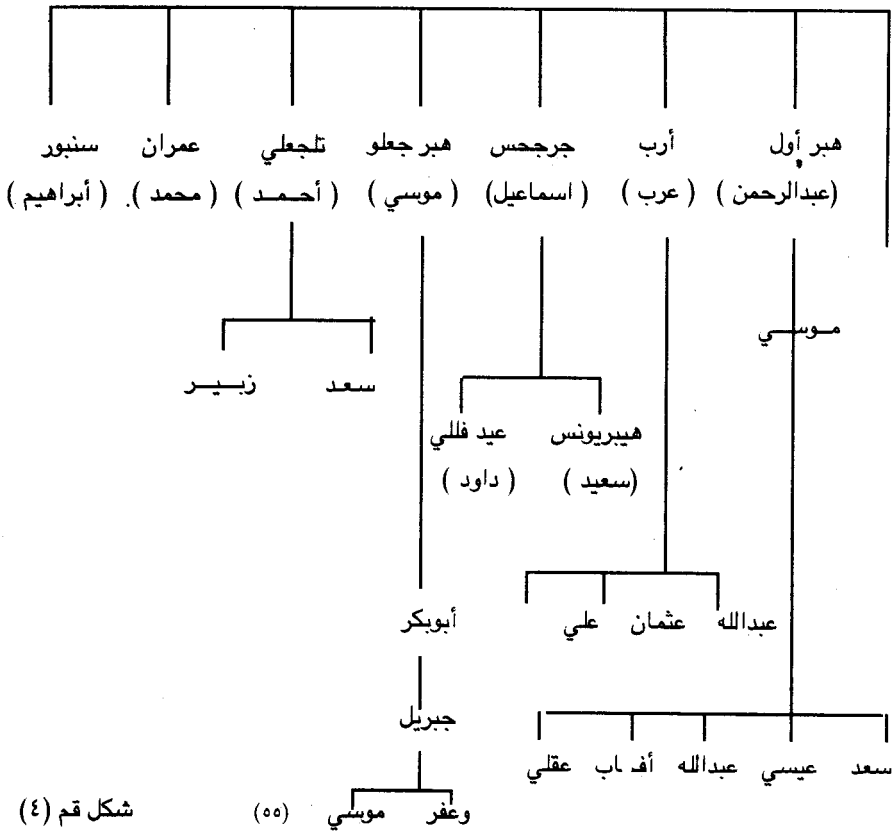

شكل قم (٤) (٥٥)

النظام الإداري لقبيلة إسحاق

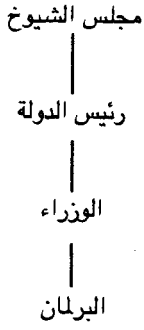

شكل رقم (٥)

قبيلة الهاوية :

أما قبيلة هاوية فتعتبر كبري القبائل الصومالية من حيث التعداد والكثافة السكانية ، وهي عريضة الانتشار ولكنها قبيلة بلا سيادة لاتحترم القانون الصومالي (حير) ولو أنها سابقا كانت تندرج تحت إمارة واحدة ، إلا أنها في الوقت الحالي قبيلة بلا إمارة ، مما أدي إلي انقسامها إلي فئات وفصائل أربعة رئيسية ، علي مهدي ، عيديد ، عثمان عاتو ، موسي سودي يلحو ، ومن الأسباب التي أدت إلي تفكك القبيلة وعدم احترام سلطة السلاطين والشيوخ مايلي :

أولها : لأنها قبائل زراعية أو معظمها زراعية ، والقبائل الزراعية لا تلتزم بالتسلسل النسبي والقربي الرحمية .

ثانيا : تمركز الحكم العسكري في الجنوب ومحوه النظام القبلي المعروف لدي قبائل الهاوي ، وكذلك قام الجنرال عيديد الراحل بدوره بمسح سلطة شيوخ القبائل.

ثالثا : التنازع علي الأراضي ، حيث تستولي قبيلة هبرقدر علي أراضي قبائل أخري في الجنوب سواء أراضي قبائل الرحنوين وبعض أراضي وقبائل الهاوية الأخري .

رابعا : التعداد السكاني الكثير وانتشار قبائل الهاوية في إثيوبيا وكينيا ودخول أجناس كثيرة غير الهاوية في نسب الهاوية .

وقد حاول اللواء عيديد توحيد قبيلة هاوية تحت إمارته وحقق نصرا كبيرا ضد القبائل الدارودية بتعقبه سياد بري وطرده من البلاد وبقاياه ، كما هزم الولايات المتحدة وقوات الأمم المتحدة في مقديشيو عام ١٩٩٣م ، واكتسب سمعة كبيرة فى أوساط قبيلة هاوية والعالم ، إلا أن بعضهم أيد علي مهدي منافسه في القبيلة فخد(أبقال) الساكن في مقديشو وحولها وأخيرا تم اغتيال بطل قبيلة الهاوية .

أما قبيلة الدارود فمنذ أواخر عام ١٩٩٧م كانت تخطط لإقامة نظام إقليمي تحت مسمي (بنت لاند) علي غرار جمهورية أرض الصومال بعد يأسهم من المصالحات الوطنية ، ولو أنهم يختلفون في قيادة الدولة الإقليمية ، إلا أنهم عزموا علي إقامة حكومة إقليمية تجمع شتات قبيلة الدارود ، والتي تنقسم إلي قسمين قسم في كسيمايو المتنازع عليها بقيادة صهر الرئيس السابق اللواء مورقان في الجنوب الأقصي وقسم في الإقليم الأوسط من بلاد الصومال ، وتخلله قبيلة هاوية العدو التقليدي بالنسبة لهم ، إلا أن مشاعر القربي والرحم والأهداف المشتركة للقبيلة تجمعهم . النظام التقليدي الصومالي (الحير) مقدس لديهم ونظام الشيوخ والسلاطين كذلك متبع في قبيلة الدارود وتشترك معها في هذا قبيلة الإسحاق لكونهما من أهل الرعي الذين يقدسون قرابة الرحم .

لتسلسل النبسي لقبيلة هاوية

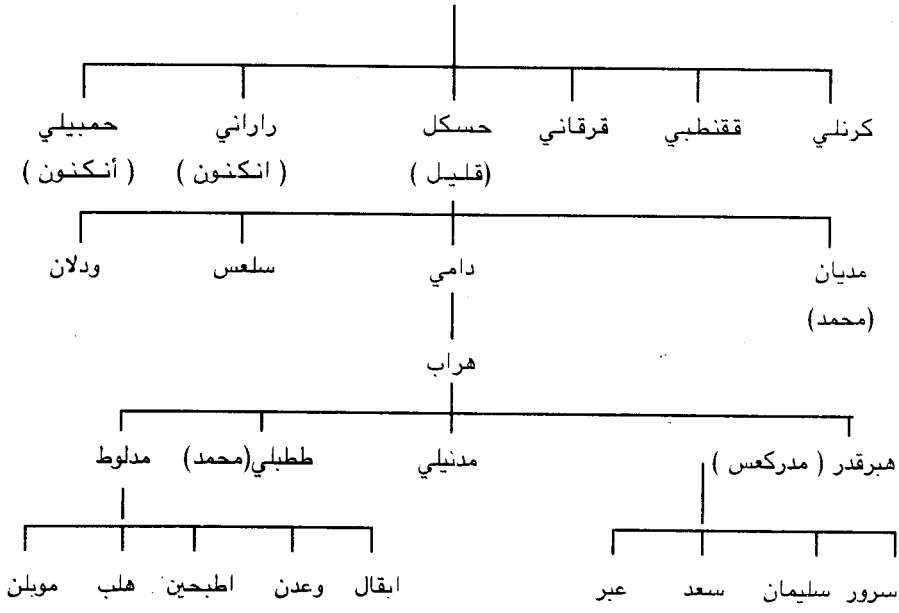

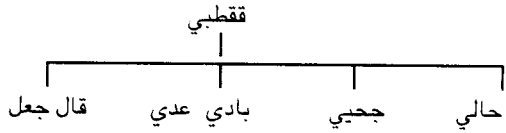

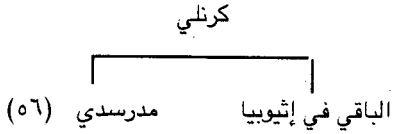

النظام الإداري لقبيلة الهاوية

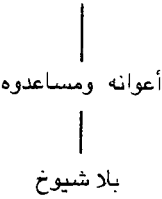

شكل رقم (٧)

شجرة النسب لقبيلة الدارود
شيخ إسماعيل جبرتي

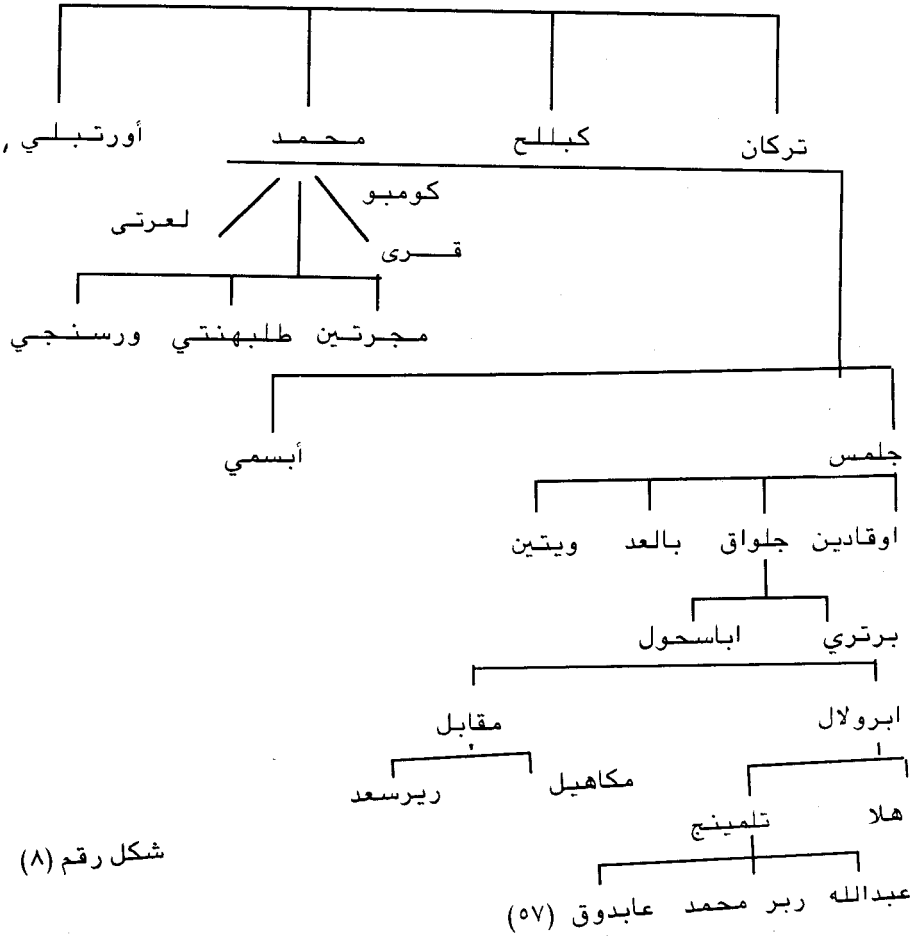

شكل رقم (٨)

النظام الاداري لقبيلة دارود
بوقر أو أسم أو أجاس

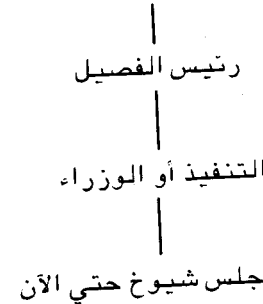

شكل رقم (٩)

تؤمن قبيلة الدارود أن قبيلة الهاوية ليس لديها خبرات وتجربة موروثة في الحكم والإدارة (٥٨) بينما تري قبيلة الهاوية أن من حقها قيادة البلد لأنها تسيطر علي العاصمة الصومالية ولايمكن لأي قبيلة أخري أن تناسفها في رئاسة البلد بينما تري القبيلة الإسحاقية أن من حقها رئاسة الوزراء لكونها المبادرة بالوحدة وقائدة الأقاليم الشمالية ، ولكن منح الإسحاقيون رئاسة الوزراء ولكنهم آثروا الانفصال ومع أن المثقفين الصوماليين يظهرون أنهم مع الوحدة لكنهم يتحدثون عن نفوذ قبائلهم وكيف تستطيع السيطرة علي موارد جزء من البلاد ، والبعض من هؤلاء لايتردد في الاستشهاد بالتاريخ ، لتأكيد صدارة قبيلته علي القبائل الأخري المنافسة لها في الحياة والكثافة والنفوذ (٥٩) .

وقد تحدثت بعض الصحف والإذاعات في الآونة الأخيرة عن احتمال ظهور كابيلا ثان في الصومال .

وقد تحدثت هذه المصادر التي تقوم بمجرد تغطية إعلامية بخطوة محتملة ستقوم بها إثيوبيا باحتياج الصومال ، الذي بدأ فعلا في بعض المناطق ، بأن كابيلا الصومال سيحصل علي ثقة المجتمع الصومالي ، ويستخدم القهر حتي يسيطر علي كامل الأراضي الصومالية ، وتحدثت هذه المصادر عن أن هذه الخطوة ستكون مطلوبة بعد فشل مؤتمرات المصالحة الوطنية التي عقدت هنا وهناك، إلا أنه رغم كل ذلك فإن ظهور كابيلا ثان في الصومال مازال أمرا بعيد الاحتمال للأسباب الآتية :

أولا : إن كابيلا الكنغو كان يعتبره كثيرا من الزائريين رمزا قوميا ، حيث كان من زمرة الزعيم الكنغولي لومبا ، ومن أصدقائه ، أما في الصومال فليس محتملا ظهور زعيم قومي أو رمز وطني وسط هذه الفصائل إلا أن يأتي شخص غير معروف أصلا للشعب الصومالي ، وفي هذه الحالة فلن يكون رمزا قوميا ، لأن الرمز لابد أن يأخذ شهرته ويكتسب شعبيته من شعبه ، صحيح أن هناك الكثير من الرجال المخلصين في الصومال ، ولكن بروزهم المفاجيء علي الساحة الصومالية السياسية القبلية مثل كابيلا الكنغولي لن يكن أمرا سهلا في الظروف الراهنة .

ثانيا : إن كابيلا الكنغولي كان يحارب نظام موبوتو المتهالك وقواته الهشة التي لم تكن تتمتع بأي معنويات قتالية .

أما كابيلا الصومالي فسيواجه وضعا لاتوجد فيه حكومة مركزية ، حيث توزع الشعب علي القبائل ، وكل قبيلة تمتلك أسلحتها وتحارب تحت راية زعيمها إلى آخر

شخص ، مما يجعل كابيلا الصومالي سفاكا للدماء ومعقدا للأزمة الصومالية .

ثالثا : إن كابيلا الكنغولي ، لم يكن يقود التونسي فقط ، بل كان يقود تحالفا كبيرا، كما أنه لم يكن منحدرا من التوتسي أو الهوتو القبيلتين المتصارعتين ، أما كابيلا الصومال فسوف يجد دعمه من أحد التحالفات في الصومال ، وفي حالة تلقي دعمه من أحد التحالفات فسيواجه التحالف المضاد وجها لوجه مما يؤثر سلبا علي حياده ويطيل أمد الحرب ويزيدها اشتعالا .

فهل يمكن أن تسلح إثيوبيا إحدي الفصائل الصومالية وتتولي بنفسها عملية الغزو وتتستر تحت مظلة أشخاص صوماليين تدعي أنهم يمثلون كابيلا جديد في الصومال ، والذي لايمكن أن يظهر في الظروف الراهنة في الصومال والتي انقسم الشعب فيها إلي قبائل مختلفة متنازعة متناحرة (٦٠) .

نظرية القوة في الصومال :

هل يمن أن تسيطر قبيلة من القبائل الصومالية علي الصومال بالقوة ؟ وماهي هذه القبيلة ؟ وكيف تجد الدعم ؟

حاول اللواء عيديد أن يسيطر علي الصومال بالقوة فاستولي علي معظم الأقاليم الجنوبية بمساندة قبيلته هبرقدر الرعوية التي تسودها الروح القتالية ، فبداية من جالكعيو من الإقليم الأوسط حتي قرب كسيمايو أقصي الجنوب والتي وقعت في قبضته ، حتي العاصمة مقديشيو بسطِ نفوذه عليها ماعدا حي كاران التي يسيطر عليها علي مهدي المنتمي لفخذ (ابقال) ، إلا أن الأمم المتحدة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية جردت عيديد من السلاح أثناء عملية (إعادة الأمل) وسلمت كسيمايو للواء مورقان صهر الرئيس السابق سياد بري ، لكن اللواء عيديد حافظ علي المناطق الأخري عدا هذه المدينة حتي يومنا هذا بقيادة نجله حسين عيديد ، فهل يمكن أن تسلح الدول العربية قبيلة من القبائل الصومالية وتفرض بالقوة علي الصوماليين قبول بحكم يراعي مصالح البلد والبلدان العربية المسلمة ؟

يري الباحث أن قبيلة الهاوية وحدها لو تماسكت فيما بينها وحلت خلافاتها يمكن أن تسيطر علي الوضع في الصومال بتحالف مع أي قبيلة من القبلتين الرئيسيتين الآخريين الإسحاقية والدارودية ، والسبب هو أن قبيلة هاوية أكثر عددا من الناحية السكانية إضافة إلي ذلك تتمركز في العاصمة الصومالية التي ينظر إليها العالم ، لأن كل المؤسسات الحكومية والسفارات العالمية في العاصمة ، لذلك لاتجد القبائل الأخري

مفرا من قبول الوضع والاشتراك مع حكومة الهاوية ، ولكن يتبادر إلي الذهن سؤال آخر وهو هل يمكن أن تتفق قبيلة هاوية وتحل خلافاتها الداخلية ؟ هذا متروك للزمن إذ الزمن جزء من العلاج .

الصراع بين القبائل الهوتو والتوتسي في رواوندي ، وبروندي صراع عميق ، إضافة إلي ذلك فإن الإرث الثقافي الاجتماعي الذي ورثوه مختلف ، فبينما يتبع التوتسي الثقافة الإنجليزية يتبع الهوتو الكثير العدد الثقافة الفرنسية وكل منهما تجد الدعم من كلتا الثقافتين .

أما في الصومال الجنوبي كله فإن الإرث الثقافي من الهاوية والدارودية يتركز علي الثقافة الإيطالية ، بينما يتبع الإسحاقيون ولفيف من قبائل الدارود مثل طلبهنتي وورسنجلي وقبائل الدر مثل جدبورسي والعيسي الشمالية الثقافة الإنجليزية ، فهل يمكن أن تتحالف القبائل الصومالية علي أسس ثقافية وعرقية ومناطق جغرافية علي حساب القبائل الأخري ، ويعتقد الباحث أن هذا لايمكن نتيجة التفكك القبلي الواضح حتي في القبيلة الواحدة نفسها .

تشير بعض الأحاديث الشفوية الصومالية إلي أن أمريكا والغرب بصفة عامة كان يبحث منذ وقت عن شخصية صومالية تتمتع باحترام في أوساط القبائل الصومالية وعلي الأقل في معظمها إن لم يكن ، وتحدثت وسائل الإعلام الغربية في التسعينات قبل سقوط سياد بري بعام واحد مروجة لواحد من قبيلة هاوية فرع (أبقال) يسمي جمعالي وهو محامي مشهور في الصومال وكان يسكن آنذاك في ايطاليا بأنه سيكون سيكون مرشح الغرب بعد سياد بري ولكنه توفي فجأة ، ولم يجد الغرب شخصية بديلة أخري . ولقد وجدت وثائق في السفارة الأمريكية بمقديشيو تتناول توزيع القبائل الصومالية وأماكن وجودها وكأنه تحديد مسبق لإثارة الفتنة (٦١) والتقي الباحث بأحد الصوماليين أطلع علي هذه الوثيقة ، وتقول الوثيقة حسب تقسيمها للقبائل ، يمكن الاعتماد علي قبيلة (أبقال) من الهاوية المسيطرين علي العاصمة ، ويمكن الاعتماد من قبيلة الدارود علي قبيلة مجرتين لأنها أكثر تعليما بالنسبة للقبائل الدارودية ، ويمكن الاعتماد علي قبيلة سعد موسي وجرحجس من قبيلة الإسحاق في الشمال لأنهما الأكثر تعليما وأعلي اقتصادا بالنسبة لبقية القبائل (الإسحاقية) وتقيم الوثيقة القبائل من ناحية التعليم والاقتصاد والكثافة السكانية والمساحة الجغرافية لكل قبيلة و مدي قوتها .

وما حدث لهذه الوثيقة يماثل ما حدث للوثائق الصومالية والمتاحف الصومالية في مقديشيو وجرجيسيا التي ضاعت في ضجيج الصواريخ والنهب المسلح ، وهل ينسحب المجتمع الدولي من مسئولياته عن الوضع في الصومال إذا لم يجد قائدا؟ يعتبر محمد إبراهيم عقال محنكا سياسيا عجوزا فيه ميل للغرب ولديه خبرة واسعة في القبائل الصومالية منذ عام ١٩٥١م ، وحتي اليوم وهو متخصص في القبائل الصومالية ومشناعرها ومزاجها ويستطيع بخبرته أن يقود البلد إلي بر الأمان ، ولكن تواجه عقال مشكلتان رئيستان ، مشكلة تأتي من جمهورية أرض الصومال ، والقرار الشعبي في أرض الصومال وخوفه من سحب الثقة من حكومته وخوفه من المعارضة الداخلية ، وخاصة سياسي الحركة الوطنية الصومالية وضباطها و مشاكل اخري منها أنه ليس من أهل مقديشيو وبعبار أفصح لاينتسب إلي قبيلة الهاوية المسيطرة علي العاصمة ، وإنما ينتسب إلي قبيلة الإسحاق البعيدة عن العاصمة ، فهل يمكن مساعدته رغم كل هذا ؟ يري الباحث أن هذا شيء بعيد عن الواقع ولا تسنده الشرعية القبلية لدي الصوماليين .

إذا كيف يحكم الصومال ؟ هل يحكم بحكم فيدرالي عادل ؟ أم بحكم عسكري عادل ؟ أم علي أساس قبلي ؟ أم تحت وصاية عربية ؟ أو وصاية إفريقية أم وصاية الدول الأوربية ؟ يري بعض الصوماليين أن يحكم الصومال وتقسيم مراكز النفوذ علي أساس قبلي مرحلي ثم يطور هذا النظام إلي نظام فيدرالي عادل (٦٢) ويري البعض الآخر أن يكون حكم الصومال حكما عسكريا شموليا قويا عادلا يعيد الشرعية والسيادة في الصومال (٦٣) ويري بعض آخر أن يوضع الصومال تحت وصاية الدول العربية ، ولايمكن أن يوضع الصومال تحت وصاية إثيوبيا وكينيا وأي من دول الجوار بسبب العداء التاريخي بينها وبين دول الجوار وأن الوضع في الصومال يختلف عمّا حدث في ليبريا والتي أعادت دول غرب إفريقيا المسمي (أكموك) الشرعية والنظام بقيادة نيجيريا (٦٤) فهل يمكن أن تجتمع الفصائل الصومالية علي أسس قبلية وتقتسم الحكم علي أسس قبلية وفي أي مكان تجتمع ؟ وهل يمكن أن تجتمع في مكان ما وتتفق ؟

قادة الفصائل الصومالية بينهم عداء تاريخي وتنافس حاد منذ الاستقلال ، واختلفوا في الحكم عبر الزمن وهم نفس القادة في الستينيات عندما استقلت الصومال ،، ولايمكن أن يتنازل طرف لطرف آخر ، وكلّ يسعي لتهميش الطرف الآخر ، وابعاده من الساحة بأي طريقة ، فكل المصالحات الوطنية ماهي إلا مجاملات تقوم الفصائل

بإظهارها للدول العربية والإفريقية والغربية الذين لايدركون حقيقة الوضع الصومالي المعقد .وقد قال أحد أعضاء الفصائل وخاصة فصيل عيديد في لقاء مع الطلبة الصوماليين بالخرطوم عام ١٩٩٧م أنه حضر أحد المؤتمرات المصالحة في نيروبي عام ١٩٩٦م ، والذي استضافه الرئيس موي رئيس دولة كينيا ، وحث موي قادة الفصائل علي الصلح ودفعهم نحو ذلك وبعد الافتتاحية غادر موي قاعة الاجتماع وقال للفصائل وهو يقوم بزيارة لإحدي ولايات كينيا ، أفضل أن أراكم عند عودتي وقد اتفقتم علي شيء معين وبعد هذا- حسب كلامه - عاد كل فصيل إلي فندقه في نيروبي ، وقبيل مجيء الرئيس موي بقليل اجتمعت الفصائل ، وقال بعضهم لبعض لابد أن نراعي نفسيات الرئيس موي واحترامه لنا فنحن نعرف إننا لا نتفق ولكن لابد أن نقول شيئا معينا للرئيس موي نوضح فيه إننا نستطيع أن نتفق ، فكتبوا بنودا شكلية في ورقة مثل إزالة الحواجز في العاصمة وكف الدعاية بين الفصائل وغيرها من الأشياء التي لاتشير إلي شيء يذكر ، وفي الختام أعلنوا عن مؤتمر يعقد في مقديشو بعد أسابيع لذلك رحب الرئيس موي بهذه المبادرة الشكلية دون علم بلب الموضوع ، وقديما قيل اتفقت العرب علي أن لايتفقوا ، وهذا المثل يصدق علي الصوماليين ، وجملة القول إن كل فصيل يسعي لاكتساب الشرعية والاعتراف الدولي ولايسعي لتحقيق المصلحة الصومالية الكبري ، وكل مؤتمر صلح يفشل يعقبه مؤتمر صلح آخر والعملية تدور في فلك متناقض مستديم . درجت مصر علي مساندة القبائل الدارودية وكانت تصفها بأنها أكثر القبائل الصومالية عددا وعدة ، وكانت تساند الحكم العسكري القبلي راعية مصالحها في المياه النهرية في أثيوبيا ، وكانت تستخدم قبيلة أوغادين ضد إثيوبيا ورقة ضغط علي إثيوبيا ، أما عندما تصالحت قبيلة الدارود مع إثيوبيا في الوقت الحاضر رأت مصر أن هذا يضر مصالحها في المنطقة فعدلت رأيها وأيدت موقف حسين عيديد ، ودوره في المنطقة بوصفه المنافس الوحيد من الفصائل الصومالية في إثيوبيا ، فكل الفصائل الصومالية القبلية مرتبطة بالدول الغربية وإثيوبيا ، ومن الواجب علي كل فصيل أن يحسن علاقته مع إثيوبيا .

يقول بعض المؤرخين (إن التاريخ يعيد نفسه) فالقبائل الصومالية تمر بنفس المرحلة التي كانت فيها دول الطراز الإسلامي والتي كانت تدين وتدفع الضرائب لملك أمهرا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . قال سفير صومالي سابق في لندن نعرف كيف نحارب ولكن لانعرف كيف نقنع الناس لماذا نحارب (٦٥) .

نظم أمير الشعراء الصومالي محمد ورسمه إبراهيم هدراوي قصيدة في السبعينيات سماها (إذا قطع الدلو في بئر وال وال) والتي يعنيها المطرب موسي إسماعيل قلنلي ، ويتنبأ في هذه القصيدة بمستقبل الصومال ويصفه بأنه يكتنفه الغموض وكان ذلك بداية الثورة العسكرية في البلاد وإليك نص القصيدة :

Haday ceel walwaaaleed ku go , aan wadaamuha

waan waani dhacantee wadnahaan far kuahayaa

ووصف الشاعر الصومالي المشهور محمد حاشي قاري في شعر نظمه عام ١٩٩٧م وتحدث فيه عن مأساة الصومال والفصائل الصومالية المتنازعة واصفا إياها بالدوران في حلقة فارغة المضمون والمحتوي فقال في أحد أبياته :

دخلت سلحفاة في جحر زرافة

ودخلت زرافة في جحر السلحفاة

وهو شيء مستحيل أن تدخل السلحفاة في جحر زرافة لكون الزرافة بدون حجر ، ولايمكن لزرافة أن تدخل جحرسلحفاة لطولها الفارع ، فعملية المصالحة الوطنية تدور في فلك المستحيلات وهي في لف ودوران دون نتيجة ، وإليك نص القصيدة باللغة الصومالية (٦٦)

Cudurkanu ka daco wayn

Dalacaad labixiy , yo

Halka laga dayaaiyo

Ka da ' wayn dhilbaatadu

Dura iyo dhag , dheeriyo

Duub baa god goray galay

Goray baa god diin galay

Iska daba wareeg iyo

Helbelo isu duur xula.

وتقول أحدى القصص الصومالية المشهورة (منذ أمد بعيد خرجت الوحوش للصيد معا وعلي رأسها الأسد فقابل حملا فقتله وقسم اللحم تبعا للقسمة المعتادة ، فاستدعي الأسد جميع الوحوش ووسط نفسه متثائبا مكشرا عن أنيابه مظهرا قوته ، وزأر زئيرا مخيفا فارتعدت الوحوش ، ثم أمر الضبع ليقوم بتقسيم اللحوم . فقال الضبع نصف

اللحم للأسد العظيم والنصف الآخر لبقية الوحوش ، وسرعان ما التفت إليه الأسد وسدد لكمة للضبع أصابت إحدي عينيه فقلعتها من محجرها فترنح الضبع صارخا من الألم ، ثم اختار الأسد الثعلب قائلا : تعالي يا أم الثعالب دعنا نري إذا كنت تفوقين الضبع في تقسيم اللحوم ، فقالت الثعلبة دون تردد يا صاحب السمو أنت تأخذ الكرش والعظم والعظام والذيل والرأس والرقبة واللحوم جميعا ، فابتسم الأسد راضيا مسرورا قائلا :(أين تعلمت هذه القسمة الممتازة العادلة ؟ فأجابت تعلمتها من عين الضبع التي فقئت) (٦٧) . فمن يكون الأسد في الصومال ؟ ومن يقبل أن يوزع السلطة والنفوذ بالتساوي بين القبائل ؟ فلا أسد في الصومال ولا وازع فكلهم أسود فمن يقود القطار إذن ؟ فالمصالح الشخصية لرؤساء الجبهات ومن يدور في فلكهم هي التي تقف حجر عثرة في وجه تحقيق المصالحة الوطنية لأنهم يتمتعون في وضعهم الحالي بنفوذ واسع يشبه كثيرا النفوذ الذي يتمتع به الحكام ورؤساء دول العالم الثالث ، فكل واحد منهم يعتبر نفسه رمزا للنضال ، وتلتف حوله عصابات من أفراد قبيلته يأتمرون بأمره ويسبحون بحمده (٦٨) .

التنظيمات الإسلامية :

يتبادر إلي الذهن سؤال مهم وهو هل يوجد في الصومال أحزاب فكرية تؤمن بالتكتلات الفكرية ؟ إن الجبهات الإسلامية هي الوحيدة بين الفصائل الصومالية التي تعمل علي أساس أيديولوجي ، وحتي إن صح هذا فلا يمكن الجزم بأن قيادتها تخلو من المآرب الذاتية (٦٩). التنظيمات الإسلامية في الساحة الصومالية ولو أنها أسست في الستينيات إلا أنها مازالت في مرحلة التكوين والنشأة بعضهم تطور من النظام التقليدي الصومالي (حر) باللغة الصومالية Xerr أي نظام الحلقات في المساجد ، إضاف إلي ذلك تنقصهم الأفكار السياسية الحديثة وفهم السياسة الدولية . معظم أعمالهم تتركز في الشبان في العشرينات والأطفال والنساء ومدارس تحفيظ القرآن وغيرها ، وتعتبر حركات ثقافية وليست حركات سياسية ذات منهج سياسي واضح ، إضافة إلي هذا فإن البيئة القبلية الصومالية تحدد نشاطاتهم وأفكارهم . وتقول مدرسة الختمية الجغرافية (الإنسان ابن بيئته) فلا تخلو هذه الحركات من انعكاسات بيئية ، والصوماليون متشددون بطبعهم ، فظاهرة التشدد تسيطر علي الشباب الصومالي . وحتي الحيوانات يدور بينها صراع مستمر فالكلاب تهاجم القطط وتأكلها ، وكذلك القطط تهاجم الدجاج وتأكله أينما وجد ، فهل هذا شيء طبيعي في البيئة الصومالية ؟

هوامش الفصل الرابع :

١- مجلة السياسة الدولية الصادرة عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام القاهرة اكتوبر ١٩٩٢م ، العدد ١١٠ ص : ١٨ - ١٩

٢- نفس المرجع السابق ص : ٢٠

٣- مجلة الدراسات الاستراتيجية العدد الأول يونيو ١٩٩٤م الخرطوم ص : ١٦ - ١٧

٤- مجلة البحوث والدراسات العربية مرجع سابق ص : ٢٢١ - ٢٢٤

٥- نفس المرجع السابق ص : ٢٢٠ - ٢٢١

٦- نفس المرجع السابق ص : ٢٢٥ - ٢٢٦

٧- مجلة السياسة الدولية مرجع سابق ص : ١٧٠

٨- د. محمد علي توريارى : المجتمع المدين مرجع سابق ص :١٣٥ - ١٣٧

٩- مجلة الساسة الدولية مرجع سابق ص : ١٧٢

١٠- جريدة الراصد الإفريقية : إصدار نصف شهرية تعني برصد وتحليل الأحداث في منطقة القرن الإفريقي العدد ١٥٥٠ - ٣١ يناير ١٩٩٨م م ص : ٩

١١- رسالة إفريقيا العدد السادس ربيع الأول ١٤١٤ هـ اغس؛س ١٩٩٣م ص : ٦

١٢- مجلة السياسة الدولية مرجع سابق ص : ١٧٢

١٣- د. محمد علي توريارى : المجتمع المدني مرجع سابق ص : ١٣٢ - ١٣٥

An African watch report : Agovernment at war withits own people p. 69 p. USA January 1990

١٥- جريدة الشاهد السنة الثامنة العدد ٨٧ - ٨٨ نوفمبر ديسمبر ١٩٩٢ ص : ٢٢

١٦- مجلة البحوث والدراسات العربية مرجع سابق ص : ٢٢٧

١٧- عبدالعزيز المهنا : الصومال بين حياتين مرجع سابق ص : ٩٢

١٨- مجلة الاستراتيجية مرجع سابق ص : ١٩ -٢١

١٩- خالد رياض : الصومال الوعي الغائب مرجع سابق ص : ١٣٧ - ١٣٨

٢٠- مجلة الاستراتيجية مرجع سابق ص : ٢١- ٢٣

٢١- جريدة العالم ١٦ اكتوبر ١٩٩٣م العدد ٥٠٥ ص : ١٠

٢٢- مجلة الاستراتيجية مرجع سابق ص : ١١

٢٣- جريدة العالم مرجع سابق ص : ١١

٢٤- مجلة الاستراتيجية مرجع سابق ص : ١٥- ١٦

٢٥- نفس المرجع السابق ص : ١٩ - ٢٣

٢٦- نفس المرجع السابق ص : ١٩

٢٧- مجلة البحوث والدراسات العربية ، مرجع سابق ص : ٢٠٢

٢٨- نفس المرجع السابق ص : ٢٠٦ - ٢٠٧
٢٩- مجلة الدراسات الاستراتيجية العدد ١٠ يونيو ١٩٩٧م الخرطوم ص : ٧١
٣٠- جريدة الافتتاحية العدد ١٩ ٢ اغسطس ١٩٨٩م ص : ٣
٣١- مجلة الاستراتيجية العدد : ١٠ مرجع سابق ص : ١٠٩ - ١١٠
٣٢- مجلة مستقبل العالم الإسلامي مجلة يصدرها مركز الدراسات الاستراتيجية والجيوسياسية وقضايا سياسية وقضايا الاجتماع السنة الأولي العدد : ٤ خريف ١٩٩١م القاهرة ص : ١٤٠
٣٣- مجلة البحوث والدراسات العربية مرجع سابق ص :١٩٧ - ١٩٩
٣٤- جريدة الراصد الإفريقية العدد : ١٥٧ - ١٥ مايو ١٩٩٨م الخرطوم ص : ٥
٣٥- عبدالعزيز المهنا الصومال بين حياتين : مرجع سابق ص : ١٨٩
٣٦- نفس المرجع السابق ص : ١٨٦
٣٧- David Lait and Saids , Samatar Somali Nation in search of state p 155 P. 1987 USA
٣٨- مجلة البحوث والدراسات العربية ، مرجع سابق ص : ٢٢٧ - ٢٢٩
٣٩- مجلة رياض ، الصومال الوعي الغائب ، مرجع سابق ص : ١٠٧ - ١٠٩
٤٠- مجلة الاستراتيجية العدد الأول السنة الأولي ١٩٩٤ ، مرجع سابق ص : ٧٨
٤١- خالد رياض : الصومال الوعي الغائب ، مرجع سابق ص : ١٠٧ - ١٠٩
٤٢- جريدة الشاهد السنة الثامنة العدد : ٨٧ - ٨٨ ، مرجع سابق ص : ٢٥ - ٢٦
٤٣- مجلة الاستراتيجية العدد الأول السنة الأولي مرجع سابق ص : ٢٤ - ٢٥
٤٤- انظر : مؤتمر السودري الملحق رقم (٢)
٤٥- إذاعة BBC قسم الصومال ١٩٩٧/١٢/٣م
٤٦- Gudiga caalamiga ah ee laanqayrta eas Biri-ma- geydo(lama dilaan) Hab dhaqnkii Hore ee colaada .p 55 p. fevraaayo 1997
٤٧- IBID P. 58
٤٨- IBID P.7
٤٩- IBID P. 20
٥٠- خالد رياض : الصومال الوعي الغائب مرجع سابق ص : ١٠٦
٥١- عبدالعزيز المهنا : الصومال بين حياتين ، مرجع سابق ص : ١٢٤
٥٢- خالد رياض : مرجع سابق ص : ١١٨
٥٣- عبدالعزيز المهنا : مرجع سابق ص : ١٥٨
٥٤- انظر : اتفاقية بورما الملحق (١)

٥٥- مقابلة مع حسن علي علمي وهو رجل أعمال بالسودان الخرطوم ١٥/٧/١٩٩٨م
٦٥- مقابلة مع أبوبكر نور شورع : وهو قانوني الخرطوم ١٩/٧/١٩٩٨م
٥٧- مقابلة مع بشير حسن محمد وهو صحفي صومالي ١/٧/١٩٩٨م
٥٨- عبدالعزيز المهنا : الصومال بين حياتين مرجع سابق ص : ٦٥
٥٩- نفس المرجع السابق ص :١١٤
٦٠- الراصد الإفريقي ٤٣ - ١٥ اكتوبر ١٩٩٧م ص : ١
٦١- الدكتور عبدالهادي محمد سعود : المجتمع الإسلامي المعاصر (ب) إفريقيا ص : ١٠٢ ط الأولي ١٤١٥هـ / الموافق ١٩٩٥م القاهرة
٦٢- مقابلة مع عبدجمال شيخ ادم وهو استاذ جغرافيا ٧/٧/١٩٩٨م الخرطوم
٦٣- مقابلة محمد أحمد شيخ علي وهو قانوني ٧/٧/١٩٩٨م الخرطوم
٦٤- مقابلة مع حسن علي علمي رجل أعمال بالسودان ١٥/٧/١٩٩٨م الخرطوم
٦٥- Louis fitz Gbbon : the betrayal of Somalis p. x first p. UK London 1982
٦٦- شريط كاسيت سجله الشاعر الصومالي الكبير محمد حاشي قاري ١٩٩٧
٦٧- حمدي السيد السيالم : الصومال قديما وحديثا ج الثاني مرجع سابق ص : ٥٣٠ - ٥٣١
٦٨- الراصد الإفريقي العدد ٥٧ مرجع سابق ص : ٦
٦٩- مجلة المستقبل العربي يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية السنة السادس عشر العدد ١٧٣ ص : ٢٥

الخاتمـــــة :

تطرق الباحث الي موضوع القبلية وأثرها في السياسة الصومالية ، فوصل إلي بعض النتائج ، وهي أن القبائل الصومالية قبائل تؤمن بالحرب كثقافة ، وأن المنطقة الصومالية منطقة بركان قبلي نشيط تختلط فيها أمور كثيرة ، ومن الأشياء الأساسية التي توصل إليها الباحث أيضا هي أن الصوماليين أمة تتصف بالثأر والانتقام مثل القبائل العربية الجاهلية القديمة قبل الإسلام ، وأن أي قبيلة لاتعيد شرفها بين القبائل لايتزوج واحد من القبائل الأخري من بناتها ويسمي باللغة الصومالي(قن) Gun ولذلك قال الشاعر الصومالي قاسم عندما عين سياد بري في رئاسة الدفاع في الحكومة العسكرية واحدا من القبائل التي ينظر إليها كقبيلة مضطهدة وهو مدقان ويصف حالة أستياء الإسحاقيين والمجرتين أصحاب الخيلاء والكبرياء في الصومال.

هذه السادة التي غضبت

لأنه فضل منهم من ليس في مرتبتهم

فالأمواج تحملنا نحن الإسحاق وسليمان (أي مجرتين)

Sadadan cadhootee midgaha laga saraysiiyay

Anaga lyo saleebaanadiiba way na sidataaye

والقصص الصومالية التي هي الإرث الثقافي الحربي لدي الصومال تشير إلي أن رجلين تقاتلا في سير القمر إذا قال أحدهم إن القمر حاف ، فيما قال الآخر وماذا يخصك أتعطيه حذاء ؟ فلذلك يشير إلي أن القتال والاحتراب ينشأ من أبسط الأشياء ، وإن دل ذلك علي شيء فإنما يدل مدي إيمان الصومال بالحرب وسفك الدماء ، ويقول شاعر صومالي اخر يحرض قبيلته علي الحرب أينما كانت ويقول في أحد أبياته

في أي مكان جلستم ستة أشخاص لابد أن يكون في نيتكم الحرب

وإذا قطعت منكم الرأس فحركوا الأقدام

ويعني الشاعر أن يدافعوا بأنفسهم وأن يهاجموا القبائل الأخري بشراسة حتي ولو يؤدي ذلك إلي قتلهم جميعا

Lix Halkaa ku joogtaan dagaal laabta ka ogaada

Madaxa Hadii laydin jaro lugaha meermeersh

لم يصل الصوماليون حتي الآن لمرحلة النضج لفهم معني الدولة الحديثة والاعتقاد السائد بين الشعب الصومالي أن الدولة ماهي إلا النظام القبلي المتطور ، وكل قبيلة

تحرص علي أن تجد لنفسها نصيب الأسد من السلطة والنفوذ . والصوماليون يقيمون الأشخاص المتعلمين والسياسيين بقبائلهم وليس بأفكارهم ولما يحملون من تعليم وأيديولوجيات .

النظام الصومالي القديم (الحير) أي القانون الذي كان الصوماليون يتبعونه كان لكل قبيلة نظام خاص وحدود معينة تتعامل بها مع القبائل الأخري ، مثل الدية وأراضي المراعي والزواج وضالة المواشي وغيرها ، فلم يكن هناك (حير) يجمع القبائل أو علي الأقل عدة قبائل مما يدل علي أن الصومال لم تجرب في تاريخها القديم قبل الاستعمار نظاما شاملا أو سلطة مركزية ، مما أدي إلي أن تتصرف كل قبيلة بشئونها الداخلية ولايعنيهم النظام المركزي ، واعتقدت القبائل الصومالية بعد الاستقلال أن النظام الذي غير الاستعمار مكون من قبائل متعددة فحاولت كل قبيلة أن تجد نصيبها الأكبر وتهمش القبائل الأخري .

وجد سياد بري فرصة لاتعوض وربما لايجدها أي قائد صومالي آخر بعده ، حيث اكتسب في بداية ثورته تأييدا كاملا من جميع القبائل الصغيرة والكبيرة ، ولكنه أضاع هذه الفرصة وتبني الاعتقاد الصومالي الراسخ القبلي القديم المبني علي القبلية والعنصرية ، فحول الحكومة كلها إلي حكومة تسيطر عليها قبيلة واحدة دون القبائل الأخري وبسبب هذا فقد شرعيته الحكومية وثارت عليه القبائل .

الصوماليون لم يتركوا حتي الآن معني الوطنية والقوميات ، فالدمار الواضح الذي يقوم به الصوماليون في بلدهم الغالي وقراهم وتهجير ثرواتهم إلي البلدان الأخري وتدمير المباني الحكومية والمرافق العامة والمستشفيات والمدارس ، كل هذا يدل علي أن الإنسان الصومالي لايقدر معني الوطنية ، وحتي تساءل بعض الأجانب أليس الأرض أرضهم ؟

في حلبة الصراع في الصومال ثلاث قبائل رئيسية تتنافس حول السلطة والنفوذ وتخاف كل قبيلة من القبائل الثلاثة إذا انسحبت من الساحة القبلية بسهولة فإن هذا يؤدي إلي أنها لن تعود بسهولة إلي الساحة ، واكتسبت كل قبيلة تجربة ، وهي أن قبيلة الدارود قادت البلاد لمدي واحد وعشرين عاما ، حيث استولت منفردة علي جميع فرص الاقتصاد والسياسة والتعليم وكل الامتيازات ، فيقول الاعتقاد الراسخ لدي القبائل الثلاثة إن أية قبيلة استولت علي الحكم لن تترك الحكم بسهولة كسابقتها .

كل قبيلة من القبائل الصومالية تدعي أنها مظلومة بعد إسقاط الحكم العسكري من

قبل قبائل أخري ، فلا يعرف إذن من المسئول الحقيقي عن الظلم ؟

الداء الصومالي هو داء قبلي محض وهو أخطر من الآيدز وكل الأسباب الأخري تندرج تحت هذه الداء ، فالصوماليون ، مثل المريض الذي يريد الشفاء من مرضه ولايريد أن يفصح عن دائه للطبيب ، فالصومال لم تفصح للعالم عن مرضها ليقوم العالم بعلاجه ، وأن أي إنسان صومالي إذا سئل عن قبيلته ينزعج ويثور ، بينما هو يعتقد فيها اعتقادا راسخا .

ورغم أن الصوماليين يوصفون بأنهم متشددون من الناحية الدينية ويدافعون عن الدين الإسلامي بشدة ضد أي شخص يتدخل في شئون دينهم ، حتي وصفهم أحد الإنجليز المستعمرين عندما أراد أن ينتقد الدين الإسلامي هاجمته البدو والعامة ، فقال لهم (أري أنكم لاتؤدون الفرائض بالصورة المطلوبة التي يأمربها الإسلام وخاصة الصلاة ، فما دوركم في الدين ؟ أعتقد أنكم حراس الدين فقط ولستم بالذين يعملون وينفذون الأوامر الإلهية) ورغم هذا كله فإن الصوماليين يعتقدون بشدة في الانتماء القبلي أكثر من اعتقادهم في الدين الإسلامي نفسه ، وإذا اعتدي صومالي على شرف الرسول صلي الله عليه وسلم وذكر أشياء لاتليق بالإسلام فربما لايواجه إلا بالتوبيخ ، أما إذا اعتدي علي شرف قبيلة ما فتثور هذه القبيلة فتطلب (الحال) باللغة الصومالية أي غرامة مالية أو تحدث الحرب <

كذلك يدل علي تمسك الصوماليين بمذهب واحد وهو المذهب الشافعي الذي يصل نسبه إلي الرسول صلي الله عليه وسلم ويوصف الشعب الصومالي بأنه من أكثر شعوب العالم الإسلامي حفظا للقرآن الكريم ، ومع هذا فإن القرآن لم ينههم عن الأفعال الوحشية البربرية والقتل غير الشرعي ، وهذا يدل علي أنهم يحفظون القرآن ولايفهمون معانيه بسبب عجميتهم .

لا توجد في الساحة الصومالية اتحادات أو نقابات أو اتحادات نسوية أو مؤسسات أو شركات مدعمة بالأفكار والمصالح التجارية والفكرية ، وكل المؤسسات المدنية الحضرية غائبة في الساحة الصومالية ، وإن وجد شيء في المؤسسات ففي إطار القبلية ، كل شيء في الصومال مؤسس علي القبلية ، وحتي الأحياء السكنية في المدن صممت علي حسب القبائل الصومالية في البادية ، وتعتبر المدن امتدادا للحياة البدوية ، هذا واضح للمتابع للشئون الصومالية ، وانقسمت العاصمة القومية نتيجة الانقسام القبلي ، والصوماليون علي إسلامهم يعانون أزمة هوية هل هم عرب أم

أفارقة ؟ أم الأفضل لهم الانتماء لأوربا ؟ وبرزت حيرتهم عندما كتبوا لغتهم بالحرف اللاتيني ، فقال أحد الصوماليين يصف تذبذب سياد بري بين العرب والأفارقة في الصباح نكون مع العرب لنجد الأموال والدعم ونشارك إخواننا العرب مشاعرهم وفي المساء مع إخواننا الأفارقة لنأوي إليهم أو نبيت معهم في القارة ؟

فالصوماليون أناس عندهم الكبرياء والأنفة وحب الكرامة والشرف ، ويعتقدون أنهم فوق الأفارقة والعرب وحتي الأوربيين ، فهل هذا اعتقاد من اعتقادات اليهود في طبيعهم ، وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل عدم احترام بعضهم لبعض ، وتنازل بعضهم لبعض لأجل مصلحة الكل أو حتي الأتفاق علي شيء معين ، وتحديد نقاط الاختلاف والتوافق بينهم يقول المثل الصومالي (إن للغبية أثنتي عشرة عينا تنظر لأقربائها بأحدي عشرة عينا ولعدوها بعين واحدة) .

المشكلة الصومالية معقدة ، ولم يتم التركيز لفك الرموز السرية لحل هذه المشكلة المعقدة ، فالمشكلة الصومالية القبلية أكبر من عقد مؤتمرات وطنية تعقد في بلد من البلدان العالم ، وأن الحل لا يأتي إلا من الصوماليين أنفسهم وبقناعة تامة تصدر من الفئات وشرائح المجتع المختلفة .

المستقبل الصومالي السياسي يكتنفه الغموض ويتوقع الباحث أن ينقسم المجتمع الصومالي إلي دويلات صغيرة قبلية لا تمتلك مقومات الدولة مثل الإمارات العربية المتحدة ، وربما يقع بعضها تحت سيطرة إثيوبيا مع أن إثيوبيا يصفها بعض المراقبين السياسيين بأنها دولة ضعيفة هشة تسيطر عليها أقلية التجري وتواجه مشاكل داخلية ومشاكل مع دول الجوار مثل ارتريا ، إلا أنها دولة مسيحية تجد الرعاية من الدول الغربية ومن الفاتيكان .

يقول الصوماليون إن الحيوانات تخاف ملك الوحوش يعني الأسد ، وحتي إذا مات لاتستطيع الوحوش من الاقتراب من جثته وجلده ، لذا فإن إثيوبيا تدرك أن الصوماليين أمة حرب وشراسة، فهي لاتريد أن تثير مشاعر القومية الصومالية ، ولكن تحاول أن تكسب جميع الفصائل والقبائل بالمال والسلاح .

نجحت مصر لأول مرة في جمع الفصائل الصومالية واقناعها بالجلوس جنبا إلي جنب في حوار ونقاش صريح والسؤال الذي يتبادر إلي الذهن هو هل يمكن عقد مصالحات أخري بعد مافشلت اتفاقية القاهرة ؟ الجواب يمكن أن تجلس الفصائل علي مائدة المفاوضات في مؤتمرات كثيرة دون نتيجة تذكر .

يقول أحد الأمثال الصومالية(بقرة الغائب تلد ذكرا) الصوماليون دخلوا في سبات طويل بعيدين عن العالم ، والعالم تطور ، وحتي إفريقيا فإنها لا يوجد فيها دولة أقل مستوي من الصومال من كل النواحي السياسية والتماسك القبلي والجبهة الداخلية لذا ولدت بقرة الصومال ذكرا .

لايوجد في الصومال شعب منظم يعبر عن مأساته ومشاعره عن طريق المظاهرات الشعبية المجتمعة ، بل ينقسمون إلي قبائل كل قبيلة تعبر عن مشاعرها منفردة .

كل المؤتمرات والاجتماعات التي تعقد في الخارج وفي الداخل يردد فيها الصوماليون كلمات رنانة وبكاء وآغاني جوفاء وحتي الأغنية المشهورة والتي نظمها الأستاذ الشاعر المخضرم يوسف حاج آدم في نهاية الأربعينيات والتي أصبحت فيما بعد شعارا لجمهورية الصومال ، والتي كانت تحث الصوماليين علي التماسك والوحدة وطرح خلافاتهم أصبحت بدون محتوي ومضمون ، قال يوسف حاج آدم في أحد أبياتها :

أيقظي ياصومال

وساعدوا الملهوف فيكم

SOOMAALYAA TOOSOO TOOSOO ISKU TIIRSADA AYE

HADBA KINA TAAG DARANAY TAAGEERA WALIGIINAY

فبدلا من مساعدة الملهوف الضعيف تمّ قتل الضعيف والنساء والأطفال فتحولت الأغنية إلي قتل وتشريد .

فحل المشاكل القبلية الصومالية بعيد ، وتقول بعض التنبؤات لبعض المتخصصين في الشئون الصومالية ، مثل بروفيسور سعيد شيخ سمتر وأمير شعراء الصومال الشاعر المشهور محمد ورسمة إبراهيم هلاوي (إن الصومال لم تتعب من الحرب حتي الآن) ووصف بروفيسور سعيد شيخ سمت إحدي المصالحات الوطنية إثر إعلان نتائجها وترحيب الصوماليين العامة بأنهم أي المؤتمرين مثل غني ياطيور ، وأن شأن الصومال مثل الدخان الصاعد ولايعرف مسيرة اتجاهاته وافقه بسبب الرياح الكثيرة التي تحركه .

فالموروثات الثقافية والعادات والتقاليد الصومالية القديمة اختلطت بالنظام السياسي ، فالصومال لم تصل مرحلة القوميات حتي في الوقت الحاضر ، فكونها لم تمر بالمراحل الأساسية لتقبل الوضع الدولي الحديث ، فإن ذلك يؤدي لعدم تقبلها

النظام الدولي الحديث ، وتحتاج الصومال إلي زمن لتطور جديد نحو الدولة وفهم النظام السياسي الحديث في العالم ، تقول أحد الأمثال الصومالية (الجنين يموت قبل أن تأتي السكين) ومعناه الجنين السقط من الناقة أو المعزة أو الشاة الذي لم تكتمل لديه شهور الولادة الأساسية ، وولد وهو حي ، فيحاول البدو دائما ذبحه ، ولكن يموت قبل أن يلحق به الذابح ، فالصومال مثل الجنين ، فهل تعيش إلي أن تصل في التطور إلي مرحلة الوعي والفهم لتقبل الأفكار التي تؤدي لبناء الدولة الحديثة والتنازل لبعضم الوصول إلي حل يرضي الجميع ؟

فالمشكلة الصومالية القبلية يمكن إرجاعها إلي النظام القبلي الصومالي القديم ، فمثلا اجتمعت القبائل الشمالية الإسحاقية جدبورسي - وورسنجلي - طلبهنتي - وعيسي في شمال الصومال، ووصلت إلي حل يرضي علي الأقل الغالبية إن لم يرض الجميع عن طريق شيوخ القبائل في تلك المنطقة فنتج عنها نظام مستقر نوعا ما ، فأدي إلي نمو كل المؤسسات المدنية مثل اتحادات النساء والشباب والشركات التجارية الصغيرة ، وكلها أصبحت في طور النمو ، فانشغل الناس في هذه المناطق بمصالحهم الاقتصادية فوصل المجتمع في هذه المناطق المذكورة سابقا لإعادة البنية الأساسية ، وبناء الطرق والمباني والكهرباء والاتصالات السلكية واللاسلكية ، إضافة إلي ذلك أنشأت محطة تلفزيونية صومالية محلية تذيع البرامج والأخبار باللغة الصومالية ، فالمناطق الصومالية الأخري تحتاج لمثل هذه الخطوات التي تخطوها القبائل الشمالية لإعادة التعمير ، ويعتقد الباحث أن هذه نقطة الانطلاق نحو الآفاق المستقبلية لإعادة الشرعية وسيادة الصومال أجمع ، فالنظام في الشمال نظام مرحلي ويتوقع الباحث أن يتطور إلي نظام آخر يخلو من النظام القبلي .

ويتوقع الباحث أن يخطو الجنوب هذه الخطوات لتشكيل فيما بعد حكم صومالي مبني علي الأفكار والمباديء الحزبية ، ويوجد في الجنوب بارقة أمل إذ تعب الشعب في الجنـوب من الاحتراب ويتطلع نحو آفاق مستقبلية مستقرة خالية من النزاعات والاقتتال ، مما يدل علي أن المجتمع الصومالي خال من الأفكار الحزبية ، فإن الأحزاب التي جاءت بالاستقلال ، وحلها النظام العسكري اضمحلت تماما لأنها كانت أحزاب قبائل ولم تكن احزابا فكرية ، وإلا لما كانت تنوب بهذه السهولة مثل الأحزاب الموجودة في إفريقيا واسيا وأوربا ، حتي علي الأقل لبقي حزب واحد ، فحتي حزب وحدة الشباب SYL خلت الساحة الصومالية منه ويسمع اسمه كحزب تاريخي مر

علي الساحة الصومالية في وقت من الأوقات مع وجود مؤسسية وبعض أعضائه في الساحة ، وكذلك بقية الأحزاب الصومالية قبل النظام العسكري .

كذلك لايوجد في الساحة الصومالية طرق صوفية كبيرة يمكن تحويلها إلي طرق صوفية سياسية شعبية مثل الختمية في السودان والأنصار ، والطرق الصوفية خالية من التوجه السياسي والتطلع إلي السلطة والنفوذ ، كما لايوجد في الصومال ملك أو شخصية تجتمع عليه الأغلبية الصومالية ، فجل الطرق الصوفية طرق دينية منحصرة في المقامات والمدائح وموزعة علي النظام القبلي وتدار بالوراثة ، لذا يعتبر الصومال بلدا بلا زعامة رئيسية .

فالصوماليون تركوا عاداتهم وتقاليدهم لتأسيس حكم ثم تطويره إلي نظام متطور ، فتطلعوا إلي الأنظمة الحديثة ولم يصلوا ، فكل الشعوب تؤسس نظامها الإداري بعاداتها وتقاليدها مثل الملكية ، والتعددية الحزبية ونظام الحزب الواحد ، وسيطرة عائلة معينة في بعض المناطق في العالم . الصفوة المتعلمة الصومالية لم تفكر في إيجاد حل يخرج الشعب من الهلاك والقبلية ، بل اتخذ القبلية ذريعة تحميه وعملية لكسب التأييد .

والصوماليون متأثرون بالنظام القبلي اليمني ، حيث يشتركون مع اليمن في العادات والتقاليد المتماثلة والبداوة والنفور من السلطة المركزية وغيرها من العادات اليمنية الأخري ، ولكن نجح اليمنيون في الحفاظ علي بلدهم ، بل وتوحيده بينما فشل الصوماليون ، فاليمانية زراع وتجار وعمال بينما الصوماليون بدو ورعاة .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : باللغة العربية

أ/ الكتب :

١- شهاب الدين أحمد بن عبدالقادر بن سالم بن عثمان الجيزاني : الشهير بعرب فقيه : تحفة الزمان فتوح الحبشة والصراع الصومالي الإثيوبي في القرن ١٣ الميلادي حققه فهيم محمد شلتوت ، بدون طبعة

٢- عبدالرحمن بن خلدون مقدمة بن خلدون الجزء الأول : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ١٣٣٢ -١٤٠٦هـ بدون طبعة

٣- د. حسن مكي محمد أحمد السياسات الثقافية للصومال الكبير ١٨٨٧ - ١٩٨٦م ط ١٩٩٠م المركز الإسلامي الإفريقي

٤- بركيت هايتي سيلاسي الصراع في القرن الإفريقي ترجمة عفيف الرزاز ط/ الأولي العربية ١٩٨٠م بيروت

٥- عبدالعزيز المهنا : الصومال بين حياتين الحياة القبلية وبناء الدولة ط/ الأولي ١٩٩٢م - الرياض المملكة العربية السعودية

٦- د. محاسن عبدالقادر حاج الصافي : المسألة الصومالية في كينيا ط/ الأولي ١٩٩٨م الخرطوم دار هايل للطباعة

٧- المسح الشامل لجمهورية الصومال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ط/١٩٨٢م ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد

٨- حمدي السيد السالم : الصومال قديما وحديثا ، الجزء الثاني ١٩٦٥م القاهرة

٩- عبدالرزاق حسين حسن : المسح اللغوي في الصومال وتأثير اللغة العربية في اللغة الصومالية ، جامعة قطر الدوحة ١٩٩١م

١٠- إبراهيم عبدالله محمد : الهزيمة الكفاح التاريخي للصومال الغربي ، ط / الأولي ١٩٨٢م ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة

١١- د. طه عبدالحليم رضوان : في جغرفية العالم الإسلامي ، الجزء الثاني ط/ الرابعة ١٩٨٩م القاهرة

١٢- د. يسر عبدالرزاق الجوهري : العالم الإسلامي في آسيا وإفريقيا ط/ ١٩٨٥م القاهرة.

١٣- د. جودة حسين جودة : جغرافية إفريقيا الإقليمية ط / ١٩٨١م القاهرة

١٤- عميد أ. ح محمد فريد السيد حجاج : صفحات من تاريخ الصومال ، بدون طبعة

١٥- مجيب ناهي النجم : الصومال الجنوبي دراسة في الجغرافية الإقليمية ، ط / ١٩٨٢م ، القاهرة.

١٦- محمد محمود محمدين: دراسات في الأدب الصومالي ط / ١٩٧٣ القاهرة

١٧- أحمد برخت ماح : وثائق عن الصومال والحبشة وارتريا ، بدون طبعة
١٨- عمال الندوة الدولية للقرن الإفريقي ، ج الثاني معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ١١/٧ يناير / ١٩٨٥م
١٩- الشيخ موجي سمتر: التقليد المتوارث في تولية الأجاس عند العيسي ط/ ١٩٩٥م ، القاهرة
٢٠- الشيخ موجي سمتر : العيسي شعب وتاريخ وتأملات في الفكر الفلسفي والسياسي والاجتماعي عند العيسي ط ١٩٩٥م القاهرة.
٢١- د. جلال يحيي : العلاقات المصرية الصومالية المكتبة الإفريقية ، بدون طبعة
٢٢- د. جلال يحيي ،ود. محمد نصر مهنا : مشكلة القرن الإفريقي وقضية الشعب الصومالي ط/ ١٩٨١م القاهرة
٢٣- علي أحمد : النزاع الصومالي الإثيوبي (الجذور التاريخية) بدو ن طبعة
٢٤- د. محمد علي توريارى : الحياد الإيجابي وسياسة الصومال الخارجية ط، ١٩٧٠م القاهرة.
٢٥- حمدي الظاهري: قضية الصومال ، بدون طبعة
٢٦- د. محمد علي توريارى: المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الصومال ، ط/ ١٩٩٥م القاهرة ، مركز بن خلدون للدراسات الإنمائية
٢٧- محمد زهير محمد: في ربوع الصومال ط / ١٩٦٤م القاهرة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر
٢٨- د. علي الشيخ أحمد أبوبكر : الصومال والجذور المأساة الراهنةط/ الأولي ١٩٩٢م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .
٢٩- لويجي بستالور : الثورة الصومالية ترجمة إبراهيم العريس ، ط الأولي ١٩٧٥م ، بيروت .
٣٠- جاك وير : الجيوش والسياسة ، ترجمة عبدالحميد عبدالله ط ./ العربية الأولي ١٩٨٢م ، بيروت
٣١- لماذا اخترنا الاشتراكية : وزارة الإعلام والإرشاد القومي اكتوبر ١٩٧٥م مقديشو
٣٢- بلادي وشعبي : جمهورية الصومال ، خطب مختارة لرئيس المجلس الأعلي للثورة اللواء محمد سياد بري وزارة الإعلام والإرشاد القومي اكتوبر ١٩٧٥م مقدشو
٣٣- خالد محمد رياض : الصومال الوعي الغائب ط/ الأولي ١٩٩٤م القاهرة
٣٤- لحرب ضد القبلية وشرورها في بلادنا في جمهورية الصومال ، وزارة الإعلام والإرشاد القومي ط/ ١٩٨٣م المطابع الحكومية مقديشيو
٣٥- د. عبدالهادي محمد سعود : المجتمع الإسلامي المعاصر (ب) إفريقيا ط/ الأولي١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٥م القاهرة
٣٦- د. عبدالعزيز عبدالغني : أهل البلال ط ١٩٩٤م السودان

ب/ الرسائل الجامعية :

٣٧- د. علي الشيخ أحمد أبوبكر : الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الإفريقي أطروحة دكتوراه منشورة المدينة المنورة الجامعة الإسلامية ١٩٩٥م
٣٨- د. زين العابدين بن عبدالحميد السراج : الحياة الاجتماية والاقتصادية في مدن الساحل الصومالي رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة القاهرة كلية الآداب قسم التاريخ ١٩٨٦م
٣٩- أمباي لو بشير : إشكالية انتقال السلطة في إفريقا مع التطبيق علي نيجيريا : رسالة ماجستير منشورة ١٩٩٥م ، جامعة إفريقيا العالمية.

جـ/ المجلات والجرائد :

٤٠- السياسة الدولية : دورة فصلية عملية الصادرة عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الأهرام أوائل يناير ابريل اكتوبر العدد (١١٢) ١٩٩٣م القاهرة
٤١- مجلة الدراسات الاستراتيجية العدد ١٠ يوليو ١٩٩٧م الخرطوم
٤٢- مجلة الدراسات الإفريقية العدد الرابع عشر يناير ١٩٩٦م جامعة إفريقيا العالمية
٤٣- مجلة البحوث والدراسات العربية العدد ٢٦ ديسمبر ١٩٩٦م القاهرة
٤٤- مجلة المستقبل العربي العدد ١٧٣ ، ١٩٩٣م القاهرة الصادرة عن مركز الدراسات الوحدة العربية
٤٥- مجلة السياسات الدولية الصادرة عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، القاهرة اكتوبر ١٩٩٢م العدد (١١٠)
٤٦- مجلة الدراسات الاستراتيجية العدد الأول يونيو ١٩٩٤م الخرطوم
٤٧- مجلة مستقبل العالم الإسلامي : مجلة يصدرها مركز الدراسات الاستراتيجية والجيوسياسية ، وقضايا سياسية ، وقضايا الاجتماع العدد ٤ ، ١٩٩١م القاهرة
٤- جريدة الراصد الإفريقي العدد ٥٠- ١٥ / ٣١ يناير ١٩٩٨م
٤٩- رسالة إفريقيا العدد السادس ربيع الأول ١٤١٤هـ - اغسطس ١٩٩٣م
٥٠- جريدة الشاهد السنة الثامنة العدد ٨٧ - ٨٨ نوفمبر ديسمبر ١٩٩٢م
٥١- جريدة العالم ١٦ اكتوبر١٩٩٣م العدد : ٥٠٥
٥٢- جريدة الأفتتاحية العدد ١٧ ، ٢ اغسطس ١٩٨٩م
٥٣- جريدة الراصد الإفريقي العدد ٥٧ - ١ - ١٥ مايو ١٩٩٧م
٥٤- جريدة الراصد الإفريقي العدد ٤٣ ١- ٥ اكتوبر ١٩٩٧م

د/ المقابلات الرسمية :

٥٥- أبوبكر نور شروع ، وهو قانوني الخرطوم ١٩/٧/١٩٩٨م
٥٦- بشير حسن محمد ، وهو صحفي صومالي ١/٧/١٩٩٨م الخرطوم
٥٧- عبدجمال شيخ آدم ، وهو أستاذ جغرافيا ٧/٧/١٩٩٨م الخرطوم
٥٨- محمد أحمد شيخ علي ، وهو قانوني ٧/٧/١٩٩٨م الخرطوم

٥٩- حسن علي علمي ، وهو رجل أعمال بالسودان ، ١٥/٧/١٩٩٨م

هـ / الإذاعة :

٦٠- هيئة الإذاعة البريطانية قسم الصومال ٣/١٢/١٩٩٧م

و/ الأشرطة :

٦١- جامع عمر عيسي : شريط كاسيت يضم شعر سلسلة قبة Guba سجله نهاية الخمسينات

٦٢- الشاعر محمد حاشي قاري : شريط كاسيت سجله عام ١٩٨٠م Deelay

٦٣- الشاعر محمد حاشي قاري : شريط كاسيت سجله عام ١٩٩٧م

المراجع الأجنبية :

Books :

64- Hussein Ali Dualeh: from barre to Aidid, First p. 1994 kenya Niarobi

65) David D. laitin and said S.Samatar : Somalia Nation in search of state p. 1987 USA.

66- Louis fitz Gbbon: The betrayal of Somalis . p.x first p. 1982 London UK

67- I.M. Lewis : Amodern History of Somalia Nation state in the horn of africa first p. 1980

68- An Africa watch reposr : Agoverneent at war with its own people p. Junuary 1990 USA.

69. Azmed sh. Ali Axmed : xeerkii Sp,aa;odoo . Hore p. 1977 mugdisho.

70- Gudiga callamiga Ah ee laanayrta cas biri-ma gaydo (Lama dilaan) Habd-haqnkii Hore eee cloaada p. Feb raayo 1997

الوثائق الأجنبية :

71- The Cairo Somali Meeting : Cairo 23. 11 1997

72-Shir waynaha Guurtida beelah somalli land Axdi qarameed (National charter) Borama 21/4/1993

73-Heshiiska resmiga oo hoggaamiyayaash ururada Siyaasa deedee Somaaliya Ku saxiixeen magaaada sodere sodere , itoobiya Jannaayo , 3 1997